



الاهداء

إلى أوّل مسلمة آمنت باللّٰه ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبذلت فى سبيل الاسلام النفس
والنفس حتى فارقت الحياة.

إلى أولى أمهات المؤمنين الطاهرات عليها السلام.

إلى أمّ عترة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذريّته الباقية.

إلى أمّ فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين (ع).

إلى جدّتى خديجة (ع) أهدى ثواب هذا الكتاب. سائلا المولى جلّ وعلا أن ينفع به المسلمين
إنّه سميعٌ مُّجيبٌ.

مرتضى العسكرى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (البقرة
1-4).

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الاسراء 19).

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم 30).

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ* فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ* قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطِ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران 19 - 20 و 83 - 85).

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة 3).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، والسلام على أصحابه المنتجبين.
وبعد: فقد استعنت الله وقمت بتأليف هذا الكتاب رجاء أن يحقق لي الاهداف الاتية:
أ - لما رأيت المدارس الفكرية البشرية خالفت القرآن الكريم مدى العصور فيما تقوّلته عن بدء الخلق، وأن أصحاب الانظمة الاجتماعية بنت عليها ما شرّعت من قوانين للمجتمع البشرى التى تناقض الاحكام القرآنية واستندت إليها كذلك جيلا بعد جيل، وأن ذلك أدّى ببعض علماء المسلمين إلى أن يقوموا بشتّى المحاولات للتوفيق بين نظريات المخلوقين عن بدء الخلق وما أعلن الخالق عنه فى القرآن الكريم واستند إليه الوحي فى ما أنزل من تشريع، وأدّت تلك المحاولات إلى انعدام الرؤية الصحيحة لما بيّنه القرآن الكريم عن بدء الخلق وصلة الخلق بالله الخالق الربّ.

لَمَّا رَأَيْتُ كُلَّ ذَلِكَ قَمْتُ فِي بَحْوثِ هَذَا الْكِتَابِ بِمُحَاوَلَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ فِي اسْتِنْبَاطِ مَا قَالَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّبِّ وَأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وَبَعْضُ مَا قَالَهُ عَنِ الْخَلْقِ وَعَنْ صَلَتهِ بِخَالِقِهِ مِنْذُ بَدَايَةِ خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ، دُونَ أَيِّ انْحِرَافٍ عَنْهَا إِلَى شَيْءٍ مِمَّا قَالَهُ أَصْحَابُ النِّظَرِيَّاتِ مِنَ الْخَلْقِ. فَإِنْ كُنْتُ قَدْ نَجَحْتُ فِي هَذِهِ الْمُحَاوَلَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا وَفَّقَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ زَلَلْتُ فِي بَعْضِ عَمَلِي فَإِنَّهُ مِنْ قُصُورِي وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِّي بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

ب - بعد مناقشتي في المجلد الثاني من مجلدات (القرآن الكريم وروايات المدرستين) روايات مدرسة الخلفاء التي أسندت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه أجاز تبديل أسماء الله في القرآن الكريم، بعضها ببعض، وجدت أن إيفاء البحث حقه بحاجة إلى دراسة مقارنة بين موارد استعمال اسمين من أسماء الله، في القرآن الكريم بتفصيل.

وكان في دراستي اسمي: (الاله) و(الرَّبُّ) في هذا الكتاب مثالا يوضح مبلغ بُعد هذا القول عن الحق والصواب، وعدم صحة نسبة تلك الروايات إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه.

وأيضا، كنا بحاجة - لدراسة روايات النسخ بمدرسة الخلفاء في ذلك الكتاب - إلى دراسة النسخ في مسيرة الرسل كما جاء في هذا الكتاب.

ج - بعد أن انتهينا في المجمع العلمي الاسلامي من تنظيم ما أردنا تنظيمه من الكتب الدراسية للحوزات العلمية، ولم أجد كتابا يفي بحاجة أهل العصر في دراسة العقائد الاسلامية، استعنتُ الله وقمتُ بتقديم بحوث هذا الكتاب رجاء أن تسدَّ هذا الفراغ بإذنه تعالى.

د - لَمَّا رَأَيْتُ - بعد قيام الجمهورية الاسلامية - تَطَلُّعا من الناس في كلِّ مكان إلى معرفة الاسلام في بلادهم، وما شاهدت من هجرة جماهير المسلمين إلى بلاد الغرب وانقطاع صلتهم بمنابع الاسلام في بلدانهم، رأيتُ من الواجب علينا أن تقدِّم سلسلة من الكتب لتعليمهم الاسلام في مستويات فكرية مختلفة. فاستعنتُ الله وقمتُ بوضع مخطَّط لذلك، من ضمنه سلسلة (قيام الائمة بإحياء السنّة)، وطبع الجزء الاول منه تحت عنوان: مصطلحات اسلامية، وجعلته مقدِّمة لهذا الكتاب.

وفى هذا الكتاب عندما تقدّمت إلى رحاب القرآن الكريم للقيام بدراسة عقائد الاسلام، وجدتُ القرآن العظيم قد عرض عقائد الاسلام بسلاسة يفهمها كل لبيب عربى اللسان بلغ سنّ الرُّشد، وأصبح مخاطبا فيه بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ).

غير أنّ العلماء اعتمدوا فى تفسير القرآن فلسفة الفلاسفة، وعرفان المتصوّفة، وكلام المتكلمين، وروايات إسرائيلية، وأخرى رويت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون أن يقوموا بتمحيصها، وأولّوا ما ورد فى القرآن الكريم بها، وبذلك جعلوا من عقائد الاسلام طلاسماً وألغازاً وأحاجى لا يفهمها غير من مارس حلّها بطرق رسمها العلماء فى علوم البلاغة والمنطق والكلام والفلسفة وأمثالها، وأدّى عملهم ذلك إلى تفرقة المسلمين إلى معتزلة وأشاعرة ومرجئة... و... الخ.

هـ - كذلك وجدت عقائد الاسلام فى القرآن الكريم سلسلة متّصلة الحلقات يهدى بعضها إلى بعض، وهى فى مجموعها وحدة منسجمة الاجزاء يكمل بعضها بعضا. وعندما عرضها العلماء فى تأليفهم فصلوا بعضها عن بعض، فاختلفت بذلك حكمة عقائد الاسلام عن دارسيها.

وللاسباب التى ذكرتها سرت فى بحوث الكتاب وفق المنهج الاتى:

منهاج البحث

استقيت - فى بحوث هذا الكتاب - عقائد الاسلام من معين القرآن الكريم. وبما أنّ الله تعالى أنزل كتابه المجيد بلغة العرب، وقال سبحانه وتعالى:

أ - فى سورة يوسف:

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الاية 2).

ب - فى سورة الشعراء:

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الايات 193 - 195).

ولُبعِدنا عن لغة العرب في عصر نزول القرآن الكريم، رجعت أحيانا في تفسير الايات إلى معاجم اللغة.

ورجعتُ لمعرفة تفسير الايات إلى روايات السيرة والحديث التي قمت بتمحيصها في مؤلفاتي الاخرى، ودرست القليل منها عند قيامي بهذه البحوث.

ومن ثمَّ اعتمدت في بحوث الكتاب ثلاثة أنواع من تفسير القرآن الكريم:

1 - التفسير بالمأثور: (أى المروى) مثل ما فعله السيوطى (ت 911هـ) فى الدر المنثور فى تفسير القرآن بالمأثور، والبحرانى (ت 1170هـ أو 1109هـ) فى تفسيره البرهان، غير أنى اعتمدت ما ثبتت عندى صحته، والسيوطى ذكر كل ما وجد من روايه وفيها ما يناقض بعضها بعضا الاخر، وقد ناقشت بعضا مما رواه.

ورجعت فى الاحاديث التى اعتمدتها إلى ما لدى عامّة المسلمين من كتب الحديث، من صحاح ومسانيد وسنن وغيرها، ولم اقتصر على ما لدى مذهب إسلامى دون آخر، وأحيانا قمت بدراسة مقارنة بين حديث وآخر ورأى اعتمد حديثا وآخر مع إسناد الرأى إلى صاحبه، ودعمت رأى بما لدينا من دليل عليه.

وفى دراية الحديث اعتمدت نهج مشايخ الحديث إلى القرن السادس الهجرى كما بيّنته فى بحث (أئمة أهل البيت وضعوا مقاييس لمعرفة الحديث) فى المجلد الثالث من معالم المدرستين.

2 - التفسير اللغوى: كما فعله السيوطى فى اعتماده على ما رواه عن ابن عباس وغيره.

ولمّا كان علماء اللغة - أحيانا - يطيلون البحث بإيراد المعنى الحقيقى للكلمة مع المعانى المجازية لها، تجنبت ذلك وأوردت ممّا ذكروا فى معنى الكلمة ما يناسب سياق الآية، وتركت إيراد غيره ممّا ذكروه.

3 - التفسير الموضوعى: مثل ما فعله الفقهاء فى تفسيرهم: (آيات الاحكام).

والانواع الثلاثة من التفسير هى الصحيحة والمروية عن أئمة أهل البيت (ع).

ولمّا كان فى آيات القرآن الكريم أكثر من مقصد واحد غالبا، فإننى أذكر من ألفاظ الايات ما يخصّ مقصد البحث، وأحذف ما عداه ليسهل على الدارسين استيعاب البحث، ومن ثمّ قد يتكرّر ذكر آية أو آيات فى بحث بعد بحث حسب تناسب معانيها مع موضوعات البحوث. وكذلك قد يتكرّر ذكر معنى اللفظ القرآنى لبعد الموضوع الثانى عن الموضوع الاول بما يسبّب نسيان المعنى أو

لتغيير معنى اللفظ في الموضع الثاني عن معناه في الموضع الاول وفي ذكر الروايات رجعت أحيانا بالاضافة إلى الروايات التي تفسر الايات إلى روايات فيها شرح وتوضيح لبعض أطراف البحث لمسييس الحاجة في استيعاب جميع جوانب البحث اليها. واستشهدتُ في بعض البحوث بما جاء في التوراة والانجيل مصدقا لما ذكرناه وخاصة في:

أ - أخبار الانبياء؛ لأن في العهدين أقدم نص تاريخي عن سيرة الانبياء قبل النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد استشهد الله جل ذكره في القرآن الكريم بما جاء في التوراة في خبر تحريم إسرائيل على نفسه ما حرم، بقوله تعالى في سورة آل عمران 93: (كلّ الطّعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلّا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين).

ونترك من أخبارهما ما نسب فيه إلى الله جل ذكره ما هو منزّه عنه وإلى رسله وأنبيائه ما هم منزّهون عنه، وكذلك نترك ما يخالف العقل والعلم.

ب - ما جاء فيهما من بشارات ببعثة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) كما استشهد القرآن الكريم ببشارة عيسى (ع) ببعثته في قوله تعالى في سورة الصف 6: (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد...).

وتجنّبت في التعبير - ما أمكنني - ذكر الاصطلاحات العلمية في البحوث، وبدلتها بما يفهمه القارئ العربيّ اللسان غير المتخصّص بتلك العلوم.

واقصرت على ذكر الاقوال في موضوع البحث بالقول الذي نختاره مع بيان دليله. وأحيانا أختار رأيا مجانباً لآراء من سبقني من العلماء وأقدم الدليل على ما اخترته بإذنه تعالى.

ثمّ إنني سلسلت عقائد الاسلام في هذا الكتاب - كما وجدتها في القرآن الكريم - مجموعة متناسقة يكمل بعضها بعضا، ويهدى البحث المتقدّم إلى موضوع البحث المتأخّر، وبذلك تدرك عقائد الاسلام وحكمتها، ولذلك لا يتيسّر استيعاب البحث المتأخّر في هذا الكتاب قبل استيعاب ما جاء في البحوث المتقدّمة عليه، كما يرى ذلك في مخطط البحوث الاتي:

مخطّط البحوث

- 1 - الميثاق: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»
- 2 - بحوث الألوهيّة:
 - أ - هل خلق الخلق مصادفة؟
 - ب - معنى الاله.
 - ج - معنى «لا إله إلاّ الله».
 - د - ألله بنات وبنون.
- 3 - أصناف خلق الله فى القرآن الكريم:
 - أ - الملائكة.
 - ب - السموات، والارض وسماؤها.
 - ج - الدواب.
 - د - الجنّ والشیاطین.
 - هـ - الانسان.
 - و - شرح الايات وتفسيرها من الرويات.
- 4 - بحوث الربوبية:
 - أ - الربّ.
 - ب - وما ربّ العالمين؟
 - ج - أنواع هداية ربّ العالمين لأصناف الخلق:
 - أوّلا - التعليم المباشر لصنف الملائكة.
 - ثانيا - التسخير للمُسَخَّرَات.
 - ثالثا - الالهام الغريزى للحيوان.
 - رابعا - التعليم بالوحى بواسطة الرسل للانس والجنّ.
- 5 - الدين والاسلام.
- 6 - مُبَلِّغُونَ عَنِ اللَّهِ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّاسِ.

آدم إلى آباء النبي من ذرية اسماعيل.

7 - صفات المبلّغين عن الله.

8 - معارك الرسل مع أممهم حول ربوبية ربّ العالمين وتشريعه الاسلام لهم.

9 - النسخ في مسيرة الرسل أصحاب الشرايع بعد آدم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد

صلوات الله عليهم أجمعين):

أ - وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم.

ب - مصطلحا النسخ والاية ومعناهما.

ج - تفسير آية (ما ننسخ من آية...)، وآية (وإذا بدلنا آية مكان آية).

د - اختصاص شريعة موسى ببني اسرائيل.

هـ - إنتهاء أمد شريعة موسى (ع) ببعثة خاتم الانبياء.

و - معنى النسخ في شريعة نبي واحد.

10 - ربّ العالمين يجزى الانسان بآثار عمله:

أ و ب - في الدنيا والاخرة.

ج - عند الممات.

د - في القبر.

هـ - في المحشر.

و - في الجنّة والنار.

ز - جزاء الصبر.

ح - توارث جزاء العمل.

11 - الشفاعة جزاء لبعض الاعمال.

12 - حبط الاعمال جزاء لبعض الاعمال.

13 - مشاركة الجن والانس في أمر جزاء الاعمال.

14 - من صفات الرّبّ، أسماؤه:

أ - ذُو الْعَرْشِ وَرَبُّ الْعَرْشِ.

ب - الرَّحْمَن.

ج - الرَّحِيم.

د - معنى الاسم.

15 - ولله الاسماء الحسنی:

أ - الله.

ب - معنى الكرسي.

ج - معنى العبد والعبادة.

(ما يتبع بحث الاسماء والصفات).

16 - مشيئة الله رب العالمين.

أ - معنى المشيئة.

ب - فى الرزق.

ج - فى الهداية.

د - فى الرحمة والعذاب.

17 - البداء أو يمحو الله ما يشاء ويثبت:

أ - معنى البداء.

ب - البداء فى مصطلحات علماء العقائد الاسلامية.

ج - البداء فى القرآن.

د - فى روايات مدرسة الخلفاء.

هـ - فى روايات مدرسة أهل البيت (ع).

18 - الجبر والتفويض:

معنى الجبر والتفويض والاختيار.

19 - القضاء والقدر.

أ - معانى القضاء والقدر.

ب - روايات أئمة أهل البيت (ع) فى القضاء والقدر.

ج - أسئلة وأجوبة.

20 - خلاصة وخاتمة. اسلوب القرآن فى طرح عقائد الاسلام.

أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْكِتَابَ مَعِينًا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ عَقَائِدَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِيَسْرٍ
وَسَهُولَةٍ، وَوَسِيلَةً لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتْرَكُوا التَّفْرِقَةَ وَيُوَحِّدُوا كَلِمَتَهُمْ حَوْلَ رَايَةِ الْقُرْآنِ.
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حَيْثُ يَقُولُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ:
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا) (الآيتان 174 - 175).
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المؤلف

(1)

الميثاق

ميثاق الاله الربّ مع بنى آدم
أ- آية: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ).

ب - حركتا المعدة والدماغ فى طلب الطعام والمعرفة.

ج - تفسير الآية.

د - المحيط والوالدان لا يجبران الانسان على أمر.

(1) و (2)

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وحركة الدماغ

أخذ الله سبحانه الميثاق من ذرية بنى آدم كما أخبر عن ذلك وقال فى سورة الاعراف:
(وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى، شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) (الايان 172 - 173).

نحتاج فى تفسير هاتين الايتين إلى المقدمة الآتية:

عندما ينفصل الطفل عن بطن أمّه وينقطع منه الحبل الذى كان متصلاً بسرّته لنقل الغذاء من جسم أمّه إليه، تدفعه غريزة الجوع إلى التحرك لطلب الغذاء، فيتشنج جسمه كما يظهر ذلك على سحنات وجهه، فيبكي ويصرخ ولا يهدأ حتى يلتقم الثدي ويدّر اللبن فى فمه ويجرى منه إلى معدته، وتستمرّ هذه الغريزة فى دفع الانسان للتحرك والعمل الدائب فى طلب الطعام، طوال حياته. ويشترك الحيوان الانسان فى هذه الغريزة والتى نسميها بحركة المعدة فى طلب الطعام، وهى الغريزة الاولى التى تدفع الانسان إلى التحرك والعمل فى الحياة، وبعد ذلك بسنوات تتدرج الغريزة الثانية بالنمو فيه وذلك بعد ما ينمو الطفل ويصبح صبيّاً وتتدرج خلاياه الدماغية فى التحرك لطلب طعام المعرفة، عندئذ يلفت نظره وجود كل موجود وحدوث كل حادث يراه ويوجّه السؤال إلى والديه عن سبب وجود الحادث. فإذا رأى الشمس - مثلاً - تغرب فى الافق يسأل أبويه ويقول:

أين تذهب الشمس فى الليل؟

وإذا رأى عينا نابعة فى أسفل الجبل يجرى منها الماء، يسألهما:

من أين يأتى هذا الماء؟

وإذا رأى الغيوم تسير فى السماء يسألهما:

أين تذهب هذه الغيوم؟

وهكذا يطّرد انتباهه للموجودات وحركاتها وإيراده السؤال عن أسبابها من والديه أو أى إنسان آخر أكبر سنّا منه يصحبه، وهذه هى الغريزة الثانية التى تدفع الانسان إلى التحرك لاشباع نهم هذه الغريزة، وهذه الغريزة فى حقيقتها هى حركة العقل البشرى فى سبيل كسب المعرفة عن طريق البحث لمعرفة أسباب الحوادث، ويطّرد عمل هذه الغريزة طوال عمر الانسان فى البحث عن سبب وجود كلّ موجود، وسبب حركة كلّ موجود وسبب سكونه. وهذا هو السبيل الوحيد لكسب المعرفة الانسانية واكتساب جميع العلوم البشرية. وينتهى بحث الانسان عن سبب وجود الموجودات إلى معرفة موجد الموجودات أى وجود الاله الخالق، وفى بحثه عن سبب حركة الموجودات وسكونها إلى معرفة موجد النظام لحياة كلّ موجود، مثل سير القمر حول الارض، والارض حول الشمس، أو حركة الذرّة فى داخلها وحركة الكريات البيض والاحمر فى الدّم، وإلى ما لا يعدّ ويحصى من أنظمة الحركة والسكون للموجودات، يهتدى الانسان فى هذا النوع من البحث إلى أنّ للموجودات فى عالمنا الارضى والسماوى وما بينهما ربّا نظّم حياة كلّ فرد من الموجودات، وهذا معنى قوله تعالى فى سورة الاعراف:

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ... الاية).

(3)

تفسير الآية

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)، أى عندما أخذ الله من كل فرد من بنى آدم ذريته ونسلت الذرية من ظهر أبيه (أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ)؛ استشهد كل فرد منهم على نفسه وسأله بما وهبه من فطرة البحث عن أسباب وجود كل موجود وأسباب حركة كل موجود وما أدركه بعقله أن لكل مخلوق خالقا ولكل منظم منظمًا، وهى الغريزة الفطرية التى بها يمتاز الانسان عن كل ما عداه من مخلوق، وبها يستنتج ويتعلم مالا يتعلمه غيره من الخلق كما يأتى بيانه فى تفسير (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) إن شاء الله تعالى.

(4)

المحيط والوالدان لا يجبران الانسان على أمر

بالغريزة التى جبلهم الله عليها (أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) وقال لهم: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)؟ وأجابوا بلسان الفطرة - أيضا :- (بلى شهدنا)، وهذا هو معنى الحديث المروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيُنَصْرَانِهِ» (1) .

وفى رواية أخرى بعدها: «وَيُمَجِّسَانِهِ» (2) .

أى أن كل إنسان يولد على فطرة معرفة الربوبية كما يأتى شرحها إن شاء الله تعالى، وأن والديه يحرفانه عن فطرته السليمة، ويدخلانه فى دين اليهود أو النصارى أو المجوس المنحرفين عن دين الفطرة والمنحرفين لدين الله جل اسمه، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى. وإنما أشهدهم على الايمان بالربّ دون الاشهاد على الايمان بالاله لان الايمان بالربّ المشرّع لنظام الحياة للخلق يستلزم الايمان بوجود الاله الخالق لهم دون العكس، كما يأتى بيانه ضمن تفسير: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) إن شاء الله تعالى. أشهدهم الله تعالى بذلك على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة: (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) ولم تنتبه لربوبيّتك، ولم تُقم لنا حجة عليها، ولم تكمل عقولنا لندرك بها الربوبية.

أو يقول قائل منهم: (إنما أشرك آباؤنا من قبل وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ).

أى: إننا نشأ آباؤنا قبلنا على الشرك بالالوهية والكفر بالربوبية، وكُنَّا ذُرِّيَّةً جثنا إلى الدنيا من بعدهم لا نعرف شيئا من الحياة، وهم الذين وجَّهونا إلى الكفر بالالوهية والشرك بالربوبية، فنشأنا على ما ربَّونا ووجَّهونا، فالذنب ذنبهم وتقع التبعة عليهم: (أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)؛ أفتعذبنا بما ربَّانا عليه الاباء والامهات، وذلك ما يعبر عنه فى عرفنا اليوم بأثر المحيط على الطفل خاصة وعلى الانسان بصورة عامة، وقال الله سبحانه: ليس لكم أن تقولوا ذلك لأننا فطرناكم على غريزة البحث عن الاسباب.

وبذلك اكتشف الخلف بعد السلف ما لم يعرفه الاسلاف، وكانوا ينكرون بعضها ويكفرون ببعض مثل؛ قوة البخار، وطاقة الكهرباء، وسير النور، ودوران الكواكب بعضها حول بعض وإلى ما يتعسر إحصاؤها من أمثالها مما تمكَّن الخلف من إثبات بطلان أقوال السلف وعقائدهم حولها. وهكذا قال الله تعالى لنا: بما فطرناكم عليه من غريزة البحث عن الاسباب ومنحناكم العقل الذى تميِّزون به الصحيح من الخطأ والحق من الباطل، أتمننا الحجَّة عليكم، وليس لكم أن تقولوا: إنَّا كُنَّا عن هذا غافلين، أو تقولوا إننا أشرك آباؤنا وأتبعناهم وأثر فينا محيطنا. وقد ضرب الله مثلا فى القرآن الكريم على تمكَّن الانسان من مخالفة المحيط الذى نشأ فيه كما جاء فى سورة التحريم: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) (الايات 10 - 12).

كانت آسية فى أسرة كافرة ومحيط كافر وزوجة لمن يدعى الالوهية والربوبية. إذا فإن آسية كانت ربة وآلهة على حدِّ زعم قومها، ومع ذلك فإنها خالفت قومها وأسرتها وزوجها وآمنت بربِّ العالمين، وتبرَّأت من فرعون وعمله وقالت: (نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى قومها، وقاومتهم حتَّى استشهدت فى سبيل الايمان بربِّ العالمين.

وكذلك كانت كل من امرأة نوح وامرأة لوط في بيت نبي يدعو الخلق إلى رب العالمين، فكفرتا برب العالمين وبزوجيهما. وكان أكثر خلافا منهن للمحيط ابن نوح الذي أخبر الله تعالى عنه في سورة هود (ع) أنه عصى أباه نوحا (ع) لما ركب السفينة فقال:

(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) (الاياتان 42 - 43).

إن كلا من زوجة نوح ولوط خالفت زوجها، وإن ابن نوح (ع) خالف أباه وامتنع من ركوب السفينة وهو يرى آثار عذاب الله: (الامواج التي ظهرت كأنها الجبال) متابعة منهما ومنه لهوى النفس.

وإن امرأة فرعون خالفت قومها وأسرتها وزوجها مخالفة منها لهوى النفس واتباعا لامر ربها، وإن مريم (ع) ابنة عمران صدقت بكلمات ربها وكتبه وهي في أسرة مؤمنة. إذا إن الأسرة والمحيط لا يقسران الانسان على الكفر أو الايمان، وإنما توجد في الانسان الرغبة في متابعة المحيط كما أخبر الله في سبعة مواضع من كتابه الكريم، أن الامم قالت لانيائها إنها تتبع آباءها في عبادة الاصنام والملائكة، مثل ما جاء في خبر إبراهيم (ع) مع قومه:

أ - في سورة الانبياء:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) (الايات 51 - 53).

ب - في سورة الشعراء:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) (الايات 69 - 74).

وجاء في خبر موسى (ع) مع قومه في سورة يونس:

(قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (الاياتان 77 - 78).

ومثل ما جاء في خبر خاتم الانبياء مع قومه في:

أ - سورة المائدة:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (الاية 104).

ب - سورة لقمان:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) (الايات 20 - 21).

ج - سورة الزخرف:

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) (الايات 19 - 22).

د - وجاء في خبر الامم السابقة في قوله تعالى في السورة نفسها:

(وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أُولُو جُنُتِكُمْ بَاهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (الايات 23 - 25).

شرح الكلمات (3)

1 - التمثال: ما صُنِعَ من فلز أو نُحِتَ من حجر أو خشب يحاكي به ما خلق الله، أو يُرمز به إلى شيء من ذلك.

2 - عاكفون: ملازمون للمعبد ومقيمون فيه لعبادة الاصنام.

3 - تلفتنا: تَصَرَّفْنَا.

4 - سعير: السعير: لهيب النار أو النار الملتهبة، والمراد منه في الاية: نار جهنم.

5 - يَخْرُصُونَ: يكذبون.

6 - أُمَّة: الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما، دينا واحدا كان أو زمانا واحدا أو مكانا واحدا.

7 - المترف: المتنعم؛ المتوسّع في ملاذ الدنيا وشهواتها والذي أبطرتة النعمة فبغى.

تفسير الايات

فى هذه الايات أخبر الله سبحانه أن خليله إبراهيم (ع) سأل قومه قائلًا لهم: ما هذه التماثيل التى أنتم عاكفون على عبادتها؟ هل يسمعونكم حين تدعونهم؟ أو ينفعونكم أو يضرونكم؟ قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون!

وأخبر عن موسى أنه قال لقوم فرعون: أتقولون للآيات التى هى حق إنها سحر؟ فقالوا: أجبنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا!

وأخبر عما جرى لخاتم الانبياء مع مشركى قريش فقال تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا).

وقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (الحج 8).

وإن كفار قريش كانوا يعبدون الملائكة ويزعمون أنها إناث - بنات الله - فيسأل سبحانه وتعالى على سبيل الاستفهام الاستنكارى ويقول: أشهدوا خلق الملائكة ورأوا أنهم خلَقوا إناثًا؟ أم أنزل الله عليهم كتابًا مثل التوراة والانجيل ذكر فيه ذلك، فهم به مستمسكون؟ لا لم يقولوا ذلك بل، قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون.

وأخبر الله سبحانه رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) مسليًا له، وقال تعالى: وكذلك ما أرسلنا قبلك فى مدينة ممن بعثوا لئلا نذار الناس إلا وقد قال المترفون فى المدينة إنا وجدنا آباءنا على دين وإننا نتقدي بهم، فقال لهم الذى بعثه الله لينذرهم: أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون.

إذا فإنَّ العصبية القومية الجاهلية هى التى توجد هوى فى نفس الانسان، وتجعلها تخالف فطرته السليمة التى تهديه إلى معرفة الاله الخالق والربِّ المربى للخلق!

خلاصة البحث

إذا كانت نفس الانسان طُلعة (4) تبحث عن المعرفة طوال حياته، كما تطلب معدته الشرهه الطعام طوال حياته، فإنه عندما يبحث عن سبب حركة كل متحرك ووجود كل موجود؛ يحكم عقله بأن لكل حركة سببًا محركًا، ولكل مخلوق منظم وجوده، ومُتَّزِن بموازين محكمة الصنع؛ خالقًا، والخالق اسمه الاله. إذا ليس لاحد من الناس أن يقول يوم القيامة:

(إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ).

أو يقول:

(إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) لأنّ مثلهم في ذلك مثل الناس في الحياة الدنيا، فإنّ الناس كانوا يعيشون قبل كشف الطاقة الكهربائية في ظلام دامس، وبسبب ما أوتوه من غريزة البحث توصّل الابناء إلى كشف الطاقة الكهربائية، وكذلك الشأن في كشف كلّ جيل من المكتشفات العلمية ما لم يبلغها أسلافه، ولهذا السبب ليس لاحد أن يقول: كان آباءى في ظلام الشرك أو الالحاد - إنكار الخالق - واتّبعتم اضطراباً، أضف إلى ذلك أنّ الله أتمّ الحجة على الناس بارسال الرسل لتذكير الغافلين، كما قال سبحانه لخاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله وسلم) في سورة الغاشية: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) (الايات 21 - 22). وَسَمَّى الْقُرْآنَ بِالذِّكْرِ، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ: (... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الاية 44).

وفى البحث القادم ندرس ما أجملنا ذكره هنا بالتفصيل بحوله تعالى.

(2)

بحوث الالوهية

أ - هل خلق الخلق مصادفة؟

ب - معنى الاله.

ج - معنى لا إله إلا الله.

الاله هو الخالق، ولا خالق غير الله.

ولا يعبد غير الخالق.

أى: لا خالق ولا معبود غير الله الاحد.

إذا: لا إله إلا الله.

د - الله بنات وبنون؟

أ - هل خلق الخلق مصادفة؟

فى الناس من يقول ما خلاصته: إنَّ الخلق والنظام وجدا مصادفة دون أن يكون للخلق خالق وللنظام منظم، أى أنَّهم قالوا:

إنَّ ما لا يعدّ ولا يحصى من الخلق خُلِقَ (بطريق المصادفة) أى إنَّ الذرّات تلاقت وتجمّعت على نِسَبٍ وأوضاع خاصة (عن طريق المصادفة) فكوّنت العناصر الاصلية: (الاوكسجين والهيدروجين و... و...الخ).

ثمّ تلاقت هذه العناصر وتجمّعت وتمازجت (بالمصادفة) على نسب صالحة (بالمصادفة) وفى مدد كافية (بالمصادفة) وأجواء ملائمة (بالمصادفة)، فتكوّنت هذه الانواع التى لا تعد ولا تحصى من الخلق، وخلقت الحياة من هذه المصادفات!!!

ونذكر المثال الاتى لايضاح زيف هذا القول بحوله تعالى:

خذ عشر كريات صغار بحجم واحد، رَقِّمُهَا من 1 - 10 ثمّ ضعها فى كيس وهزّها هزّاً شديداً، ثمّ حاول أن تسحبها من الكيس حسب ترتيبها من 1 - 10.

إنّ احتمال سحب الكرية رقم 1 هي بنسبة 1 إلى 10، واحتمال سحب رقم 1 ورقم 2 متتابعين هي بنسبة 1 إلى 100، واحتمال سحب الكريات المرقمة: 1 و 2 و 3 و متتالية هي بنسبة 1 إلى 1000، واحتمال سحب الكريات المرقمة: 1 و 2 و 3 و 4 متوالية هي بنسبة 1 إلى 10000، وهكذا حتى يصبح احتمال سحب الكريات العشر بترتيبها الاول أى من 1 إلى 10 هي بنسبة 1 إلى عشرة ملايين (5).

إذا كان هذا رأى العلم فى تحقيق إخراج عشرة أعداد متوالية من كيس واحد مصادفة، فما رأى العلم فى ايجاد هذه النظم التى نعلمها اليوم لما لا يعدّ ولا يحصى من الخلق؟! وهل يصحّ لعقل أن يقول:

خُلِّقَتْ جميعها مصادفة، وأصبح لكل فرد منها جزيئة، ولكل جزيئة من أجزائها هذه النظم مصادفة؟!!

وصدق الله العظيم حيث يقول:

أ - فى سورة الحجر

(وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) (الاية 16).

(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) (الاية 19).

ب - فى سورة البقرة:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الاية 164).

إى وربى إن فى خلق السماوات والارض، والنظام المتقن فى بروج السماء وكواكبها، والميزان المحكم فى كل ما نبت من الارض لآيات لقوم يعقلون.

ولكن هوى النفس يمنع الانسان العاقل من التعقّل!!!

ب - معنى الاله

أولاً - فى معاجم اللغة:

موجز ما فى المعاجم حول الـ «إله»:

«إله» على وزن كتاب من مادة إِلَه يَأْلَهُ بمعنى عبد، يعبد، عبادة: أى أطاع إطاعة بتدلل وخضوع، ثم إن لفظ «إله» كـ «كتاب» مصدر واسم مفعول معاً، فكما أن الكتاب مكتوب، فإن الذى جاء بمعنى «مألوه» يأتى أيضاً بمعنى معبود أو مُطاع.

إذا إله فى اللغة يعنى:

1 - العبادة: بتدلل وخضوع.

2 - الاطاعة المطلقة.

كان ذلكم معنى (إله) فى اللغة.

ثانياً - فى محاورات العرب:

جاء الاله فى محاورات العرب بمعنيين:

1 - إِلَه: أى أجرى للمعبود العبادات الدينية مثل: الصلاة والدعاء وتقديم القرابين. و (إلاها) على وزن كتاباً: بمعنى المألوه أى المعبود الذى يُعبد وتُجرى له الطقوس الدينية كما أن الكتاب يرد بمعنى المكتوب. والعرب تسمى كل ما يُعبد: (إلها)، وجمعها: (الالهة) خالقا كان ذلك الاله أو مخلوقاً، مثل الاصنام والتماثيل والشمس والقمر والابقار التى يعبدها الهنود.

2 - يأتى الاله أحياناً بمعنى المطاع (6) كما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

1 - فى سورة الفرقان:

(أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) (الاية 43).

2 - فى سورة الجاثية:

(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) (الاية 23).

والمعنى فى الايتين: (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ): أى أطاع هوى نفسه، ويدل على ذلك قوله

تعالى فى سورة القصص:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) (الاية 50).

3 - فى سورة الشعراء فى حكاية قول فرعون لموسى (ع):

(لَنْ أَتَّخِذَ إِلَهاً غَيْرِي لَاجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) (الاية 29).

ويدل على ذلك (أى على أن فرعون وقومه كانت لهم آلهة يعبدونها) كما حكى عنهم سبحانه وتعالى فى سورة الاعراف فقال:

(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) (الاية

127).

إنَّ الآلهة التى ذكرت هنا كانت معبودات فرعون وقومه، يقربون لها القرابين ويُجرون لها الطقوس الدينية.

أمَّا فرعون نفسه فقد كان إلهًا، أى مطاعًا.

ومن المحتمل أن فرعون - أيضا - كان يدعى لنفسه الالهية بالمعنى الاول، كما جاء عن بعض الاقوام أنهم كانوا يزعمون ان ملوكهم من سلالة الآلهة (شمسا كانت أو غيرها)، ويجرون لهم بعض الطقوس العبادية.

كان ذلكم معنى الاله لدى العرب وغيرهم من الاقوام البائدة والحاضرة.

ثالثا - فى المصطلح الاسلامى:

الاله فى المصطلح الاسلامى من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المعبود، وخالق الخلق. وقد جاء فى القرآن الكريم بالمعنى اللغوى مع وجود قرينة تدل على أن المقصود معناه اللغوى، مثل قوله تعالى فى سورة الحجر:

(الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ) (الاية 96).

فإن لفظى: (آخر) و(مع الله) فى الاية يدلان على أن المقصود من الاله: معناه اللغوى: المطاع والمعبود، وجاء مطلقا فى معناه الاصطلاحى فى آيات كثيرة أخرى من القرآن الكريم، والتى تحصر الالهية فى الله سبحانه كما سنذكره مفصلا فى البحث الاتى.

واجمع القول فى معنى الاله ما نقله ابن منظور فى مادة (اله) من لسان العرب عن أبى الهيثم أنه

قال:

قال الله عز وجل: (ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وما كان معه من إله إذا لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ). قال:
ولا يكون إلهاً حتى يكون مَعْبُوداً، وحتى يكون لعباده خالقاً ورازقاً ومُدَبِّرًا، وعليه مقتدرا، فمن لم
يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبِدَ ظُلْمًا، بل هو مخلوق ومُتَعَبَّد.

ج - معنى لا إله إلا الله

إنَّ معنى الاله فى القرآن الكريم يتَّضح بالتدبُّر فى الايات التى جاءت فى دحض أقوال المشركين فى الالهية وحصرها فى الله العلى القدير، وما حكاها من محاورات الانبياء معهم حولها، كما نراها فى الايات الاتية من سورة المؤمنون.

قال الله سبحانه:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون 13 - 14).

شرح الكلمات

أ - سُلَالَةٌ:

سَلَّ الشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ: انتزعه وأخرجه برفق، يقال: سَلَّ الشعرة من العجين. والسلالة: الصفو الذى ينتزع برفق، وسمَّيت النطفة سلالة لأنها مستخلصة من الغذاء.

ب - نُطْفَةٌ:

النُّطْفَةُ: القليل من الماء. وسمَّى ماء الرجل والمرأة (أى مَنِيَّهِمَا): نطفة.

ج - قَرَارٌ:

قَرَّ الشَّيْءُ فى مكانه قراراً: إذا ثبت ثبوتاً جامداً مستقراً. وأريد به مقر النطفة.

د - مَكِينٌ:

مَكَنَ الشَّيْءُ مكانه: استقر وثبت فى موضعه لا يتزلزل فهو مكين.

والمعنى: جعلنا النطفة فى مقرِّها - الرحم -

هـ - الْعَاقُ: الدم الجامد الغليظ الذى يعلق بما مسّه، والقطعة منه علقة.

و - مُضْغَةٌ:

مضغ اللحم: حرّكه فى فمه وقطّعه بأسنانه ليبتلعه، ويقال لقطعة اللحم التى هى قدر ما يمضغ: مُضْغَة، ومن ثمّ يقال للجنين فى بطن الحامل حين يصير قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم: مضغة بعد أن كان علقه.

ز - أنشأ:

أنشأ الشيء: أوجده وأحدثه وربّاه.

وأنشأ الله الخلق: خلقهم وربّاهم.

تفسير الايات

ولقد خلقنا الانسان من صفو منتزع من طين الارض، ثمّ جعلناه نطفة فى مكان مستقر وهو الرحم، ثمّ صيرنا النطفة دما جامدا غليظا يلزق بما مسّه، ثمّ صيرنا ذلك الدم الجامد لحما كاللمضوغ وبقدر ما يحويه الفم. ثمّ صيرنا المضغة عظاما. فكسونا العظام لحما، ثمّ صيرناه خلقا آخر له أعضاء وروح، فتبارك الله أحسن الخالقين الذى خلق هذا المخلوق.

-
- (1) مادة (الفطرة) من سفينة البحار.
(2) اللفظ لمسلم فى صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة الاحاديث: 22 - 25، ص: 2047 - 2049.
وصحيح البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، 1 / 161 - 162، وباب ما قيل فى أولاد المشركين، 1 / 167، وكتاب التفسير، تفسير سورة الروم، 3 / 116، وكتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين، 4 / 96.
وسنن أبي داود، كتاب السنّة، باب فى ذراري المشركين، 4 / 316 - 317، الحديث: 4714.
وسنن الترمذي كتاب القدر، باب ما جاء كلّ مولود يولد على الفطرة، 8 / 303.
وموطأ مالك، كتاب الجنائز باب جامع الجنائز 1 / 241، ح: 52.
ومسند أحمد 2 / 233 و253 و275 و282 و315 و346 و393 و410 و481 و435 / 4 و24.
(3) رجعنا لتفسير الالفاظ المذكورة فى المتن إلى مفردات الراغب أولا، ثمّ إلى معجم ألفاظ القرآن الكريم، ثمّ لسان العرب، ثمّ المعجم الوسيط.
(4) نفس طلّعة: كثرة التطلّع إلى ما تهواه، والمعنى هنا: كثرة: التطلّع إلى كسب المعرفة.
(5) العلم يدعو للايمان، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1373 هـ، ص 49، بتصرف، تأليف: أ. كريسي موريسون cressy.a morrison ترجمة محمود صالح الفلكي.
رد به على مؤلف كتاب: الانسان يقوم وحده aione manstandsa وسماه: الانسان لا يقوم وحده man aione doesnotstand.
(6) راجع مادة (آله) فى مفردات الراغب. وكتاب «التحقيق فى كلمات القرآن».

عود على بدء

يأتى بعد الايات (12 و 13 و 14) من سورة (المؤمنون) ذكر بعض المخلوقات التى سخرت للانسان، ثم الحديث عن أنواع مخلوقات الله، ثم يقول تعالى فى السورة نفسها:
(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (الاية 23).
ثم يذكر إنشاء الامم الاخرى التى خلقها الله عز وجل، ويفصل بيان كفرها حتى الاية الحادية والتسعين التى يقول فيها:

(مَا آتَخَذَ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...)
(الاية 91).

وهكذا نرى فى هذه الايات أَنَّ الصفة البارزة للالوهية هى (الخالقية)، ولهذا نجد أَنَّ الله عز وجل يسأل المشركين بعد قوله تعالى فى سورة الاحقاف:
(مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) (الاية 3).
قائلا: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ...) (الاية 4).

وكذلك الامر فى قوله تعالى:

أ - فى سورة الرعد:

(أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) (الاية 16).

ب - فى سورة الرعد أيضا:

(قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (الاية 16).

ج - فى سورة المؤمنون:

كما مر أعلاه.

د - فى سورة النحل:

(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (الاية 17).

ويتكرر هذا المعنى فى الاية (20) من سورة النحل والاية (3) من سورة الفرقان و (191) من سورة الاعراف.

فى كل هذه الايات نجد التحدى ومعالجة المشركين فى مسألة توحيد الالهية بأحدية الخالق، وفى الاية الاولى يسأل الله عز وجل الكفار ويقول:
(أرونى ما تدعون من دون الله ماذا خلقوا لكم من الارض).

وفى الاية الثانية يقول:

هل جعلتم لله شركاء لأنكم وجدتم لهم مخلوقات مثل مخلوقات الله وتشابه عليكم خلق الله بخلق غيره؟

ويتساءل فى الاية الثالثة ويقول:

هل يستوى من يخلق مع من لا يخلق؟

وكذلك يقول عز وجل:

(ما كان معه من إله)

وفى آية أخرى - أيضا - يقول:

قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار.

هكذا نرى القرآن الكريم يحتج فى مقام الاستدلال على المشركين الذين يعبدون آلهة أخرى ويشركونهم فى العبادة مع الله الواحد الاحد، ويقول إن خلق الخلق خاص بالله، والالهة الاخرى ليست لها أية قدرة على الخلق.

ومن ثم ندرك ان الصفة البارزة للاله هى الخالقية.

وفى الايات التالية يظهر ذلك بشكل أوضح، حيث قال الله تعالى:

أ - فى سورة الانعام:

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ) (الاية 102).

ب - فى سورة هود:

(قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) (الاية 61).

ج - فى سورة فاطر:

(هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...) (الاية 3).

د - فى سورة الفرقان:

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...) (الاية 3).

هـ - فى سورة الحج:

(يا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاَسْتَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الايتان 73 - 74).

إنَّ الله تعالى يخاطب فى هذا الموضوع من القرآن الكريم كلَّ الناس الذين يدعون آلهة من دون الله ويقول لهم:

استمعوا لهذا المثل: إنَّ الذين تدعون من دون الله (فراعنة كانوا أم أبقارا أم آلهة أخرى) لن يخلقوا ذبابا.

إنَّ أىَّ فرعون من الفراعنة وأَيَّة بقرة معبودة من الابقار، وأىَّ إله آخر من آلهة الناس، لن يخلقوا أقدّر حشرة يعرفها الناس (كلَّ الناس) ومنتشرة فى مجتمعات الناس كلّها، ويتقدّر منها الناس كلَّ الناس!

لن يستطيع أى واحد من تلكم الالهة أن يخلق وحده ذبابة قدرة، ولن تستطيع كلَّ الالهة لو اجتمعت وتظاهرت على خلق ذبابة واحدة.

وان يسلب الذباب تلكم الالهة: (أبقارا كانت، أو فراعنة، أو آلهة أخرى) شيئا فلن تستطيع استنقاذه منه، فلو امتصَّ الذباب - مثلا - من بقرة من آلهة الهندوس دما لما استطاعت تلك البقرة من آلهة الهندوس أن تستنقذ حقّها: دمها المسلوب.

كم هى عاجزة وضعيفة تلك البقرة من آلهة البشر؟! وكم هو عاجز، وضعيف من يطلب حاجة من هذه الالهة الضعيفة! ضعف الطالب والمطلوب؟! وأخيرا ما قدروا الله حق قدره، الله الذى خلق الخلق أجمعين إنَّه لقوىٌ عزيز.

وبناء على هذا فإن الخلق كلّ من الله تعالى وحده، وهو الذى يخلق الخلق ويوجد كلَّ موجود ويحيى ويميت، وهو مالك كلِّ شىء.

فلا يوجد مؤثّر آخر فى عالم الخلق غير الله تعالى كى نتّجه إليه فى طلب حاجتنا، ومن ثمَّ يجب أن نعبد وحده ونطلب الحوائج منه وحده.

والايات التالية - أيضا - توضّح هذا المعنى حيث يقول الله تعالى فى:

أ - سورة الانعام:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) (الاية 46).

ب - سورة الاعراف:

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) (الاية 158).

ج - سورة القصص:

(مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ) (الاية 71).

د - سورة الزمر:

(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانَّى تُصْرَفُونَ) (الاية 6).

هـ - سورة الدخان:

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) (الاية 8).

و - سورة طه:

(إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الاية 98).

ز - سورة الاسراء:

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) (الاية 42).

ح - سورة مريم:

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) (الاية 81).

ط - سورة الانبياء:

(أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا) (الاية 43).

ي - سورة يس:

(ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ) (الاية 23).

ك - سورة يس - أيضا :-

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) (الاية 74).

ل - سورة هود:

(فَمَا أَغْنَتْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) (الاية 101).

وهكذا يصرّح القرآن الكريم بأنّ كلّ أنواع خلق الخلق مخصوص بالاله الواحد، من إنزال المطر، وإنبات النبات، وشفاء الامراض، والنصرة على العدوّ المقتدر، وإزالة الفقر، كلّ هذه الامور وأمثالها، وكلّ فعل آخر فى الوجود إنّما هو من الله تعالى وحده، فهو الاله الحقيقى للعالم، ليس له شريك فى قدرته وأفعاله، وهو أحد لا شبيه له: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) وهو الله عزّ وجلّ كما وصف نفسه جلّ اسمه وقال تعالى فى:

أ - سورة النساء:

(إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) (الاية 171).

ب - سورة المائدة:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ) (الاية 73).

ج - سورة النحل:

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ) (الاية 51).

ولمّا كانت الالهية لله وحده فالعبادة إذا لا تكون إلّا له وحده، ولا يجوز عبادة غيره معه كما

قال تعالى فى:

أ - سورة طه:

(إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى) (الاية 14).

ب - سورة الانبياء:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الاية 25).

وصدق الله العظيم حيث يقول فى سورة النمل:

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَخَبِيرٌ وَبَشِيرٌ ؕ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَخَبِيرٌ وَبَشِيرٌ ؕ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ إِنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ إِنَّ اللَّهَ قَلِيلٌ مَا تُحْسِنُونَ * بَرَاهَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الايات 60 - 64).

إذا فإنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكذلك ليس لله بنات وبنون كما زعمه من ندرس قوله في ما يأتي بحوله تعالى.

د - الله بنات وبنون؟

في القائلين بتعدد الالهة من خرقوا لله بنات وبنين كما أخبر الله سبحانه عنهم فقال:
أ - في سورة الصافات:

(فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) (الاية 149).

(أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) (الاية 150).

(أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ) (الاية 151).

(وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (الاية 152).

(أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) (الاية 153).

(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (الاية 154).

ب - في سورة الزخرف:

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ*

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) (الاياتان 19 - 20).

(أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ) (الاية 16).

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) (الاية 17).

إن أولئك المشركين عبدوا الملائكة في عبادتهم اللات والعزى ومناة، الاصنام الثلاثة التي كانوا

يعتقدون أنها تماثيل للملائكة كما أخبر عنهم الله سبحانه وتعالى في سورة النجم حيث قال:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْإُنثَىٰ * تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ) (الآيات 19 - 23).

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْإُنثَىٰ) (الآية 27).
(وما لهم به من علم إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) (الآية 28).
ومنها من كان يعبد الجنَّ كما أخبر الله سبحانه عنهم وقال:

أ - فى سورة الانعام:

(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يُكَونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الآيتان 100 - 101).

ب - فى سورة سبأ:

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءُ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) (الآيتان 40 - 41).
وأولئك المشركون الذين عبدوا الملائكة قد انقضوا وبادوا وبقي ذكر عملهم.

وبقى إلى عصرنا من الذين قالوا بأنَّ لله ولدا النصراني؛ كما أخبر الله عنهم وقال فى:

أ - سورة التوبة:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الآية 30).

ب - سورة النساء:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (الآية 171).

(لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) (الآية 172).

ج - سورة المائدة:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الآيات 72 - 76).

د - وقال فيها - أيضا :-

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الآية 17).

هـ - سورة آل عمران:

(إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (الآية 59).

و - سورة مريم:

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (الآيات 88 - 93).

وقد ردَّ الله سبحانه أقوالهم جميعا بقوله تعالى في سورة الاخلاص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (الآيات 1 - 4).

شرح الكلمات

أ - إِفْكَهْم:

الافك: الكذب والافتراء، والصرف من الحق إلى الباطل.

ب - كَظِيمٌ:

الكظيم معناه: شديد الشعور بالغم والكرب.

ج - ضيزى:

ضازَ وضازَ: جار في الحكم، وقسمة ضيزى: قسمة جائزة.

د - سلطان:

السلطان هنا بمعنى: الحجّة والبرهان.

هـ - خرّقوا:

خرق الشيء: ادّعاه كذبا.

و - بدّيعُ:

بدع الشيء: أنشأه وبدأه على غير مثال سابق.

وبدّيع السموات والارض: أى موجدتهما بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان. ولا يقال لغير

الله بدّيع.

ز - يضاهائون:

ضاهاه: شابهه، ويضاهائون: يشابهون ويشاكلون.

ح - إذا:

الادّ: الداهية والشى المنكر والامر الفظيع.

ط - هدّ:

الهدّ: الهدم الشديد، وهو نقض البناء واسقاطه.

ى - المسيحُ:

لُقّب عيسى بن مريم (ع) بالمسيح تعريب (مسيحا) بالعبرانية لأنّه كان يمسح الابرص والاكمه،

فبإذن الله تعالى.

ك - الكلمة:

المخلوق الذى خلقه الله تعالى بكلمة (كن) أو نحوها دون توسّط المؤلف من أسباب الخلق.

وقد اطلقت الكلمة بهذا المعنى على عيسى (ع) لأنّ الله خلقه بها كما قال سبحانه:

أ - مخاطبا زكريّا (ع):

(أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ) (آل عمران / 39).

ب - ومخاطبا مريم (ع):

(إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) (آل عمران / 45).

ج - وفي الآية المذكورة:

(إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ).

وإطلاق الكلمة على عيسى (ع) من قبيل إطلاق السبب على المسبب.

ل - صِدِّيقَةٌ:

الصديق: من لا يكذب قط؛ من لا يتأتى منه الكذب، لتعوده الصدق، من صدق بقوله واعتقاده

وحقق صدقه بفعله، والصديقون: هم دون الانبياء في الفضيلة.

م - عَبْدًا:

العبد هنا: المملوك الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا موتا.

ن - الصَّمَدُ:

الصَّمَدُ: الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

اي: لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الاشياء الكثيفة تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف

كالنفس، لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعتريه همٌ وحزن وخوف وبكاء ورجاء ورغبة وبهجة وضحك

وجوع وشبع وسأم. ولم يخرج من شيء كما تخرج الاشياء الكثيفة من نظائرها مثل؛ الدواب من

الدواب، والنبات من الارض، والماء من الينابيع، والثمار من الاشجار.

ولم يتولد من شيء كالنار من الجمر، ولم يصدر من شيء مثل الكلام من اللسان والمعرفة

والتمييز من القلب، والضوء من الشمس، والنور من القمر.

لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الاشياء وخالقها

ومنشئ الاشياء بقدرته، يتلشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله

الصَّمَدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

تفسير الايات:

في الايات الانفة أخبر الله سبحانه عن بعض اليهود في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله

وسلم) أنهم قالوا: عزيز ابن الله، وهؤلاء بادوا كما باد المشركون الذين كانوا يقولون في عصر

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الملائكة بنات الله.

وبقى النصارى حتى عصرنا الحاضر يقولون فى المسيح، كما أخبر الله عنهم وقال:
(وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ).

وقالت: أن الله ثالث ثلاثة: الاب والابن وروح القدس، وليس يدرى كيف يكون الواحد ثلاثة
والثلاثة واحدا. إن النصارى شابهوا الذين كفروا فى قولهم هذا؛ وبهذا القول اعتقدوا بأن المسيح هو
الله. وما المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وكانت أمه صديقة، وكانا يأكلان الطعام كسائر
البشر، ومن يأكل الطعام لا بد له من التغوط كسائر من يأكل الطعام وليس بإله، بل كان عيسى ابن
مريم كلمة الله؛ ألقاها إلى مريم. وإن كانت النصارى تقول: إنه ابن الله لأنه ولد بلا أب؛ فإن مثله
عند الله كمثل آدم الذى خلقه من تراب ثم قال له كن فكان. وإن يك يجعل الله البنون، تعالى الله
عما يصفون، فإن آدم أخرى أن يكون لله ابنا. ومعاذ الله من هذا القول الباطل بل انهما - آدم
وعيسى - والملائكة والجن والانس والسموات والارضون من خلق الله. وصدق الله حيث يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (التوحيد 1 - 4).

وقال الامام الحسين (ع) فى جواب كتاب أهل البصرة يسألونه عن «الصمد» فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا فى القرآن بغير علم، ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا
فيه بغير علم فقد سمعت جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول من قال فى القرآن بغير
علم فليتبوء مقعده من النار وان الله سبحانه وتعالى قد فسر الصمد، فقال الله احد الله الصمد ثم
فسره فقال: (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) لم يخرج منه شىء كثيف كالولد وسائر الاشياء
الكثيفة التى تخرج من المخلوقين ولا شىء لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البدوات كالسنة والنوم
والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع
تعالى الله ان يخرج منه شىء وان يتولد منه شىء كثيف أو لطيف ولم يولد ولم يتولد من شىء ولم
يخرج من شىء كما يخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالشئ من الشئ والدابة والنبات من
الارض والماء من الينابيع والثمار من الاشجار ولا كما يخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها كالبحر
من العين والسمع من الاذن والشم من الانف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتميز
من القلب وكانار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذى لا من شىء ولا فى شىء ولا على شىء

مبدع الاشياء وخالقها ومنشئ الاشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذالكم الله الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (1) .

نتيجة البحث

فى القائلين بتعدد الالهة من قال: انّ الملائكة بنات الله؛ مثل مشركى قريش، وأولئك قد بادوا وانقرضوا.

ومنهم من قال: انّ عزيرا ابن الله؛ مثل بعض اليهود فى عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأولئك أيضا بادوا وانقرضوا.

ومنهم من قال: انّ عيسى بن مريم ابن الله وانّ الله ثالث ثلاثة: الاب والابن وروح القدس، ولا تزال النصارى تقول ذلك.

ومنهم من كان يعبد الجنّ، وأولئك اختلفت أقوالهم ومذاهبهم فى الجنّ فى العصور المختلفة. وقد أبان الله زيف أقوالهم فى القرآن مثل قوله عن عبّاد الملائكة، أنّهم حين يقولون: انّ الملائكة بنات الله وأنّهم انا، أشهدوا خلق الملائكة ورأوها انا؟!؛

وقوله فى المسيح وامّه: إنّهما كانا يأكلان الطعام فى حين أنّا نعلم انّ أكل الطعام يلزمه خروج الغائط منه؛ والاكل والتغوّط من صفات البشر.

وقال سبحانه: انّ مثل عيسى فى ولادته بغير أب كخلق آدم من تراب بغير أب ولا أمّ. وانّ عيسى والملائكة والجنّ ومن فى السموات والارض كلّهم عبيد الله. وانّ الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

كذلكم يستدلّ القرآن بحصر الالهية أى الخالقية فى الله جلّ اسمه وحده لا شريك له، وانّ ما عدا الخالق الواحد الاحد المتعال مخلوقون لله، وسوف ندرس فى البحث الاتى بإذنه تعالى أصناف خلق الله حسب تسلسلهم فى الوجود.

(3)

أصناف خلق الله في القرآن الكريم

أ - الملائكة.

ب - السموات والارض والكواكب.

ج - الدواب.

د - الجن والشیاطین.

هـ - الانسان.

و - شرح الايات وتفسيرها من الروايات.

1 - الملائكة

ومفرده الملك: صنف من خلق الله لهم أجنحة وحياة وموت، وهم عباد يعبدونه ويعملون بأمره، ولا يعصونه، وأحيانا يتمثلون بصورة إنسان عند أداء واجبهم، ويختار الله منهم رسله، كما أخبر تعالى عن كل ذلك وقال عز اسمه في:

أ - سورة فاطر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الاية 1).

ب - سورة الزخرف:

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ) (الاية 19).

ج - سورة الشورى:

(وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ) (الاية 5).

د - سورة النحل:

(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (الاية 50).

وقال عن تمثلهم بصورة الانسان:

1 - لمريم (ع) في سورة مريم:

(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) (الآيات 17 - 19).

2 - لانزال العذاب على قوم لوط (ع) في سورة هود:

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ *... وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ *... قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ...) (الآيات 69 - 81).

3 - لنصرة المسلمين كمقاتلين في غزوة بدر:

في سورة الانفال:

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الآية 9).

وجاء بعدها:

(إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) (الآية 12).

وفي سورة آل عمران:

(إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) (الآيات 124 - 125).

ويختار منهم رسلا كما قال تعالى في سورة الحج:

(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (الآية 175).

ومنهم من يرسلهم بالوحي كما قال تعالى في:

أ - سورة التكوين:

(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) (الآية 19 - 21).

ب - سورة البقرة:

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (الآية 97).

ج - سورة الشعراء:

(وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) (الآيات 192 - 194).

د - سورة النحل:

(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُهْدِيَ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (الآية 102).

هـ - سورة البقرة:

(وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) (الآيتان 87 و 253).
وينزلون بالتقدير في ليلة القدر، كما قال سبحانه في سورة القدر:
(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) (الآية 4).
ومنهم الرقيب العتيد للانسان، كما قال سبحانه في سورة ق:
(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى
الْمَتَلَقِّينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٍ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (الآيات 16 - 18).
ومنهم ملك الموت، كما قال سبحانه في سورة السجدة:
(قُلْ يَتُوفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (الآية 11).
ومنهم أعوان ملك الموت، كما قال سبحانه في:

أ - سورة الانعام:

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) (الآية 61).

ب - سورة النحل:

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...) (الآيتان 28 - 29).
(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الآية 32).
وأخبر الله سبحانه عن شأنهم يوم القيامة، وقال في:

أ - سورة المعارج:

(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (الآية 4).

ب - سورة النبأ:

(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (الاية 38).
وفرض الله علينا وجوب الايمان بهم كما قال تعالى فى سورة البقرة:
(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) (الاية 177).
وقال فيها أيضا:
(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) (الاية 98).

شرح الكلمات

أ - فاطر:

فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ: خلقهم وبدأهم فهو فاطر.

ب - حَنِيذ:

حَنَذَ اللَّحْمَ: شواه بين حجرين فاللحم حنيذ.

ج - نَكَرَهُمْ:

استوحش منهم ونفر.

د - مُرْدِفِينَ:

أَرْدَفَهُ: أركبه خلفه وهو مُرْدِف.

وملائكة مردفين: أى يأتون فرقة بعد فرقة متتابعين.

هـ - ثَبَّتُوا:

ثَبَّتَ: دفع عنه أسباب الوهن والتزعزع وقوّاه وأبقاه مستقرا.

و - مُسَوِّمِينَ:

سَوَّمَ الشَّيْءَ: معلّمين أنفسهم أو خيولهم بعلامات.

والملائكة مسوّمين: معلّمين أنفسهم أو خيولهم بعلامات.

ز - مَكِين:

مكين من الملائكة: عظيم القدر والمنزلة.

ومكين هنا بمعنى صاحب قرب ومنزلة عند الله.

ح - مُطَاع:

مطاع من الملائكة: الملك الذي يأمر أعوانه من الملائكة فيطيعونه.

ط - البَيِّنَات:

آيات بيِّنات: واضحات ظاهرات.

ي - حَبْلُ الْوَرِيد:

تشبيه لعرق الوريد بالحبل.

ك - الْمُتَلَقِّينَ:

الملك الموكَّلان بمراقبة الممر وتسجيل ما يأخذانه عنه من أقوال وأفعال في كتاب يلقاه يوم

القيامة منشورا.

ل - رَقِيب:

حافظ مُراعٍ.

م - عَتِيد:

أعددت الشيء واعتدته: أحضرته وهيأته للامر فهو معتدّ وعَتِيد.

ن - تَوَقَّاهُمْ:

توفى الله أو الملك الانسان، اذا قبض روحه بإماتته.

س - الرُّوح:

الروح: ما به حياة الاجساد وإذا خرج من الانسان أو الحيوان مات، ولا يمكننا معرفة حقيقته،

كما أشار الله تعالى إلى ذلك وقال في سورة الاسراء:

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الاية 85).

ويضاف إلى الله تشريفاً أو بمعنى الملك، مثل قوله تعالى للملائكة:

1 - في خبر خلق آدم (ع) في سورة الحجر:

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الاية 29).

2 - في خبر خلق عيسى بن مريم (ع) في سورة التحريم:

(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) (الاية 12).

فأن مثل نسبة الروح إلى الله هنا كمثل نسبة البيت إلى الله في قوله لابراهيم في سورة الحج: (وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ) (الاية 26)، فإن إضافة البيت الحرام إلى الله تشريفا له عن سائر بقاع الارض، وكذلك شأن إضافة الروح إلى الله في الايتين المذكورتين. والروح - أيضا - ما به حياة النفوس وهداها، مثل الوحي والنبوة والشرايع الالهية والقرآن خاصة، كما قال سبحانه في:

1 - سورة النحل:

(يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (الاية 2).

2 - سورة الشورى:

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) (الاية 52).

إن الروح الذى أوحى إلى رسول الله هو القرآن، والروح غير الملائكة، كما ورد ذكره في قوله تعالى في:

1 - سورة القدر:

(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) (الاية 4).

2 - سورة المعارج:

(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (الاية 4).

وسبأتي بيانه عن الامام على (ع) إن شاء الله تعالى.

ع - الامين:

الامين: هو الثقة المئتمن على تبليغ الوحي، وقد وصف الله الملك الروح بالامين في قوله تعالى

في سورة الشعراء:

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) (الايتان 193 - 194).

ف - القدس:

قدس قدسا: طهر، وروح القدس: روح الطهر، وقد وصف الله الملك الروح - أيضا - بالقدس

في قوله تعالى:

1 - في سورة البقرة:

(وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) (الايتان 87 و253).

2 - فى خطابه لخاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) فى سورة النحل:
(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (الاية 102).

ص - تَعْرِجُ:

عَرَجَ الشَّيْءُ عُرُوجًا: ارتفع وعلا، وعرج مثل درج بمعنى مشى مشى الصاعد فى درجه.

تخيّلات عن عالم الغيب

فى أمثال هذه البحوث عن عوالم الغيب كثيرا ما تجرى من قبل أناس فى مختلف مستويات المعرفة محاولات متنوعة لمعرفة ما ورد فى القرآن الكريم والحديث الشريف من ذكر عوالم ما وراء المحسوس قياسا على المشهور من عالم المادة، فيهيّمون فى عالم الخيال، ويُسمّون تخيّلاتهم بالعلم والمعرفة. وفى ما يأتى نبين سبب ذلك بإذنه تعالى:

وسائل العلم والمعرفة

إنّ وسائلنا لمعرفة الاشياء والعلم بها فى ما عدى ما ذكرنا من الاستنتاج العقلى فى بحث الميثاق تنحصر فى نوعين:

النوع الاول: ما نميّزه بحواسنا، وبما أنّ حواسنا خلقت لنميّز بها الموجود فى عالمنا المادى المحسوس بالحواس، فهى لا تعمل فى غير عوالم المحسوسات المادية.

النوع الثانى: ما نعرفه عن طريق النقل والحكاية؛ مثل ما نعلم بما فى بلد لم نره عن طريق النقل والحكاية، وتحدّ معلوماتنا فى هذا النوع بحدود المنقول لنا، ويحصل لنا هذا النوع من المعرفة بثبوت صدق ناقل الخبر عمّا يُحدّث به.

ومن هذا النوع من المعرفة ما حدّثت به رسل الله وأنبياءه صلوات الله عليهم أجمعين عن عوالم السموات فوق النجوم والكواكب وعالم الملائكة وعالم الجن ومشاهد يوم القيامة، وفوق كلّ ذلك ما حدّثونا به من صفات الله تقدّست أسماؤه، ويحدّ هذا النوع من العلم بحدود ما ينقلونه لنا، بعد أن ثبت لدينا صدق نبوتهم ورسالتهم عن الله سبحانه وتعالى. ولا يمكن أن نخضع أى شىء مما حدّثونا به عن تلكم العوالم بتشخيص حواسنا له. والعقل بعد ذلك يحكم بصحة الاحساس والنقل أو عدم صحتهما.

خلاصة البحث

الملائكة صنف من خلق الله وجنوده وعباده، لهم أجنحة وحياة وموت، وإرادة وعقل ويتمثلون أحيانا فى صورة إنسان عند أداء واجبه، وهم على درجات من الفضل مثل: الروح الامين، وروح القدس، ويختار الله منهم رسل لتبليغ الوحي، وإنزال مقدّرات الانسان فى ليلة القدر، ومنهم الملكان اللذان يسجّلان عمل الانسان، ومنهم ملك الموت وأعوانه، ويحشرون يوم القيامة، ويقومون بما يأمرهم الله به ولا يعصونه.

ولما كانت وسائلنا للعلم والمعرفة تنحصر بنوعين:

أ - المشاهد المحسوس: وهذا ما نعرفه ونميّزه بتشخيص الحواس له.

ب - المنقول لنا: مثل ما ينقل لنا عن أمور فى بلد لم نره، ويشترط فى طريق المعرفة الثانية أن نطمئن إلى صدق ناقل الخبر لنا.

وبما أن عوالم الملائكة والجن والروح ويوم القيامة وبدء الخلق ليست من العوالم المحسوسة المشهودة لنا، فلا طريق لنا لمعرفة إلا بما تنقله رسل الله لنا بعد أن ثبت صدق رسالته من قبل الله. وما تقوله أصحاب النظريات عن هذه العوالم إن هو إلاّ تخيلات وظنون لا تغنى من الحق شيئا.

وما جاء من قوله تعالى: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) وَ(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) لا يعنى أن ذلك الماء كان مثل الماء الذى نشاهده اليوم على الارض مكوّنا من (أوكسجين وهايدروجين) بالنسب المعينة، وإنّ الدخان كان متصاعدا من النار كالدخان الذى نشاهده اليوم، بل قد يكون المراد تشبيه ذلك الماء بالماء الذى نشاهده اليوم، والدخان بالدخان الذى نشاهده اليوم متصاعدا من النار، وسوف يأتى معنى العرش فى بحث الربوبية إن شاء الله تعالى، ونذكر معنى السماء والسموات فى القرآن الكريم فى البحث الاتى بحوله تعالى.

2 - السَّمَوَات، وَالْأَرْضُ وَسَمَاؤُهَا

أولاً - السماء والسموات:

أ - السماء..

1 - فى اللغة العربية:

سما الشئ يسمو سموًا وسماء: علا وارتفع وتطاول، وسمًا كل شئ أعلاه، وكل شئ اظلك فهو سماء..

2 - فى القرآن الكريم:

جاء ذكر السماء بلفظ الواحد فى القرآن الكريم، وأريد به تارة الجو الذى فوق الارض ومحيط بها، مثل قوله تعالى فى:

1 - سورة النحل:

(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ) (الاية 79).

2 - سورة البقرة:

(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) (الاية 22).

وإنَّ الانسان يرى بالعين المجردة كيف يطير الطير فى جو سماء الارض، وكيف ينزل الغيث من الغمام المسخر فى سماء الارض، وقد يصعد الانسان جبلا فيرى الشمس فى السماء أعلاه تشرقه والغمام دونه فى سماء الارض التى تملأ الارض وتحيط بها.

وتارة يأتى لفظ السماء فى القرآن الكريم ويُراد به ما علا الارض من الكواكب والسموات

السبع، كما قال سبحانه فى:

1 - سورة البقرة:

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) (الاية 29).

2 - سورة النمل:

(وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الاية 75).

3 - سورة الانبياء:

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...) (الاية 104).

فإنَّ المراد من السماء في هذه الايات كلَّ ما علا الارض وكانت الارض تحته، أى السموات السبع وما دونها ممَّا علا الارض.

ب - السموات:

جاء لفظ السموات في القرآن الكريم وأريد به السموات السبع، كما قال سبحانه في سورة البقرة: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الاية 29).

ثانيا - الارض:

جاء ذكر الارض في القرآن الكريم (451) مرةً بلفظ الواحد، وورد معطوفاً على السموات مرة واحدة، في قوله تعالى في سورة الطلاق:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...) (الاية 12).

ونفهم من التماثل بينهما هنا التماثل في الخلق وليس في العدد، وإذا اكتشف للارض سبع طبقات؛ عندئذ لقائل أن يقول بأن المراد من التماثل بين السموات السبع والارض تماثل في عدد طبقات الارض والسماء. وسماء الارض هو الجو المحيط بالارض والذي مرَّ ذكره في سورة النحل / 79.

(1) البرهان في تفسير القرآن / البحراني / ج 4. ص 525.

ثالثا - بدء الخلق:

جاء ذكر بدء خلق السموات والارض في آيات متعدّدة، ولا بدَّ من أخذ تفسيرها ممن قال الله في شأنه في سورة النحل:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (الاية 44).

وقد رويت أحاديث كثيرة في بيان بدء الخلق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، غير أنَّ تلك الاحاديث لم تُدرَس من قبل العلماء سنداً وممتناً؛ مثل أحاديث الاحكام وآيات الاحكام، ولا يتسع المجال هنا لدراستها.

وإذا اقتصرنا في دراسة بدء الخلق على ما يفهم من ظواهر الايات مع الاستفادة مما تطمئن النفس إلى صحته من الروايات، أو ما يغلب على الظنّ صحتها، نستعين الله ونقول:

بدء الخلق

وصف الله سبحانه وتعالى بدء الخلق وما كان بعده بقوله في:

أ - سورة هود:

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) (الاية 7).

ب - سورة يونس:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) (الاية 3).

ج - سورة الفرقان:

(الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) (الاية 59).

د - سورة الانبياء:

(أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الاية 30).

هـ - سورة البقرة:

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الاية 29).

و - سورة فصلت:

(قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيْنِ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (الايات 9 - 12).

ز - سورة الطلاق:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ... (الاية 12).

ح - سورة النازعات:

(ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)
(الآيات 27 - 33).

ط - سورة الشمس:

(وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا) (الآيتان 5 - 6).

ي - سورة الحجر:

(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) (الآيتان 19 - 20).

ك - سورة طه:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لَأُولِيَ النُّهْيِ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ
وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (الآيات 53 - 55).

ل - سورة البقرة:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الاية 22).

م - سورة نوح:

(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) (الاية 15).
(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) (الآيتان 19 - 20).

ن - سورة الغاشية:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفُ نُصِبَتْ *
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) (الآيات 17 - 20).

س - سورة النمل:

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الآيتان 60 - 61).

ع - سورة الانبياء:

(وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) (الآيتان 31 - 32).

ف - سورة المرسلات:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيًا شَامِخَاتٍ ...) (الآيات 25 - 27).

ص - سورة يونس:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ *) (الآيتان 5 - 6).

شرح الكلمات

أ - اليوم:

يأتى اليوم بمعنى الزمن الممتد من طلوع الفجر أو الشمس إلى غروبها. وكذلك الزمان المقرون به حدث من الاحداث؛ ومنها أيام الحروب وإن امتدت إلى أيام مثل يوم الخندق، ويوم صفين.

ب - ثم:

ثم: يدل على تأخر ما بعده عما قبله بالزمان أو المرتبة أو المكان.

فالاول: مثل قوله تعالى فى سورة الحديد:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ... * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (الآيتان 26 - 27).

والثانى: مثل ما جاء فى جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لرجل سألَه وقال:

من أْبْرُ؟ قال: أُمَّكَ.

قال: ثُمَّ مَنْ؟

قال: أُمَّكَ.

قال: ثُمَّ مَنْ؟

قال: أَبَاكَ.

والثالث: قولك: ذهبت من بغداد إلى كربلاء ثُمَّ النجف.

ج - الدخان:

الدُّخَان: ما يكون مع لهيب النار، وقد يقال للبخار وما على صورته: الدخان.

د - استوى:

استوى عليه: استولى عليه، واستوى إليه: انتهى إليه، ويأتى مزيد بيان لمعناه ومعنى (الرَّحْمَن) و(الْعَرْش) و(سَوَّاه) فى بحث صفات الرَّبِّ بُعيد هذا إن شاء الله تعالى.

هـ - الرَّتْقُ:

الرتق: الضَّمُّ والالتئام.

و - جَعَلَ:

تأتى جعل بمعنى خلق وأوجد، مثل قوله تعالى:

أ - فى سورة المائدة:

(اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ) (الاية 20).

ب - فى سورة النحل:

(وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ) (الاية 81).

وبمعنى صَيَّره، مثل قوله تعالى فى سورة البقرة:

(الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا) (الاية 22).

وبمعنى شرع وحكم وقدر، مثل قوله تعالى فى سورة المائدة:

(لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (الاية 48).

وبمعنى سَخَّرَ: أى هداه تسخييراً، مثل قوله تعالى فى سورة الانعام:

(وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ) (الاية 6).

أى وهدينا الانهار تسخيرًا لتجرى من تحتهم (1) .

ز - الرّواسى:

الرّواسى: مفردة الراسى: الجبل الثابت الراسخ.

وأرساه: أثبتته وأرسخه فى موضعه.

ح - قضاهنّ:

قَضاهُنَّ: هنا بمعنى قدَّرهنَّ وأتمَّ خلقهنَّ.

ط - أوحى فى كلّ سماء أمرها:

عَلَّمَ ملائكة كلّ سماء الامر الذى خلقهم من أجل القيام به. وسخَّر سائر ما خلق فيها أن يَسِرْنَ وفق النظام الذى قدَّره لهنّ.

ى - بناها:

بنى البيت: أقامه.

وفى الآية: خلقها مسوَّاة محكمة.

ك - السَّمَك:

السّمك: السقف، ومسافة الشىء من أسفله إلى أعلاه، وإذا قصد ذكر المسافة من الاعلى إلى

الاسفل قيل: العمق.

ل - سوَّى:

سوَّاه: جعله على كمال واستعداد لما أنشئ من أجله.

م - أَعْطَشَ:

أَعْطَشَها: أظلمها.

ن - الضُّحى:

الضُّحى: طلوع الشمس وصفاء ضوئها، وارتفاع النهار.

وأخرج ضحاها: أبرز نهارها.

س - دحاها:

دحا الشىء: أزاله عن موقعه، بسطة ومهَّده. والارضَ دَحَاها: بسطها ومهَّدها للسكنى والتقلُّب فى

أقطارها.

ع - طحّاهَا:

طحّاهَا: بسطها.

ف - مَدَدْنَاهَا:

مَدَّ: بسط في طول واتصال. وفي الآية: بسطناها ومهدناها للعيش عليها.

ص - موزون:

الْوَزْنُ: تقدير الاجسام بما يعادله في الثقل أو في الطول والعرض أو في الحرارة والبرودة. وَوَزَنَ الشَّيْءَ: قدره بما يعادله، فهو موزون. والمعنى في: وأنبئتنا فيها من كلّ شيء موزون أى: أنبئتنا في الارض من كلّ شيء ما يتناسب مع محيطه ولما خلق من أجله، وعلى قدر الحاجة إليه، وبما تقتضيه الحكمة في ذلك.

تفسير الايات

معنى الايات حسب ظواهر معانى ألفاظها، والله أعلم:

إنَّ الله تعالى، قبل أن يخلق السموات والارض، كان قد خلق ماء، لا يعرف حقيقته غيره، وكان عرشه على ذلك الماء وحده، أى انَّ الملائكة الذين يعملون بأمره كانوا على ذلك الماء، ولما اقتضت مشيئته وحكمته - تبارك وتعالى - أن يخلق ما عداه، بدأ خلق الارض من ذلك الماء قبل أن يخلق السماء، ثم بدأ خلق السماء من بخار الارض ولهييها، وتساعد ذلك البخار أو الدخان من الارض، وكذلك فتق الله السماء من الارض (2) - والله أعلم - بعد أن كانتا رتقا، أى مُنْظَمَتَيْنِ، وصار ذلك الدخان أو البخار للارض سماء، وفتق تلك السماء وجعلها سبع سماوات طباقا.

ونجد هذا التفسير في كلام الامام على (ع)، حيث قال:

(جَعَلَ مِنْ مَّاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرَ... يَبْسَا جَامِدًا، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ

ارتقاقها)(3).

وأتمَّ الله خلق السموات والارض في ستة أيام: أى ستة مراحل عملٍ كالآتى بيانه:

أولاً - خلق الارض:

خلق الله الارض في يومين وجعل فيها جبالا راسيات، وفي تمام الاربعة أيام خلق الشمس في جو السماء، وأجرى الماء على وجه الارض، ثم قدر سائر الاقوات من النبات وغيره؛ أى جعل في

طبيعة الماء وطبيعة كلّ ذى حياة أن يخلق من الماء، ثمّ استوى إلى السماء؛ أى بدأ خلق السماء بعد خلق الارض، وكانت السماء دخانا أو بخارا، فارتفع ذلك البخار من بحار الارض، أو ذلك اللهب من براكين الارض، وفق الله السماء عن الارض بعد أن كانتا رتقا، ورفع سمك السماء على الارض - والله أعلم - ثمّ قال لتلك السماء والارض:
(ائتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين).

فأتت السماء بما فيها من المجرات وكواكب المجرات، وغيرها، مما الله بها عليم، ثمّ دحا الارض؛ أى أبعداها من قرب السماء وبسطها وجعل فيها الانهار والاشجار وسائر النباتات ثمّ الحيوانات.

وقضى؛ أى جعل السماء التى كانت بعد فتقها عن الارض، فوق الارض، سبع سموات فى يومين، وأوحى فى كلّ سماء أمرها: أى نظام سيرها لادامة بقائها. وزينّ سماء الدنيا بمصابيح وهى الكواكب، وجعل من الكواكب ما يحفظها من استراق سمع الشياطين، كما يأتى بحثه، إن شاء الله تعالى.

وجعل الشمس مضيئة والقمر منيرا، وقدّر القمر منازل فى مسيره؛ ينزل كلّ ليلة منزلا غير ما نزله فى الليلة السابقة، ويبتعد عن الشمس حتى يوافيها من الجانب الاخر فى شهر قمرى كامل؛ وبذلك تتكون الشهور والسنون ليعلم الناس عدد السنين والحساب. وأنبأ فى الارض من كلّ شىء موزون،

وجعل الارض مهدا للانسان يجمع فيها أحياءه وأمواته، ومنها يحشره يوم القيامة. وبناء على ما ذكرنا، نستنبط من الايات المذكورة أنّ الارض متقدمة زمانا على السماوات ومقدمة رتبة - أيضا - على ما عداها مما خلق الله، بما خلق عليها من الانبياء والاوصياء والاولياء، وأنّ الله تعالى قد خلق جميع ما فى السماوات والارض لنفع أهل الارض لمقام أوليائه عليها، فقد قال سبحانه فى:

أ - سورة لقمان:

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (الاية 20)

ب - سورة الجاثية:

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...) (الاية 13).

ونستنبط من الايات المذكورة - أيضا - أنَّ خلق أقوات الانسان من الماء واللَّحوم والنبات متقدِّم على خلق الانسان، كما صرَّحت الايات بأنَّ الجنَّ خلقوا من نار السموم قبل خلق الانس من الطين، وكذلك الملائكة خلقوا قبل الانسان، لأنَّه سبحانه وتعالى قال في سورة الحجر: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ) (الايات 26 - 28).

ثانيا - الكواكب

أخبر الله تعالى عن البروج والكواكب والشهب فقال في: أ - سورة الحجر:

(وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ) (الايات 16 - 18).

ب - سورة الصافات:

(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) (الايات 6 - 10).

ج - سورة الفرقان:

(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) (الاية 61).

د - سورة يونس:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ...) (الاية 5).

هـ - سورة نوح:

(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) (الاية 16).

و - سورة التوبة:

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (الاية 36) (4) .

ز - سورة النحل:

(وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) (الاية 16).

ح - سورة الانعام:

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...) (الاية 97).

شرح الكلمات

أ - البُرُوجُ: واحدها البرج، وهى على الارض: القصر والحصن. وفى السماء: مجموعة نجوم يمر بها القمر والشمس وغيرهما من الكواكب والنجوم. ومنها مجموعة نجوم لو رسمناها على الورق - مثلا -

ورسمنا بينها خطا لشابهت العقرب، وهى من منازل القمر.

وللقمر فى مأثرى من سيره اثنا عشر برجاً حسب اصطلاح المنجمين، وسنتحدث فى آخر البحث - إن شاء الله - عن مخاطبة القرآن للناس بما يشاهدونه ويرونه عياناً.

ب - رَجِيم:

الرَّجِيم: المطرود عن الخيرات أو عن منازل الملا الاعلى، أو الملعون.

ج - الشَّهَاب: الشَّهَاب: شعلة فى الجو ترى هابطة، والجمع: الشهب، ويأتى مزيد بيان له فى بحث الجنّ الاتى إن شاء الله تعالى.

د - المارد:

المارد والمريد من شياطين الجن والانس: الطاغية المتعزى عن الخيرات، والمتمادى فى الشرّ والاثم.

هـ - دُحُورًا:

دحره دحرا ودحورا: دفعه وطرده وأبعده.

و - النُّجُوم: النُّجُوم: هى النيرات التى لها ضوء مثل الشمس كما قال الله: (جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً)، (وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا).

ز - الكَوَاكِب:

الكَوَاكِبُ: هى الاجسام التى تكتسب النور من النجوم، ويقال لعامة الاجسام المنيرة فى السماء: الكواكب، كما قال الله سبحانه:

(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) (الصافات 6).

ح - وَاَصْب:

وَصَبَ: دام ولزم، فهو واصب.

ط - خَطَفَ:

خَطَفَ الشَّيْءَ خَطْفًا: أَخَذَهُ وَاخْتَلَسَهُ بِسُرْعَةٍ، وَالْخَطْفَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ الْخَطْفِ، وَالْمَرَّةُ مِنْ اسْتِمَاعِ الشَّيْطَانِ لِلْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَوَاتِ.

ي - النَّاقِبِ:

ثَقَبَ الشَّيْءَ ثَقْبًا: خَرَقَهُ بِأَلَةٍ الثَّقَبُ فَهُوَ ثاقِب.

وَوُصِفَ الشَّهَابُ بِالنَّاقِبِ لِنَفَاذِهِ فِي الظُّلُمَاءِ كَأَنَّهُ يَثْقِبُهَا بِضَوْئِهِ.

تفسير الايات

يفهم من الايات التي ذكرناها في بحث السموات والكواكب: أن سماء الدنيا مكانها فوق جميع الكواكب والنجوم في جميع المجرات بجميع أبعادها الضوئية، وفوقها مكانا السماء الثانية، وفوق الثانية الثالثة، وفوق الثالثة الرابعة، وهكذا حتى السابعة، وأن ارتفاع بعضها على بعض مكاني بخلاف العرش الذي ارتفاعه معنوي، كما يأتي بيانه في محله - إن شاء الله تعالى - ويوجه إلى ما أشرنا سؤالان كالآتي:

1 - لماذا ذكر الله تعالى من فوائد النجوم أمثال قوله تعالى في سورة الانعام: (جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا...) (الاية 97).

مما يعلمه الناس أجمعون ولم يخبر عن آثارها وصفاتها التي اكتشفها العلماء بعد عصر القرآن الكريم؟

2 - إن الله تعالى أخبر في سورة الصافات وقال:

(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ).

وإذا كانت الكواكب زينة للسماء الدنيا فإنه يدل على أن مواقع جميع الكواكب تحت السماء الدنيا، مع أن علماء النجوم والفلك - المنجمين - سابقا كانوا يقولون: إن مواقع أكثر النجوم فوق السماء الدنيا. فما رأى العلم في عصرنا في هذا الامر؟

وفي الجواب عن السؤالين نقول بحوله تعالى:

الجواب عن السؤال الاول:

إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ اسْمُهُ - أَرْسَلَ خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِيَهْدِيَ جَمِيعَ النَّاسِ إِلَى الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ لَهُمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي:

أ - سورة الاعراف:

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...) (الاية 158).

ب - سورة الانعام:

(وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِإِذْخَرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...) (الاية 19).

ولهذا السبب يخاطب جميع الناس في محاوراته بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)، إذا لابد من أن يذكر من أصناف الخلق حسب الحاجة في المحاوراة ما يفهمه جميع الناس في كل زمان ومكان، ويقول - مثلاً -

في سورة الغاشية في مقام إقامة البرهان على توحيد الألوهية:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) (الآيات 17 - 22).

وقال في سورة الواقعة في مقام إقامة البرهان على توحيد الربوبية:

(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * ... فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) (الآيات 68 - 70 و 74).

ولو فعل خلاف ذلك وذكر - في مقام الاستدلال - نظام سيرة بلايين الكواكب في ملايين

المجرات في السماء، أو ذكر من الإنسان وحده: عينه وملايين الخويطات فيها، ودمه وملايين الكريات البيض والحمرة فيه، ودماعه وملايين خلاياه، وجهازه الهضمي و... والخ، وأنواع أمراضها وعلاجها كما تساءل البعض مني عن سبب عدم ذكر الله هذه العلوم في كتابه وهو خالقها، وزعمها نقصاً في كتاب الله المجيد - معاذ الله -

يا ترى لو جاء ذكر خصائص ما خلق الله كما ذكرناه فمن من الناس كان يفهمها قبل عصر

اكتشافها؟ وماذا كانت تقول الامم لانبيائها لو قالوا لهم - مثلاً -: إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ، وَالشَّمْسُ تَبْعِدُ عَنِ الْأَرْضِ 23 مليون ميل، وهي بمجموعتها تقع في طرف مجرة

تسمى درب التبانة، وفي هذه المجرة ثلاثون مليارا من النجوم، ويوجد وراء هذه المجرة مئات
الالوف من عوالم السدوم، و...الخ.

يا ترى لو كانت الامم تسمع من أنبيائها أمثال هذه الاقوال ماذا كانت تقول لانبيائها؟ فى حين
أنها نسبت إليهم الجنون لأنهم دعوهم إلى غير المألوف عندهم من توحيد الاله، فمثلا قال قوم نوح
لنوح (ع) كما أخبر سبحانه فى سورة القمر وقال:
(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ... وَقَالُوا مَجْنُونٌ) (الاية 9).

وأخبر عن الامم مع أنبيائها وقال سبحانه فى سورة الذاريات:
(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (الاية 52).
وأخبر عن قريش مع خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) فى سورة القلم فقال:
(... وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) (الاية 51).

يا ترى ماذا كانت تقول الامم لانبيائها لو سمعت منهم أمثال هذه الاقوال؟
وكم من الناس الذى يخاطبهم القرآن كان يفهم هذه الحقائق العلمية التى أكتشفها العلماء حتى
عصرنا الحاضر وبعد اكتشافها!؟

وفى كم موسوعة علمية كان ينبغى أن تدون كل الاكتشافات العلمية التى أكتشفها العلماء حتى
عصرنا الحاضر!؟

ثم إن الله أنزل القرآن على خاتم رسله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب هداية يعلم الناس
كيف يعبدون الله ربهم ويطيعون أوامره ونواهيه، وكيف يتعاملون مع سائر الخلق، وكيف ينتفعون مما
خلق لهم وسخر ليبلغوا درجة الكمال الانسانى ويسعدوا فى الدارين.

ولم ينزل القرآن ليعلم الناس خصائص الهواء والماء والارض والحيوان والنبات، بل جعل ذلك
من وظيفة العقل الذى وهبهم إياه ليهديهم إلى كل ذلك حسب حاجاتهم فى الازمنة المتعاقبة
وحالاتهم المختلفة.

ومع وجود العقل الموهوب لهم لم يكن الناس بحاجة - مثلا - إلى أن يعلمهم الله فى كتابه
المجيد كيف يفلقون الذرة، وأنما هم بحاجة إلى أن يهديهم فيه كيف يستعملون هذه الطاقة وأمثالها -
بعد أن سيطروا عليها- لما ينفعهم، ولا يستعملونها فى ما يضرهم ويبيدون الخلق إنسانا وحيوانا
ونباتا!

إذا كان من الحكمة أن يأتي القرآن الكريم بذكر أصناف الخلق كما جاء، ولا ينافي ما ذكرناه أن تأتي في القرآن الكريم أحيان إشارة إلى حقائق علمية مما أكتشفها العلماء ويكتشفونها بعد عصر نزول القرآن الكريم، كي يكون من الايات المتجددة الدالة على أن القرآن الكريم نزل من عند خالق العالمين وربهم: «ولا تنفى عجائبه» (5) كما قال وصي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن عجائبه أنه لم يأت فيه من ذكر خصائص الخلق ما يخالف حقائق العلم التي اكتشفها العلماء بعده قرنا بعد قرن.

الجواب عن السؤال الثاني:

إن صنفنا من العلماء في بعض العصور أولوا بعض ما جاء ذكره في القرآن الكريم ببعض النظريات الخاطئة التي كانت تعتبر في عصرهم من حقائق العلم، مثل تأويلهم السموات السبع بالافلاك السبعة المشهورة عند العلماء سابقا، حسب نظرية بطليموس (عاش نحو 90 - 160م) وقوله:

إن السموات والارض أجسام كروية بعضها فوق بعض مثل طبقات البصل، مركزها الارض التي يتكون ثلاثة أرباعها من الماء وفوقها الهواء وفوق الهواء النار، ويسمونها بالطبائع الاربع، وفوقها فلک القمر وهو الفلك الاول، ثم فلک عطارد، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشتري، ثم زحل، ويسمّون كواكبها: بالسبعة السيّارة، وأنّه يحيط بها فلک الكواكب الثابتة ويسمّونها بفلك البروج، ثم الفلك الاطلسي الذي لا كوكب فيه، ويؤولون السموات السبع بأفلاك السيارات السبع عندهم، والكرسى بفلك البروج، والعرش بالفلك التاسع (6).

وكذلك أولوا ما جاء في القرآن والحديث حول بعض المصطلحات الاسلامية بالمشهور في عصرهم من آراء فلسفية وفلكية ونظريات خاطئة.

ولما كان في تلك النظريات ما يخالف صريح القرآن حاولوا الجمع بين ما جاء في القرآن الكريم وتلك النظريات كما أخبر عنه المجلسي وقال:

(واعلم أنّ ههنا إشكالا مشهورا، وهو أنّه اتفق أصحاب الهيئة على أنّه ليس في السماء الاولى سوى القمر، وسائر السيّارات كلّ في فلک، والثابت كلّها في الثامن، والاية الكريمة تدلّ على أنّ كلّها أو

أكثرها في السماء الدنيا، وأجيب عنه بوجهه) (7).

وسياتى ذكر الاية وتفسيرها بعيد هذا ان شاء الله تعالى، ونترك ذكر الوجوه التى نقلها المجلسى هاهنا كى لا يطول البحث فى ما لا ينفع، ونقتصر على إيراد قول كبير فلاسفة عصره؛ ميرداماد فى تأويل حديث فى هذا الباب:

قال المجلسى؛:

(بيان وتأويل عليل:

قال السيد الداماد :- فى بعض تعليقاته على كتاب من لا يحضره الفقيه: العرش هو فلك الافلاك. وإنما حكم (ع) بكونه مربّعا لأنّ الفلك يتعيّن له بالحركة المنطقة والقطبان، وكلّ دائرة عظيمة منصفة للكرة، والفلك يتربّع بمنطقة الحركة والدائرة المارة بقطبيها، والعرش وهو الفلك الاقصى والكرسى وهو فلك الثوابت يتربّعان بمعدل النهار ومنطقة البروج والدائرة المارة بالاقطاب الاربعة، وأيضا دائرة الافق على سطح الفلك الاعلى يتربّع بدائرة نصف النهار ودائرة المشرق والمغرب، فيقع منها بينها أرباعها، ويتعيّن عليها النقاط الاربعة: الجنوب، والشمال، والمشرق، والمغرب.

والحكماء نزّلوا الفلك منزلة إنسان مستقل على ظهره، رأسه إلى الشمال، ورجلاه إلى الجنوب، ويمينه إلى المغرب، وشماله إلى المشرق. وأيضا التربيع والتسديس أول الاشكال فى الدائرة على ما قد استبان فى مظانه، إذ التربيع يحصل بقطرين متقاطعين على قوائم، والتسديس بنصف قطر، فإنّ وتر سدس الدور يساوى نصف القطر، وربيع الدور قوس تامة، وما نقصت عن الربع فتمتمها إلى الربع تمامها، وأيضا الفلك الاقصى له مادة، وصورة، وعقل هو العقل الاول ويقال له عقل الكل، ونفس هى النفس الاولى ويقال لها نفس الكل، فيكون مربّعا وأول المربّعات فى نظام الوجود. وهنالك وجوه أخرى يضيق ذرع المقام عن بسطها فليتعرف (انتهى) ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع ومصطلحات أهله) (8) .

انتهى ما ذكره المجلسى.

بالاضافة إلى ما ذكرناه فسّر بعض العلماء القرآن بروايات إسرائيلية، وبعضهم فسّره بروايات مفتراة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون تمحيص، وعلى أثر كل ذلك، التبس أمر فهم القرآن والمصطلحات الاسلامية والالفاظ اللغوية على قارئ القرآن والحديث، كما ذكرنا بعضها فى كتاب (القرآن فى عصر الرسول وما بعده).

خلاصة البحث

أولاً - السماء:

السماء فى اللغة:

كلّ شىء أظللّك فهو سماء، وسماء كلّ شىء أعلاه، وجاء ذكر السماء فى القرآن الكريم بلفظ الواحد وأريد بها تارة: الجوّ الذى يحيط بالارض مثل قوله تعالى:

أ - (... الطَّيْرُ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ).

ب - (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً).

وأخرى أريد بها: ماعلا الارض من الكواكب والسموات السبع مثل قوله تعالى:

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ).

وجاءت بلفظ الجمع؛ وأريد بها السموات السبع مثل ما جاء فى الآية الماضية.

ثانياً - بدء الخلق:

أخبر الله سبحانه أنّ الماء كان مخلوقاً قبل السموات والارض، ونفهم من الايات أنّه خلق الارض من ذلك الماء، والسموات من بخار ذلك الماء وتلك الارض، وأنّه أتمّ خلقهما وخلق بعض الموجودات فيهما ومن ضمنها ما يحتاجه الانسان فى حياته فى ستّة مراحل.

وأنّه جعل كلّ النجوم بأبعادها الضوئية تحت السماء الدنيا.

وأنّ الله سبحانه اخبر عمّا خلق بقدر ما فى الاخبار عنه حاجة لهداية الناس، ولم تكن عقول

الناس تتحمّل من بيان بدء الخلق وحقيقة الكواكب أكثر من ذلك.

وأنّ بعض العلماء أجهدوا أنفسهم وأولّوا بعض ما جاء فى القرآن من وصف السموات والكواكب

بما كان معروفاً عنها فى عصرهم؛ مثل تأويل معنى السموات بالافلاك السبعة التى كانوا يعتقدون أنّها حقيقة علمية.

وكذلك فسّروا بعض الايات بروايات إسرائيلية كانت ولا تزال متداولة بين المسلمين، ومن ثمّ

انتشرت رؤية غير صحيحة عن بدء الخلق وحقيقة السموات والكواكب وغيرهما من أصناف الخلق

بين المسلمين. وسوف ندرس بعضها فى البحوث الاتية إن شاء الله تعالى.

قال سبحانه وتعالى في:

أ - سورة النور:

(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الاية 45).

ب - سورة الانعام:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الاية 38).

ج - سورة النحل:

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ) (الاية 49).

شرح الكلمات

دبّ ديبيا فهو دابّ: سار سيرا خفيفا كسير النملة.

والدابة: كلّ ما دبّ على الارض من صنف الحيوان، والمقصود من الدابة في الاية: كلّ ذى حياة يدبّ على وجه الارض.

تفسير الايات:

إنّ الله خلق كلّ ذى حياة يدبّ ويتحرّك من الماء، وما من حياة في الارض، ولا طائر يطير بجناحيه في الجوّ إلّا وهم أمم أمثالكم؛ فالتأمل أمة لها نظام حياة كما للانسان نظام حياة، وكذلك السمك في الماء والزواحف على وجه الارض والحشرات في بطنها، إلى أمثالها من ذوى الحياة الحيوانية أمم أمثال الانسان؛ لكلّ نوع منه نظام حياة، وسوف ندرس إن شاء الله تعالى في البحث الثالث من (هداية ربّ العالمين) الاتى كيف هدى الله تلكم الأمم من الدوابّ إلى نظام حياتها.

4 - الجنّ والشياطين

أ - الجنّ والجنان

جنّ يجنّ جنّا: استتر، وجنّ الشىء وعلى الشىء: ستره، كما قال سبحانه:

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ) (الانعام / 76).

أى فلما ستره الليل. والجنّ والجنان خلق مستتر لأُرى، وقد أخبر الله سبحانه عنهم وقال:
أ - عن أصلهم فى سورة الرحمن:

(وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ) (الاية 15).

وفى سورة الحجر:

(وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) (الاية 27).

ب - وأنهم أمم مثل الانسان، فى سورة فصلت:

(فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) (الاية 25).

ج - وأن سليمان (ع) استخدمهم، فى سورة سبأ:

(وَمِنَ الْجِنَّةِ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ*

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) (الاياتان 12 - 13).

د - وأنه كان فى جنود سليمان من يستطيع أن يذهب من فلسطين إلى اليمن ويرجع قبل أن

يقوم سليمان من مقامه، فى سورة النمل:

(قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) (الاية 39).

هـ - وعن عدم علمهم بالغيب، فى سورة سبأ:

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّةُ

أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (الاية 14).

و - وعن ما كانوا عليه قبل بعثة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، فى سورة الجن:

1 - (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) (الاية 4).

2 - (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) (الاية 7).

3 - (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) (الاية 6).

ز - وعن استراقهم للسمع بعد بعثة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، فى سورة الجن:

(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا) (الاية 8).

(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْإِنْسَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) (الاية 9).

ح - وعن إسلامهم، فى سورة الجن:

1 - (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا) (الاية 11).

2 - (وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) (الاية 14).

ب - الشَّيْطَانُ:

الشيطان اسم لكل عات متمرّد من الانس والجنّ والحيوان.

قال سبحانه في:

أ - سورة الحجر:

(وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَن

اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ) (الايات 16 - 18).

ب - سورة الصافات:

(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ
الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ
ثَاقِبٌ) (الايات 6 - 10).

ج - سورة الملك:

(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) (الاية
5).

د - سورة الانعام:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ) (الايات 112 - 113).

هـ - سورة الاعراف:

(إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الاية 27).

و - سورة الاسراء:

(إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (الاية 27).

ز - سورة البقرة:

(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (الايات 168 - 169).

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (الاية 268).

ح - سورة النساء:

(وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) (الاياتان 119 - 120).

ط - سورة المائدة:

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (الاية 91).

ى - سورة الاعراف - أيضا :-

(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) (الاية 27).

ج - إبليس

1 - فى اللغة:

أَبْلَسَ يُبْلِسُ مُبْلِسٌ: حزن، تحير، يئس، سكت غمًا، انقطع فى حجته، ومنه قوله تعالى فى سورة الروم:

(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) (الاية 12).

2 - فى القرآن الكريم:

إبليس: اسم علم للشيطان الذى استكبر وأبى أن يسجد لآدم (ع)، والمقصود من لفظ الشيطان إذا جاء فى القرآن الكريم بلفظ المفرد ومع الالف واللام هو إبليس.

وقد جاء أخبار إبليس فى القرآن الكريم بلفظ إبليس فى قوله تعالى فى:

أ - سورة الكهف:

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) (الاية 50).

ب - سورة سبأ فى قصة أهل سبأ:

(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ...) (الاياتان 20 - 21).

وجاء بلفظ الشيطان في قوله تعالى في:

أ - سورة الاعراف في قصة آدم (ع):

(فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لُبَدِيَّ لَهَا مَا وَرَىٰ عَنْهَا مِنْ سَوءِ أَيْتِهْمَا... * وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الاياتان 20 و22).

ب - سورة يس:

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الاية 60).

ج - سورة فاطر:

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (الاية 6).

شرح الكلمات

أ - المارج:

المرج: الخلط.

والمارج: اللهب المختلط بسواد النار.

ب - السموم:

الريح الحارة غالبا بالنهار، سُمِّيت بذلك لأنها تنفذ في مسام الجسم وتؤثر فيه تأثير السم.

ج - يزغ:

زاع الانسان يزغ: مال عن القصد وانحرف عن الحق، وعن أمر الله.

ومن يزغ منهم عن أمر الله: من ينحرف منهم عن أمر الله.

د - محاريب:

مفرده المحراب: صدر المجلس أو أكرم موضع فيه.

والموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعه عن الناس.

والغرفة التي فيها مقدم المعبد.

والمساجد يُتَعَبَّدُ فيها.

هـ - جفان:

جمع جَفَنَة كالقصة وزنا ومعنى، والجفنة خَصَّت بوعاء الاطعمة.

و - الجَوَاب:

أَوَانٍ لِلطَّعَامِ كَأَحْوَاضِ الْمَاءِ فِي الْكِبَرِ وَالسَّعَةِ.

ز - راسيات:

جمع راسية: ثابتة الاصل راسخة، وجمعها راسيات.

ح - العفريت: أقوى الجن وأخبثه.

ط - رَصَدًا:

رَصَدَهُ رَصْدًا وَرَصَدًا: قَعَدَ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَتَهَيَّأَ لِمُرَاقَبَتِهِ، فَهُوَ رَاصِدٌ.

وَالرَّصْدُ: الْحَرَسُ.

وَفِي الْآيَةِ رَصَدًا: أَيْ رَاصِدًا لَهُ.

ى - طرائق:

جمع طريقة: الحال والسيرة؛ حسنة كانت أو سيئة.

ك - قِدَادًا:

الْقِدَّةُ: الْجَمَاعَةُ الْمُخْتَلِفَةُ آرَآؤَهَا، وَجَمْعُهَا: قِدَدٌ.

وَطَرَائِقُ قِدَادًا: أَيْ جَمَاعَاتٌ اخْتَلَفَتْ أَهْوَآؤُهُمْ وَمَشَارِبُهُمْ.

ل - القاسطون:

قَسَطَ: جَارَ وَحَادَ عَنِ الْحَقِّ فَهُوَ قَاسِطٌ أَيْ ظَالِمٌ، وَالْقَاسِطُونَ مِنَ الْجِنِّ: الظَّالِمُونَ مِنْهُمْ الَّذِينَ لَمْ

يَسْلِمُوا.

وَأَقْسَطَ: عَدَلَ.

م - رَشَدًا:

أَيْ سَدَدًا وَبُعْدًا عَنِ الْغَىِّ وَالضَّلَالِ.

ن - السَّقْفِيُّ:

الْجَاهِلُ فِي الدِّينِ أَوْ النَّزِقُ الْخَفِيفُ عَقْلُهُ.

س - شَطَطًا:

شَطَطٌ: بَعْدَ وَافِرٍ فِي الْبَعْدِ، وَشَطَطٌ عَلَيْهِ: جَارَ عَلَيْهِ.

والشَطَط: الافراط فى البعد والتجاوز عن الحد.

وقلنا على الله شططا: أى قلنا على الله جورا وبعدا عن الحق بافراط.

ع - يعوذون:

يعوذ به: يلتجئ إليه ويتعلق به.

ف - رَهَقًا:

رَهَقَ رَهَقًا: سَفِهَ وطغى.

ورَهَقَهُ المكروه: غَشِيَهُ، ورَهَقَتَهُ الذَّلَّةُ: غَشِيَتْهُ الذَّلَّةُ.

وَزَادُوهُمْ رَهَقًا: زادوهم طغيانا وسفها وذلة.

ص - دَابَّةُ الْأَرْضِ:

دَبَّ دَبًّا ودبيبا: مشى مشيا رويدا خفيفا.

والدَّابَّةُ: اسم لكل حيوان ذكرى كان أو أنثى عاقلا أو غير عاقل، وغُلِبَ على غير العاقل.

والمراد من دابة الارض هنا: الارضة التى تأكل الخشب.

ق - مَنَسَأَتْهُ:

نَسَأَ الدَّابَّةُ: زجرها وحثها على السير.

والعصا التى يُنَسَأُ بها الدَّابَّةُ: المنسأة.

ر - الغَيْبُ:

الغَيْبُ: ما لا يدرك بالحواس، وما ستر عن الحواس.

ومثال ما لا يدرك بالحواس وجود الاله الخالق والرب المربى الذى يتعلّمه الانسان بعقله،

وإعماله التدبّر فى الاسباب والمسببات.

وكذلك بعض صفات الله وعوالم ما بعد الموت اللاتى يتعلّمها الانسان بإخبار الانبياء عنها.

ومثال المستور عن حواس الناس: الحوادث الكائنة فى المستقبل أو الواقعة فعلا فى مكان بعيد

عن الانسان وآلتى تصل إلى الانسان بإخبار الانبياء عن كليهما، أو بإخبار الناس عمّا وقع فى مكان

بعيد

عن الانسان.

ش - رُجُومًا:

مفرده الرَّجْم، والرُّجْم: وهو ما يُرجم به.

ت - زُخْرَفُ:

زَخَرَفَ القول: زَيَّنَهُ بالكذب.

ث - يوحى:

الايحاء بمعنى: الوسوسة.

خ - غُرُورًا:

غَرَّهُ غُرُورًا: خدعه وأطمعه بالباطل.

ذ - يَقْتَرِفُ وَمَقْتَرِفُونَ:

يقترف الحسنة أو السيئة: يعملها فهو مقترف.

ض - مُبَذِّرِينَ:

بَذَرَ المالَ تَبْذِيرًا: ضَيَّعَهُ تضييعًا، وفرَّقه إسرافًا ووضعهُ في ما لا ينبغي أن يضعه فيه، فهو مبذّر، وهم مبذرون.

ظ - خُطُوات الشيطان:

خطا إلى الشيء: مشى إليه.

والخُطُوة: مسافة ما بين القدمين.

ولا تَتَّبِعُوا خطوات الشيطان: أى لا تقتفوا آثاره وتعملوا بوساوسه.

غ - الْفَحْشَاءُ:

الْفَحْشَاءُ: ما عظم قبحه من الافعال والاقوال، ويستعمل فى المصطلح الاسلامى أحيانا فى

الذنوب القبيحة.

آ - الْمَيْسِرُ:

القِمَار، وكان قمار العرب فى الجاهلية بالازلام والقداح.

والازلام: جمع زَلَمَ: قطع من الخشب مثل السهام كانوا يكتبون على أحدها أمرنى ربّى، وعلى

الثانى نهانى ربّى، وكان الثالث غفلا لا كتابة عليه، فإذا خرج ما عليه الامر فعلوا، وما عليه النهى،

امتنعوا، والغفل أجالوا الازلام مرّة أخرى.

وكانت الازلام لقريش فى الجاهلية تضعها فى الكعبة يقوم بها سدنة البيت.

والقداح: جمع قدح: قطعة من الخشب طول المتر أو دونه، تعرض قليلا وتسوى لا أو نعم أو يغفل ويقرع بها.

با - سوءاًتهما: عوراتهما.

جا - القبيل: الصنف المماثل، والجيل، والجماعة، والاتباع.

حا - فسق:

أ - فى اللغة:

فسقت الرطبة من قشرها: إذا خرجت، وفسق فلان ماله إذا أنفقه وأهلكه.

ب - فى المصطلح الاسلامى:

الفسق: الافحاش فى الخروج عن طاعة الله وحدود شرعه.

والفحش: ما عظم قبحه من الاعمال والاقوال، والفسق يعم الكفر والنفاق والضلال، كما قال

سبحانه:

أ - (وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ). (البقرة / 99).

ب - (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). (التوبة / 67).

ج - (فَمِنْهُمْ مَّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ). (الحديد / 26).

ويقابل الايمان كما قال تعالى:

(مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ). (آل عمران / 110).

الجنّ فى التفسير بالمأثور:

روى السيوطى فى تفسير سورة الجنّ وقال:

(لم تحرس الجنّ فى الفترة بين عيسى ومحمد، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم

حرس السماء الدنيا ورميت الجن بالشهب، فاجتمعت إلى إبليس فقال: لقد حدث فى الارض

حدث فتعرفوا فأخبرونا ما هذا الحدث؟

فبعث هؤلاء نفر إلى تهامة وإلى جانب اليمن وهم أشراف الجن وسادتهم، فوجدوا النبى صلى

الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة بنخلة فسمعوه يتلو القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا، فلما قضى

(يعنى بذلك أنه فرغ من صلاة الصبح) ولّوا إلى قومهم منذرين مؤمنين لم يشعر بهم حتى نزل (قُلْ

أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ)، يقال: سبعة من أهل نصيبين (9) .



كان ذلكم بعض ما جاء من امر الجن والشیاطین وابلیس فی القرآن الکریم، وجاء فی الروایات ما یأتی:

أ - عن الامام الباقر (ع)، أنه قال فی سلیمان (ع):

إن سلیمان بن داود، قال ذات یوم لاصحابه: إن الله تبارک وتعالی قد وهب لی ملکاً لا ینبغی لاحد من بعدی، سخر لی الریح، والانس، والجن، والطیر، والوحوش، وعلمنی منطق الطیر، وآتانی من کل شیء، ومع جمیع ما أوتیت من الملك ما تم لی سرور یوم إلى اللیل، وقد أحببت أن أدخل قصری فی غد، وأصعد أعلاه، وأنظر إلى ممالکی، فلا تأذنوا لاحد علیّ لئلا یرد علیّ ما ینقص علیّ یومی، قالوا: نعم.

فلما کان من الغد أخذ عصاه بیده وصعد إلى أعلى موضع من قصره، ووقف متکناً علی عصاه ینظر إلى ممالکه مسروراً بما أوتی، فرحاً بما أعطی، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج علیه من بعض زوايا قصره.

فلما بصر به سلیمان (ع) قال له: من أدخلک إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فیہ الیوم؟ فبإذن من دخلت؟ فقال الشاب: أدخلنی هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت، فقال: ربّه أحقّ به منی، فمن أنت؟ قال: أنا ملک الموت، قال (ع): وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحک، قال: إمض لما أمرت به، فهذا یوم سروری أبی الله عزّ وجلّ أن یكون لی سرور دون لقائه، فقبض ملک الموت روحه وهو متکئ علی عصاه.

فبقى سلیمان متکناً علی عصاه وهو میت ما شاء الله والناس ینظرون إلیه وهم یقدّرون أنّه حی، فافتتنوا به واختلفوا، فمنهم من قال: إن سلیمان قد بقى متکناً علی عصاه هذه الايام الكثیره ولم ی تعب ولم ینم ولم یأکل ولم یشرّب؟ أنّه لرّبنا الذی یجب علینا أن نعبدّه، وقال قوم: إن سلیمان ساحر، وإنّه یرینا أنّه واقف متکئ علی عصاه یسحر أعیننا ولیس كذلك، فقال المؤمنون: أن سلیمان هو عبد الله ونبیّه یدبّر الله أمره بما یشاء.

فلما اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الارضه فدبت فی عصاه، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سلیمان من قصره علی وجهه، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

(فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمَهِينِ) (10) (سبا 14).

ب - عن الامام الصادق (ع):

عندما سئل: لاي علة خلق الله عز وجل آدم عليه السلام من غير آب ولا أم؟ وخلق عيسى

(ع) من غير أب؟ وخلق سائر الناس من الالباء والامهات؟

قال: «لِيَعْلَمَ النَّاسُ تَمَامَ قُدْرَتِهِ وَكَمَالِهَا، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا مِنْ أَنْثَى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ، كَمَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أَنْثَى، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ» (11) .

وفي قصص الانبياء قال:

أمر إبليس بالسجود لادم، فقال: يارب وعزتك إن أعفيتني من السجود لادم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جل جلاله، إني أحب أن أطاع من حيث أريد... الحديث (12) .
وسئل عن إبليس:

أكان إبليس من الملائكة أم من الجن؟

فقال: كانت الملائكة ترى أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر بالسجود، كان الذي

كان (13)

وسئل عن جنة آدم فقال:

جنة من جنات الدنيا يطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الخلد ما خرج منها أبدا

(14) .

وقال في قوله تعالى: (فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) (طه 121). كانت سَوَاتُهُمَا لا تُرى فَصَارَتْ تُرى

بارزة (15) .

سأل الزنديق أبا عبد الله (ع)، قال:

فمن أين يصل الكهانة؟ ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟

قال (ع): إن الكهانة كانت في الجاهلية في كل فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم

يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الامور بينهم، فيخبرهم بأشياء تحدث، وذلك في وجوه شتى،

من فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس وفطنة الروح، مع قذف في قلبه، لأن ما يحدث في

الارض من الحوادث الظاهرة، فذلك يعلمه الشيطان ويؤدّيه إلى الكاهن ويخبره بما يحدث في المنازل والاطراف.

وأما أخبار السماء؛ فإنّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك وهى لا تحجب ولا ترجم بالنجوم، وإنّما منعت من استراق السمع لئلا يقع فى الارض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء، ويلبس على أهل الارض ما جاءهم عن الله لاثبات الحجة ونفى الشبهة.

وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله فى خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الارض فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به فهو ما أدّاه إليه شيطانه ممّا سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة.

واليوم: إنّما تؤدّى الشياطين إلى كهّانها أخبارا للناس ممّا يتحدثون به وما يحدثونه، والشياطين تؤدّى إلى الشياطين ما يحدث فى البعد من الحوادث؛ من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضا صدوق وكذوب.

فقال: كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس فى الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود (ع) من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟

قال (ع): غلظوا لسليمان كما سخرُوا، وهم خلق رقيق غذاؤهم التنسّم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها إلاّ بسلم أو سبب (16).

وقال الامام الصادق فى الالباء:

الالباء ثلاثة: آدم؛ ولد مؤمنا، والجانّ ولد كافرا، وإبليس ولد كافرا، وليس فيهم نتاج إنّما يبيض ويفرخ وولده ذكور ليس فيهم إناث (17).

وسئل (ع) عن إبليس:

أكان من الملائكة؟ وهل كان يلى من أمر السماء شيئا؟

قال (ع): لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلى من السماء شيئا. كان من الجنّ وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة تراه أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلما أمر بالسجود كان منه الذى كان (18).

خلاصة البحث

الجنّ والشيطان وإبليس:

أ - الجنُّ:

جنّ الشيء وجنّ عليه: ستره، والجنُّ والجَانُّ: خلقٌ مستور لا يُرى. وأخبر الله في كتابه الكريم أنّه تعالى خلق من لهيب النار المختلط بالسواد.

ب - الشَّيْطَان:

الشَّيْطَان اسم لكلِّ عاتٍ متمرّد من الانس والجنّ والحيوان. والمقصود من الشَّيْطَان في هذا البحث شياطين الجنّ.

ج - إبليس:

أَبْلَسَ: حزن، تحيّر، يئس، سكت غمًا، انقطع في حجته. وإبليس في هذا البحث هو المخلوق الجنّي الذي أبى أن يسجد لآدم.

وأخبر الله عن الجنّ أنّه سخرهم لسليمان فعملوا له تماثيل ومحاريب وقدورا كبيرة، وكان فيهم من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام قبل أن يقوم سليمان من مقامه، وأشرف عليهم متّكئا على عصاه، فتوفاه الله وبقي كذلك بعد الموت والجَانُّ دائبون في عملهم لم يعلموا بذلك، حتى أكلت الأرض جوف عصاه فسقط، وبذلك علّم أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا معذّبين في عملهم كلّ تلك المدة.

وأخبر تعالى عن الشياطين أنّهم من الجنّ وأنّهم كانوا يقعدون مقاعد لاستماع حوار الملائكة، ثمّ منعهم الله من ذلك برمي الملائكة أيّاهم بشهب تحرقهم. وكان ذلك بعد بعثة خاتم الانبياء. وأخبر عن إبليس أنّه وسوس لآدم وحواء حتّى أخرجهما من الجنّة. كما يأتي تفصيله في

البحث الاتي بحوله تعالى

-
- (1) سندرس هداية الانواع الاربعة في البحث الاتي
 - (2) شرح نهج البلاغة الخطبة 209 وسيأتي مزيد بيان له من الروايات. والدر المنثور للسيوطي 1 / 444 والبحار 104 / 58.
 - (3) شرح نهج البلاغة الخطبة 209 وسيأتي مزيد بيان له من الروايات. والدر المنثور للسيوطي 1 / 444 والبحار 104 / 58.
 - (4) ان المشهور عبارة عن زمان حركات بعض الكواكب في مسارات خاصة.
 - (5) نهج البلاغة / الخطبة: 18.
 - (6) البحار، 58 / 75.

- (7) البحار، 58 / 74.
- (8) البحار، 58 / 5 - 6.
- (9) تفسير الدر المنثور 6 / 270.
- (10) البحار للمجلسي، ط. طهران، 14 / 136 - 137 عن علل الشرائع، ص: 36، وعيون أخبار الرضا، ص: 146.
- (11) البحار للمجلسي، 11 / 108.
- (12) البحار للمجلسي، 11 / 145.
- (13) البحار للمجلسي، 11 / 144.
- (14) البحار للمجلسي، 11 / 143.
- (15) البحار للمجلسي، 11 / 145.
- (16) البحار للمجلسي، 63 / 76 - 77، عن الاحتجاج، ص: 185.
- (17) الخصال للشيخ الصدوق، 1 / 152.
- (18) البحار للمجلسي، 11 / 119.

5 - الانسان

أخبر الله تعالى عن بدء خلق الانسان وقال سبحانه في:

أ - سورة الصافات:

(إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) (الاية 11).

ب - سورة الحجر:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) (الاية 26).

ج - سورة الرحمن:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) (الاية 14).

ج - سورة السجدة:

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ
مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ)
(الايات 7 - 9).

هـ - سورة الحج:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ
شَيْئًا) (الاية 5).

و - سورة المؤمنون:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ
عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ
اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) (الايات 12 - 16).

ز - سورة غافر:

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ
لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الاية 67).

ح - سورة الطارق:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (الآيات 5 - 7).

ط - سورة الزمر:

(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا) (الآية 6).

ي - سورة الانعام:

(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) (الآية 98).

وشأن انتقال آدم وحواء وإبليس من حال إلى حال قال الله سبحانه في:

أ - سورة طه:

(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَفَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَيْنَكُم مِّنِّي هَدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (الآيات 115 - 124).

ب - سورة الاعراف:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا

رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (الآيات 11 - 25).

ج - سورة الاسراء:

(قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَآتَحِنُكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ مَوْفُورًا * وَاسْتَغْفِرُ
مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ
وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَكِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) (الآيات 61 - 65).

د - سورة الحجر:

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) (الآيات 39 - 43).

شرح الكلمات

أ - لَازِبٌ:

لَزَبَ الطِّينُ: اشتدَّ وتماسكت أجزاءه فهو لازب.

ب - صَلَّالٌ:

صَلَّلَ الشَّيْءُ: صَوَّتَ صوتاً فيه ترجيع. يقال: صَلَّلَ الجرس، وصلل الرعد. والصلصال كل
ما جفَّ من طين قبل أن تصيبه النار ويصير فخاراً وخزفاً.

ج - حَمَأٌ:

الحَمَأُ: الطين الاسود الممتن.

د - مَسْنُونٌ:

سَنَ الشَّيْءِ: تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ، صَبَّ فِي قَالِبٍ فَهُوَ مَسْنُونٌ.

هـ - مُخَلَّقَةٌ:

خَلَقَ الْعُودَ: سِوَاهُ فَالْعُودُ مَخْلُوقٌ، وَالْخَشَبَةُ مَخْلُوقَةٌ، وَمَخْلُوقَةٌ وَغَيْرُ مَخْلُوقَةٍ: أَى تَامَّةُ الْخَلْقِ وَغَيْرِ تَامَّةٍ.

و - الصَّلْبُ وَالتَّرَائِبُ:

صَلْبُ الرَّجُلِ: عِظَامُ ظَهْرِهِ الْفَقَارِيَّةِ، وَتَرَائِبُ الْمَرْأَةِ عِظَامُ صَدْرِهَا الْعُلُويَّةِ. وَاكْتَشَفَ ذَلِكَ الْعِلْمُ فِي عَصْرِنَا، وَأَشَارَ إِلَيْهِ الْمَجْلِسِيُّ؛ فِي الْبَحَارِ (1).

ز - وَسُوسٌ وَوَسْوَسةٌ:

الْوَسْوَسةُ: الْخَطْوَةُ الرَّدِئَةُ، الدَّعْوَةُ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ بِصَوْتِ خَفَى، حَدِيثِ النَّفْسِ وَهُوَ مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ وَيَهْجِسُ بِالضَّمِيرِ، وَإِغْرَاءُ الشَّيْطَانِ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ. تَفْسِيرُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أ - (وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). (الْإِنْعَامُ 43).

ب - (زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) (الْإِنْفَالُ 48 وَالنَّحْلُ 63 وَالنَّمْلُ 24 وَالْعَنَكِبُوتُ 38).

ح - السَّوْءَةُ:

مَا يَقْبَحُ إِظْهَارُهُ وَيَنْبَغِي سِتْرُهُ، وَالسَّوْءَاتُ؛ هُنَا كُنَايَةُ عَنْ عَوْرَةِ الْإِنْسَانِ.

ط - عَزْمًا:

الْعَزْمُ: الصَّبْرُ، يُقَالُ: مَالَى عَنكَ عَزْمٌ: أَى صَبْرٌ، وَمِنْهُ الْجَدُّ، وَالْعَزْمُ - أَيْضًا - عَقْدُ الْقَلْبِ عَلَى

إِمْضَاءِ الْأَمْرِ.

ي - الْجَنَّةُ:

الْجَنَّةُ: كُلُّ بَسْتَانٍ ذِي شَجَرٍ يَسْتَرُ بِأَشْجَارِهِ الْأَرْضَ. وَقَدْ جَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي:

أ - سُورَةِ الْأَسْرَاءِ:

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ

فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا...) (الْآيَاتُ 90 - 92).

ب - سُورَةِ سَبَأٍ:

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ...*)
فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ
قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (الايات 15 - 17).

ك - الخَمْطُ:

الخَمْطُ: هو كل نبت له طعم مرّ أو حموضة تعافه النفس.

ل - أثَل:

الأَثَل: شجر طويل مستقيم جيد الخشب، كثير الاغصان، متعدد العقد، دقيق الورق طويله، وثمره
حب أحمر لا يؤكل.

وَسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ جَنَّةً: لشبهها بالجنة في الارض وإن كان بينهما بون شاسع، وتوصف
جَنَّةُ الْآخِرَةِ بِجَنَّةِ الْخُلْدِ لِأَنَّ الدَّخَلَ فِيهَا مَخْلَدٌ، ولذلك يصف الله أهل الجنة بالخالدين. كما جاء
في قوله تعالى في:

أ - سورة الفرقان:

(قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ...*) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ (الاياتان 15
و16).

ب - سورة البقرة:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الاية 82).
وكذلك وجدنا الجنة استعملت في القرآن الكريم بكلا المعنيين.

أما الجنة التي أسكن الله آدم (ع) فيها ثم أهبطه منها بعد أكله من الشجرة التي نهاها عنها فقد
كانت من جنات الدنيا، كما سنذكر ذلك بُعِيدَ هذا في بحث (أين كانت جنة آدم «ع»؟) إن شاء الله
تعالى:

م - تَضْحَى:

ضَحَى الرَّجُلُ: أصابه حر الشمس.

ن - غَوَى:

من معانيه: فسد عيشه، وهو المقصود في الآية.

س - طَفِقَا:

طَفِقَ يَفْعَلُ كَذَا: أَخَذَ يَفْعَلُهُ.

ع - يَخْصِفَانِ:

خَصَفَ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ: أَلَصَقَهُ بِهِ.

ف - ضَنْكَ:

ضَنْكَ عَيْشُهُ: ضَاقَ.

ص - وُرِيَ:

وَارَاهُ مَوَارَاةً: سَتَرَهُ وَأَخْفَاهُ.

ق - دَلَّاهُمَا:

دَلَّى الشَّيْءَ فِي الْمَهْوَاةِ: أَرْسَلَهُ فِيهَا، وَدَلَّاهُ بَغْرُورٍ: أَوْقَعَهُ فِيمَا أَرَادَ مِنْ تَغْرِيرِهِ.

ر - لَاحَتْنِكَ الْفَرَسِ: جَعَلَ فِي حَنْكِهِ - فَمِهِ - اللَّجَامَ.

ش - اهْبِطُوا:

الهِبُوطُ فِي الْإِنْسَانِ: يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِخْفَافِ، بِخِلَافِ الْإِنْزَالِ، فَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِيمَا نَبَّهَ عَلَى شَرْفِهِ كَإِنْزَالِ الْمَلَائِكَةِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْمَطَرِ.

يُقَالُ: هَبِطَ فِي الشَّرِّ: وَقَعَ فِيهِ، وَهَبِطَ فُلَانٌ: ذَلَّ وَأَتَّضَعَ، وَهَبِطَ مِنْ حَالِ الْغِنَى إِلَى حَالِ الْفَقْرِ، وَهَبِطَ مِنْ مَنْزِلَتِهِ: سَقَطَ.

ت - اسْتَفْزَزَ:

الْإِسْتِفْزَازُ: الْإِزْعَاجُ وَالْإِسْتِنْهَاضُ بِخَفَّةٍ وَإِسْرَاعٍ.

ث - بَصَوْتِكَ:

صَوْتُ فُلَانٍ بِفُلَانٍ: إِذَا دَعَاهُ إِلَى الشَّرِّ.

وَالْمَعْنَى: اسْتَنْهَضَ مِنْهُمْ لِلْمَعْصِيَةِ أَنْ تَسْتَنْهَضَهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بَوَسْوَاسَتِكَ.

خ - وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمَ:

الْأَجْلَابُ: السُّوقُ مِنَ السَّائِقِ.

وَالْجَلْبَةُ: شِدَّةُ الصَّوْتِ.

ذ - بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ:

بِفِرْسَانِكَ. وَرَجُلٌ اسْمُ جَمْعٍ لِلرَّجُلِ، أَيْ: أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَائِدِكَ وَأَعْوَانِكَ.

ض - وشاركهم فى الاموال والاولاد:

وشاركهم فى الاموال المكتسبة من الحرام والاولاد من الزنا.

ظ - وَعَدُهُمْ:

وعدهم الباطل كنفى البعث.

غ - سلط:

سلط: السَّلاطَة: التَّمَكَّن من القهرة والغلبة والقدرة. ويُقال لذى السَّلاطَة السلطان.

ويأتى بمعنى: الحجة والبرهان كما فى قوله تعالى: (أَتُجَادِلُونَنى فى أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) (الاعراف 71).

والمعنى فى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) أى لَيْسَ لَكَ الْقُدْرَة والقهر والغلبة عليهم.

تفسير الايات

أخبر الله سبحانه فى الايات الماضية أَنَّهُ تعالى بدأ خلق الانسان - الانسان الاول - من طين أسود تنتن الرائحة صلب متماسك الاجزاء

كالفخار له صليل من صلابته، ثمَّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، ثمَّ خلقه علقة وَخَلَقَ من العلقة مضغة وخلق من المضغة عظاما وكسا العظام لحما، ثمَّ أنشأه خلقا آخر ونفخ فيه من روحه، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثمَّ أخرجهم طفلا ليبلغ أشده، وعندئذ جعل منه الزوجين الذكر والانثى وجعلهما من نفس إنسانية واحدة وإن تفاوتت وظائفهما فى الحياة الدنيا، ثمَّ ليبلغا الشيخوخة وأرذل العمر، ثمَّ يميتهما ويُدْخِلَانِ الارض، ثمَّ يُخْرِجَانِ من الارض يوم القيامة إلى المحشر لِيُجْزَيَا بعملهما وفق حكمة الربّ العزيز العليم.

امتحان الله للخلق ذى العقل:

أولاً - امتحن الله الملائكة ومعهم إبليس بالسجود لادم (ع) خليفته فى الارض، ويشعر كلام الملائكة أَنَّهُم فهموا أن المخلوق الارضى

يسفك الدماء لما سبق ذلك من مخلوق كان على الارض وأمرهم الله بإهلاكه، كما ورد ذلك

فى الروايات (2) .

ولمّا أعلمهم الله بما منح هذا المخلوق من العلم وأمرهم بالسجود له سجدت الملائكة لآدم (ع) وأبى إبليس واستكبر عن السجود واحتجّ بأنّ الله خلقه من نار وخلق آدم من طين. فأخفق في الامتحان.

ثانيا - آدم وحواء:

خلق الله لآدم (ع) زوجة حواء، وأسكنهما جنة لم تكن بجنة الخلد وقال لهما: كُلا من هذه الجنة حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، وأخبر آدم أنّه لا يجوع في تلك الجنة ولا يعرى، وحذّره من إبليس وقال له: إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى، فزَيّن لهما الشيطان أكل الشجرة المنهى عنها ليبدى ما أخفى من سوءاتهما - عورتيهما - وأوهمهما أنّهما إن ذاقا الشجرة تغيّرت حالهما إلى حال الملائكة وأصبحا من الخالدين، وحلف لهما بالله على ذلك، وظنّ آدم وحواء أنّ أحدا لا يقدر على الحلف بالله كاذبا، فأوقعهما في الباطل وذاقا الشجرة فبدت سوءاتهما، وأخذا يستتران عورتيهما بورق أشجار الجنة، فناداهما ربّهما: ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة وأقلّ لكما إنّ الشيطان لكما عدو مبين؟ قالوا: ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

أين كانت جنة آدم؟

أخبر الله سبحانه أنّه جاعل خليفة في هذه الارض، ومن أديم هذه الارض أخذ التراب الذي خلق منه آدم، وكذلك على هذه الارض أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأبى إبليس السجود لآدم وكذلك أدخل آدم جنة في هذه الارض ولم ينقل آدم من هذه الارض إلى مكان آخر بعد خلقه منها، وأمر الملائكة بالسجود له في ذلك المكان، ولم ينقله من هذه الارض إلى جنة الخلد ليكون إخراجهم من جنة الخلد إلى هذه الارض.

ودلّلنا على ذلك بالاضافة إلى ما يدلّ عليه ظاهر الايات أن الذي يدخل جنة الخلد يخلد فيها ولن يخرج منها كما تصرّح بذلك الروايات (3).

ونرى أنّ تلك الجنة كانت في العراق من الجزيرة العربية وأنّه صحّ ما نقله صاحب كتاب قاموس الكتاب المقدس عن كثرة من العلماء أنّ الجنة كانت في أرض الفرات (4).

ويؤيد ذلك أن التوراة نصّت على تفرّع نهر جنة آدم إلى أربعة فروع، هي: نهر الفرات ودجلة وجيحون وفيشون (5) .

وجاء في كتاب قاموس الكتاب المقدس إن بعض الباحثين يحتمل أن جيحون وفيشون في بابل (6) .

إذن ليس المقصود من جيحون نهر جيحون الذي يصبّ في بحيرة بالقرب من بلدة خوارزم والذي ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان.

ولما هبط آدم (ع) من الجنة سكن بابل الفرات، ولما توفّي دفنه شيث في مغارة في جبل أبي قبيس في مكة، ثم حمل نوح عظامه في سفينته (7) ودفنه بعد نزوله من السفينة في النجف (8) . وبناء على ذلك نرى أن خروج آدم (ع) كان من جنة كانت بالعراق، ولما هبط منها، تحول إلى أرض قريبة منها في العراق، وأنه أخذ معه من أشجار تلك الجنة أغراسا ومن حبوبها بذورا غرس بها الاشجار وزرع بها الحبوب، بتعليم الله أيّاه كما صرّحت الروايات بذلك (9) .

أمّا سكناه في العراق فقد جاء في مادة (بابلون) من معجم البلدان: (فذكر أهل التوراة أن مقام آدم (ع) كان ببابل) وبابل أراضٍ كانت بين الفرات ودجلة، وفي مادة بابل من قاموس الكتاب المقدس ما موجزه كانت المياه - مياه الفرات ودجلة - تجري في جميع أراضيها، لذلك كانت أراضيها مشهورة بالخصب وتنتج أنواع الفواكه والحبوب، وكان اسمها القديم شنعار (سفر التكوين: الاصحاح 10 و11) ومادة شنعار من قاموس الكتاب المقدس.

وفي مادة بابل من معجم البلدان أن بعضهم قال: إن بابل هي الكوفة وإن نوحا بعد أن خرج من السفينة سار هو ومن معه في طلب الدفء وسكنوا بابل وكثروا بها من بعد نوح.

وأما دفن آدم فقد جاء في روايات مدرسة الخلفاء أن نوحا دفنه ببيت المقدس وفي روايات مدرسة أهل البيت أنه دفنه في النجف في المكان الذي دفن فيه جثمان الامام عليّ بعد ذلك وإن نوحا (ع) - أيضا - دفن هناك، ويؤيد كون سكن آدم في العراق ما جاء في الروايات الآتية: أولا - إن آدم (ع) حجّ إلى مكة ووقف بالمشاعر، وإنّ توبته قبلت في عرفة، وإنّ التقى بعد ذلك بحواء في مكة وإنّ الله أمره ببناء البيت، ويستبعد أن يؤمر بالحج من قارة بعيدة مثل الهند، كما جاء ذلك في بعض الروايات التي لم تثبت لدى صحتها (10) .

ثانيا - جاء في روايات أخرى أنه دفن في الغرى من أرض النجف (11) ، وقد ورد في روايات دفن خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم): أن كل نبي يدفن في المكان الذى قبض فيه (12) . من مجموع ما ذكرناه يتأكد لنا؛ أن جنة آدم (ع) كانت فى أراضى الفرات، وأنه لما أخرج منها هبط قريبا منها، وعندئذ أيبس الله تلك الجنة، وأزالها من الوجود، وأحيا آدم (ع) مكانا آخر بالغرس والزرع، والله أعلم.

نُقْلَةٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

أولا - الملائكة ومعهم إبليس:

كانت الملائكة ومعهم إبليس يعبدون الله ويطيعونه فى ما يأمرهم فى السموات والارض ولا يعصوه طرفة عين. حتى أخبرهم تعالى بأنه جاعل فى الارض خليفة فاستعلموه عن الحكمة فى خلقه، فلما أنبأهم بالحكمة فى أمره وأمرهم بالسجود له أطاعوه كما كان شأنهم فى طاعة سائر أوامره، ماعدا إبليس الذى كان يطيع الله فى سائر أوامره اللاتى كانت لا تخالف هوى نفسه ولا تصطدم بكبريائه. أما فى أمر السجود لادم (ع) فقد أطاع هوى نفسه وعصى أمر ربه وبذلك انتقل بمحض اختياره من درجة: من لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون، إلى درجة: من يصغى إلى هوى نفسه ويعصى الله، فكان جزاء عمله: أن أهبطه الله تعالى من درجة الملائكة، وقال له:

(فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا) (الاعراف 13).

وفى هذه المنزلة لم يندم على معصيته للرب ولم يتب إليه ولم يطلب منه المغفرة بل هوى بمحض اختياره إلى أدنى من هذه المنزلة حيث طلب من الله وقال:

(أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ). (الاعراف 14 - 15).

وبعد تحصيله الوعد بقضاء حاجته حدد اللعين منزلته أمام بارئه بمحض اختياره وقال: أرايت هذا الذى كرمت علىّ لاجعلنّ اللجام فى حنك ذريته ولا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولأزيننّ لهم أعمالهم - السيئة - ولا تجد أكثرهم شاكرين. قال الله سبحانه وتعالى:

(إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) (الاسراء 63).

هكذا انتقل إبليس بمحض اختياره من درجة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، إلى درجة من يعصون الله ما أمرهم.

ولم يذهب في هذه الدرجة مع من يندمون على المعصية ويتوبون إلى ربهم بل انحدر بمحض اختياره إلى درجة الحضيض درجة من يُضِلُّ الخلق وَيُصِرُّ على إضلالهم أبد الدهر.

ثانيا - آدم وحواء:

بعد أن أتمَّ الله خلق آدم وأسجد له الملائكة وخلق حواء ثمَّ أسكنهما الجنة. ولا بدَّ أن تكون تلك الجنة على هذه الارض لأنَّ الله سبحانه خلق آدم من طين هذه الارض ومؤهلاً للحياة على هذه الارض ولم يرد نصُّ في الكتاب والسنة أنَّ الله نقل آدم بعد خلقه من هذه الارض إلى جنة في كوكب آخر، ثمَّ أعاده مرَّة ثانية إلى هذه الارض، فلا بدَّ كما قلنا أن تكون تلك الجنة على هذه الارض غير أنَّه يظهر أنَّ تلك الجنة كانت فريدة في بابها وخاصةً بتلك المرحلة من مراحل تكوين آدم وحواء وانتهى وجودها - والله أعلم - بانتهاء تلك المرحلة، وامتازت تلك الجنة بما أخبر الله عنها وقال لادم:

إِنَّ لَكَ إِلَّا تَجُوعٌ فِي الْجَنَّةِ وَلَا تَعْرَى، وَلَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا يَصِيبُكَ حَرُّ الشَّمْسِ.
وقال له ولحواء:

كُلَا مِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ لِنَفْسِكُمَا.
وعهد إلى آدم أنَّ الشيطان عدو له ولزوجه فلا يخرجنهما من الجنة.
فنسى آدم عهد الله بما كرر له الشيطان اليمين بالله أنَّه ناصح له وأصغى هو وحواء بمحض اختيارهما إلى وسوسة الشيطان فانتقلا مختارين من حالة الاعتصام بقول الله إلى حالة التأثر بالوسوسة، وكان جزاء عملهما الهبوط من الجنة إلى هذا العالم عالم حياة الكدح والتعب والتكليف والتهيؤ للانتقال إلى عالم الخلد، في نعيم الجنة أو عذاب الجحيم.
وكذلك قبل الانسان حمل الامانة التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها وقال في سورة الاحزاب:
(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (الاياتان 72 - 73).

والمراد بالامانة هنا - والله أعلم - التكاليف الالهية للانسان والتي يلزمها التحلى بقوى النفس الانسانية.

والمراد بعرضها على السموات والارض عرضها على غير المكلفين من الخلق، وكان ذلكما العرض والقبول مقدّمة لاتخاذ المخلصين لله والمصطفين من الناس.

وعلى هذا فإنّ معصية آدم كانت فى حمله الامانة التى كان من آثارها التأثير بوسوسة الشيطان؛ وقد كان كلّ ذلك فى مرحلة من مراحل خلق آدم (ع) لا تشبه المرحلة الاخيرة من خلقه فى عالمنا الارضى وقبل هبوطه المعنوىّ من تلك الجنّة الفريدة والخاصّة بتلك المرحلة إلى خارجها من هذه الارض فى سلسلة مراحل التكوين والانشاء. والانبياء معصومون عن إتيان المعصية فى هذا العالم وإنّ آدم (ع) هبط إلى هذا العالم الذى خلق له بمحض اختياره، وعليه فإنّ معصية آدم (ع) تجسيد لذلك الامر المعنوى والله أعلم.

6 - شرح الايات وتفسيرها من الروايات

أولاً - عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

روى أحمد وابن سعد وأبو داود والترمذى بسندهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

إنَّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض، فجاء بنو آدم على قدر الارض، فجاء منهم: الاحمر والابيض والاسود، وبين ذلك... الحديث (13).

روى ابن سعد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما موجزه: لَمَّا رَكِبَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ بَدَتْ عَوْرَتُهُ فَكَانَ لَا يَرَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ (14). عن الصدوق فى الخصال بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إِنَّمَا كَانَ لَبِثُ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى أُخْرِجَا مِنْهَا، سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، حَتَّى أَهْبَطَهُمَا اللَّهُ مِنْ يَوْمِهِمَا ذَلِكَ (15).

ثانيا - عن الامام على (ع):

قال الامام على بن أبى طالب (ع) فى بدء الخلق ما يأتى:

أ - فى خلق الملائكة:

فى البحار قال (ع):

وَمَلَائِكَةُ خَلَقْتُهُمْ وَأَسْكَنْتُهُمْ سَمَاوَاتِكَ، فَلَيْسَ فِيهِمْ فِتْرَةٌ، وَلَا عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ، وَلَا فِيهِمْ مَعْصِيَةٌ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُ خَلْقِكَ مِنْكَ، وَأَقْرَبُ خَلْقِكَ إِلَيْكَ، وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَلَا يَغْشَاهُمْ نَوْمٌ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْإِبْدَانِ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ تَضُمَّهُمْ الْأَرْحَامُ، وَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، أَنْشَأْتُهُمْ إِنْشَاءً، فَأَسْكَنْتُهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجِوَارِكَ، وَأَتَمَمْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ، وَجَبَّبْتُهُمُ الْإِفَاتِ، وَوَقَيْتُهُمُ الْبَلِيَّاتِ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَوْلَا تَقْوِيَّتُكَ لَمْ يَقُوهَا، وَلَوْلَا تَنْبِيئُكَ لَمْ يَنْبُتُوا، وَلَوْلَا رَحْمَتُكَ لَمْ يُطِيعُوا، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُونُوا، أَمَا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْكَ، وَطَوَاعِيَّتِهِمْ إِيَّاكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَقَلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا مَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْكَ، لَاحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ،

وَلَا زَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا حَقَّ عِبَادَتِكَ، سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا مَا أَحْسَنَ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ. (16).

ب - فى بدء الخلق:

وقال الامام على فى خطبته عن بدء الخلق ما تفسيره بايجاز:
إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ خَلَقَ الْأَجْوَاءَ وَخَلَقَ فِي أَعْلَاهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّارَهُ، يَمْتَدُّ وَيَرْتَفِعُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَحَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ تَمُوجُّهُ تَمُوجًا شَدِيدًا كَمَا يُحَرِّكُ اللَّبَنُ فِي السَّقَاءِ لِيَتَمَخَّضَ مِنْهُ الزَّبَدُ فَرَمَى الْمَاءَ بِالزَّبَدِ - الزَّبَدُ: مَا يعلو الماء من الرغوة وحطام الأشياء - فرفع الزبد فى هواء منبسط وجو مفتوح واسع فسوى منه سبع سموات، جعل سفلاهن موجا ممنوعا من السيلان وعليهن سقفا محفوظا بلا دعامة ولا مسامير يشد بعضها ببعض، وزين السماء الدنيا بزينة الكواكب، ثم فلق ما بين السماوات العلا - أى التى فوق السماء الدنيا - فملاهن أنواعا من ملائكته، منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون، وصافون - أقدامهم - لا يتزايلون من مواقفهم، ومسبحون لا يسأمون ولا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان، منهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لآبواب جنانه، ومنهم الثابتة فى الارضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم... لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر.

ج - فى خلق الانسان:

ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها، وعذبها وسبخها تربة سنّها بالماء حتى خلصت، ولأطها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول، أجملها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصت، لوقت معدود، وأجل معلوم.
ثم نفخ فيها من رُوحه فتمثلت إنسانا ذا أذهان يُجِلُّها، وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدّمها، وأدوات يُقَلِّبها، ومعرفة يفرّق بها بين الحقّ والباطل، والاذواق والمشام، والالوان والاجناس، معجونا بطينته الالوان المختلفة، والاشباه المؤتلفة، والاضداد المتعادية، والاخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة والسرور (17).

د - فى خلق الجن والشيطان وإبليس:

فى البحار أيضا عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لَمَّا أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا بِيَدِهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا مَضَى لِلْجِنِّ وَالنَّسْنَسِ فِى الْاَرْضِ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، قَالَ: وَلَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ لِلَّذِى أَرَادَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّقْدِيرِ لِمَا هُوَ مَكُونُهُ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ وَعَلِمَهُ لَمَّا أَرَادَهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، كَشَطَ عَنْ أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: انْظُرُوا إِلَى أَهْلِ الْاَرْضِ مِنْ خَلْقِي مِنَ الْجِنِّ وَالنَّسْنَسِ.

فلَمَّا رَأَوْا مَا يَعْمَلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَعَاصِى وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَالْفَسَادِ فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَغَضِبُوا لِلَّهِ وَأَسْفَوْا عَلَى أَهْلِ الْاَرْضِ وَلَمْ يَمْلِكُوا غَضَبَهُمْ أَنْ قَالُوا: يَا رَبَّ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ الْجَبَّارُ الْقَاهِرُ الْعَظِيمُ الشَّانُ، وَهَذَا خَلَقَكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ فِى أَرْضِكَ يَتَقَلَّبُونَ فِى قَبْضَتِكَ وَيَعِيشُونَ بِرِزْقِكَ وَيَسْتَمْتَعُونَ بِعَافِيَتِكَ وَهُمْ يَعْصُونَكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، لَا تَأْسَفُ، وَلَا تَغْضَبُ، وَلَا تَنْتَقِمُ لِنَفْسِكَ لَمَّا تَسْمَعُ مِنْهُمْ وَتَرَى، وَقَدْ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْنَا وَأَكْبَرَنَاهُ فِيكَ.

فلَمَّا سَمِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: (إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً لِّى عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ حِجَّةً فِى أَرْضِى عَلَى خَلْقِى، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ! (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)، وَقَالُوا: فَاجْعَلْهُ مِنَّا فَإِنَّا لَا نَفْسِدُ فِى الْاَرْضِ وَلَا نَسْفِكُ الدِّمَاءَ.

قالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: يَا مَلَائِكَتِى: (إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) إِنِّى أَرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ خَلْقًا بِيَدِى أَجْعَلَ ذُرِّيَّتَهُ أَنْبِيَاءَ مَرْسَلِينَ، وَعِبَادًا صَالِحِينَ، وَأَئِمَّةً مُهْتَدِينَ، أَجْعَلُهُمْ خُلَفَائِى عَلَى خَلْقِى فِى أَرْضِى، يَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِى، وَيَنْذِرُونَهُمْ عَذَابِى، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِى، وَيَسْلُكُونَ بِهِمْ طَرِيقَ سَبِيلِى، وَأَجْعَلُهُمْ حِجَّةً لِّى عَذْرًا أَوْ نَذْرًا، وَأُبَيِّنُ النَّسْنَسَ مِنْ أَرْضِى فَأُطَهِّرُهَا مِنْهُمْ، وَأُنْقِلَ مَرْدَةُ الْجِنِّ الْعِصَاةَ عَنْ بَرِّيَّتِى وَخَلْقِى وَخَيْرَتِى، وَأَسْكُنُهُمْ فِى الْهَوَاءِ وَفِى أَقْطَارِ الْاَرْضِ، لَا يَجَاوِرُونَ نَسْلَ خَلْقِى، وَأَجْعَلَ بَيْنَ الْجِنِّ وَبَيْنَ (18) خَلْقِى حِجَابًا، وَلَا يَرِى نَسْلَ خَلْقِى الْجِنِّ وَلَا يُؤَانِسُونَهُمْ وَلَا يَخَالِطُونَهُمْ، فَمَنْ عَصَانِى مِنْ نَسْلِ خَلْقِى الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ لِنَفْسِى، أَسْكَنْتَهُمْ مَسَاكِنَ الْعِصَاةِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَهُمْ وَلَا أُبَالِى، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّ أَفْعَلْ مَا شِئْتَ: (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، الْخَبَرُ (19).

هـ - فى أمر الرّوح:

قال الامام على (ع) ما موجزه:

الروح ليس هو جبرئيل، جبرئيل من الملائكة، والروح غير جبرئيل. لقول الله لنبيه:
(يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (النحل 2). فالروح غير الملائكة،
وقال:

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ). (القدر 3 - 4) وقال:
(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا). (النبأ 38).
وقال للملائكة في آدم وجبرئيل يومئذ مع الملائكة:
(إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (ص 71 -
72). فَسَجَدَ جِبْرَائِيلُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ لِلرُّوحِ.
وقال لمريم:

(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (مريم 17).
وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم:
(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ).
ثم قال: (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء 193 - 195).
فالروح واحدة والصور شتى (20).
إذا يكون الروح - والله أعلم - ما نفخ في آدم (ع)، وما حملة الملك الذي تمثّل لمريم (ع)،
وكذلك ما يحمله الملك الذي ينزل بالوحي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحياناً يأتي
الروح الامين اسماً للملك الذي يحمل الوحي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك هو روح
القدس الذي أيد الله به عيسى بن مريم، ويوم القيامة يقوم الروح بنفسه صفّاً مع الملائكة. وهو الذي
قال الله عنه:

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (الاسراء / 85).
اللهم أحفظنا من الخطأ في الفهم والزلل في القول.

و - معنى سجود الملائكة لآدم (ع):

قال الامام علي (ع) ما موجزه:
لَمْ يَكُنْ سُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ سُجُودَ طَاعَةٍ، وَأَتَاهُمْ عَبْدُ آدَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ
اعترافاً لآدم بالفضيلة وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ (21).

شرح الكلمات:

والاجواء جمع جَوّ: الفضاء الذى بين الارض وسائر الكواكب.

ماء متلاطما، تيّاره

مُتَلَاطِما: تَلَاطَمَ الماء: ضرب بعضه بعضا.

والتَّيَّار: موج البحر وشدة جريان الماء، والمتراكم: المجتمع بعضه فوق بعض.

إنّ الامام (ع) جعل الملائكة أربعة أقسام:

الاول: أرباب العبادة، ومنهم الراكع، والساجد، والشافّ، والمسيّح. وقوله «صافّون» أى: قائمون صفوفا. لا يتزايلون أى: لا يتفارقون.

والقسم الثانى: الامناء على وحى الله لانيائه، والالسنّة الناطقة فى أفواه رسله، والمختلفون بالاقضية إلى العباد: بهم يقضى الله على من شاء بما شاء.

والقسم الثالث: حفظة العباد، كأنهم قوى مودعة فى أبدان البشر ونفوسهم، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالانسان من السلامة، ومنهم سدنة الجنان، جمع سادن: وهو الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته.

والقسم الرابع: حملة العرش، ولعلّهم هم المأمورون بتدبير أمر العالم من إنزال المطر وإنبات النبات وأمثالها ممّا يتعلّق بربوبيّة ربّ العالمين لعوالم المخلوقات.

وقوله «المارقة من السماء»: المروق الخروج، وقوله «الخارجة من الاقطار أركانهم». والاركان: الاعضاء والجوارح، والتمثيل فى الكلام لا يخفى على أهل البصائر.

الضمير فى «دونه» للعرش كالضمير فى «تحتة».

ومتلفّعون: من تلفّعت بالثوب، إذا التحفت به.

الحزن - بفتح فسكون -: الغليظ الخشن، والسهل ما يخالفه، والسبخ: ما ملّح من الارض. وأشار باختلاف الاجزاء التى جبل منها الانسان إلى أنّه مركّب من طباع مختلفة، وفيه استعداد للخير والشر، والحسن والقبيح.

سنّ الماء: صبّه، والمراد صبّ عليها، أو «سنّها» هنا بمعنى ملسها كما قال الشاعر:

ثمّ خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشى فى مرمر مسنون

وقوله «حتى خلصت» أى: صارت طينة خالصة. لاطها: خلطها وعجنها. ملطة وَطَّيْنَهُ بِهِ، والبَلَّة من البلل. وَلَزُبَ: تداخل بعضه فى بعض، وصلبَ لَزُبَ: بمعنى التصق وثبت واشتد.

الاحناء: جمع حِنُو، وهو: كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحِجَاج، واللحي، والضلع، أو هى الجوانب مطلقا. وَجَبَلَ: أى خَلَقَ.

أصلدها: جعلها صلبة ملساء متينة، وصلصت: يبست حتى كانت تسمع لها صلصلةٌ إذا هَبَّتْ عليها رياحٌ، وذلك هو الصلصال، كأنه قال: حتى يبست وجفت مُعَدَّةٌ لوقتٍ معلوم. ويمكن أن تكون بمعنى: جبل من الارض هذه الصورة ولايزال يحفظها لوقتٍ معدود ينتهى بيوم القيامة.

مَثَلٌ، كَكَرْمٍ: قام منتصبا. والاذهان: قوى التعقل، ويجيلها: يحركها فى المعقولات.

مختمدما: يجعلها فى مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم فى خدمتك فى شؤونك كلها، والادوات: جمع أداة، وهى الآلة، وتقليبها: تحريكها فى العمل بها فيما خلقت له.

معجوننا: صفة «إنسانا» والالوان المختلفة: الضروب والفنون، وتلك الالوان هى التى ذكرها من الحر والبرد والبلة والجمود.

استأدى الملائكة وديعته: طلب منهم أداءها، والوديعة هى عهده إليهم بقوله:

(إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ).

الشَّقْوَة: ما حتم عليه من الشَّقَاء، والشَّقَاء: ضِدُّ السَّعَادَة، وهو النَّصَب الدائم والالم الملازم، وتعززه بخلقة النار: استكباره مقدار نفسه بسبب أنه خلق من جنس لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال، والصلصال: الطَّيْن الحُرّ خلط بالرمل أو الطَّيْن ما لم يُجْعَل خَزَفا. والمراد من الصلصال هنا مادة الارض التى خَلَقَ آدَمَ (ع) منها، وجنس ما خَلَقَ منه الجن - وهم من الاجناس اللطيفة - أعلى من جنس ما خلق منه الانسان، وهو مجبول من عناصر الارض، والنظرة - بفتح فكسر - الانتظار به حيًا، ما دام الانسان عامرا.

ثالثا - عن الامام محمد الباقر(ع):

قال فى معنى: (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحى):

رُوحٌ اختاره اللهُ، وَاصْطَفَاهُ، وَخَلَقَهُ، وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ الْاَرْوَاحِ (22).

وفى رواية أخرى عنه أنه قال:

إنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاؤه على سائر الارواح، كما اصطفى بيتنا من البيوت، فقال: بيتي، وقال لِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ: خَلِيلِي، وأشبه ذلك، وكلّ مخلوق، ومصنوع، محدث مربوط مُدَبَّر (23) .
وفي رواية أخرى قال الراوى:

سألت أبا جعفر عن الروح التى فى آدم والتى فى عيسى ماهما؟
قال: روحان مخلوقان، اختارهما، واصطفاهما: روح آدم، وروح عيسى، صلوات الله عليهما
(24) .

رابعاً: عن الامام جعفر الصادق (ع):

أنّه قال فى قوله تعالى: (فَبَدَّتْ لهما سوءاُتُهما) (طه 121)، قال (ع):
كانت سوءاُتُهما لا تبدو لهما فبدت يعنى كانت من داخل (25) .
وفى محاوره جبرئيل لادم قال (ع):
لما خرج آدم من الجنّة نزل عليه جبرئيل (ع) فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك
من روحه، وأسجد لك ملائكته، وزوّجك حواء أُمته، وأسكنك الجنّة، وأباحها لك، ونهاك
مشفاهة؛ أن لا تأكل من هذه الشجرة، فأكلت منها وعصيت الله؟
فقال آدم (ع): يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لى بالله إنّه لى ناصح، فما ظننت أنّ أحداً من خلق
الله يحلف بالله كاذباً (26) .

وفى توبة آدم قال (ع):

إنّ الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل إليه جبرئيل، فقال له:
السلام عليك يا آدم الصابر على بليّته، الثائب عن خطيئته، إنّ الله تبارك وتعالى بعثنى إليك
لاعلمك المناسك التى يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتى أتى البيت،
فنزل عليه غمامة من السماء فقال له جبرئيل (ع): خطّ برجلك حيث أظّلك هذا الغمام، ثمّ انطلق
به حتى أتى به منى فأراه موضع مسجد منى فخطّه، وخطّ الحرم بعد ما خطّ مكان البيت، ثمّ انطلق
به إلى عرفات فأقامه على العرف وقال له: إذا غرب الشمس فاعترف بذنبك سبع مرات، ففعل
ذلك آدم (27) .

خامساً - عن الامام الرضا (ع):

قال فى معنى قوله عز وجل: (خَلَقْتُ يَدَيَّ) (ص / 75). يعنى بقدرتى وقوتى (28) .

وفى عصمة الانبياء عندما سألهم المأمون:

يا ابن رسول الله أليس من قولك: إن الانبياء معصومون ؟

قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله عز وجل: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه 121).

فقال (ع): إن الله تبارك وتعالى قال لادم (ع): (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، (فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة، وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الاكل منها: (إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) (الاعراف 20 و21).

ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا: (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة (29) .

وتأتى تنمة الروايات عن بدء الخلق فى الملاحق بآخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

إن الاصناف الخمسة من خلق الله واللاتى بحثنا عنها آنفا تنقسم بلحاظ أنواع هداية رب العالمين إلى الاصناف الاربعة الاتية فى بحث الربوبية إن شاء الله تعالى.

خلاصة البحث

إنقسام الخلق بحسب نوع الهداية إلى أربعة أصناف:

ينقسم خلق الله المذكورون فى الفصل الاول من هذا البحث إلى الاصناف الاربعة الاتية:

1 - من له حياة وموت وإرادة وإدراك كامل، وليست له نفس أمارة بالسوء، وهم جنود الله الملائكة.

2 - من له حياة وموت وإرادة ونفس مدركة تمام الادراك أمارة بالسوء، وينقسم هذا الصنف

إلى نوعين:

أ - من خلق من التراب، وهم أبناء آدم (الانسان).

ب - من خلق من نار السموم، وهم الجان.

3 - من له حياة وموت وإرادة وليست له نفس مدركة، ولا تعقل، وهم صنف الحيوان.

4 - من ليست له حياة الحيوان وإدراكه وإرادته من الخلق، مثل النباتات، والمياه، والشمس،

والقمر، وسائر النجوم.

ونشاهد لكل نوع من كل صنف من أولئك الخلق نظاما متقنا في حياته الخاصة به يبلغه درجة

الكمال في وجوده.

فمن هو الذى قدّر لكل نوع منهم نظام حياته؟ وما اسمه؟

هذا ما سندرسه فى بحوث الربوبية الآتية، إن شاء الله تعالى.

(4)

بحوث الربوبية

1 - الربُّ

2 - وما ربُّ العالمين.

3 - أنواع هداية ربِّ العالمين لاصنافِ الخلق.

1 - الربُّ

أ - فى لغة العرب.

ب - فى المصطلح الاسلامى.

من أهمّ المصطلحات الاسلامية: مصطلح الربِّ، وإدراك معناه بوضوح، ضرورى لباحثنا الاتية، كما يتوقّف على فهم معناه بوضوح فهم كثير من آيات القرآن الكريم عامة، وتتوقف على معرفته: معرفة الله عزّ اسمه خاصة، ومعرفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والوصى - الامام - ويوم القيامة، وكذلك معرفة الموحّد من المشرك، وسندرس فى ما يأتى بحوله تعالى معناه اللغوى أولاً، ثمّ الاصطلاحى:

أ - فى لغة العرب.

رَبُّهُ يُرَبُّهُ: أى ربّاه يرَبِّيه ويدبّر أمره.

والرَّبُّ: يأتى بمعنى الراب أى المرَبّى و - أيضاً - يأتى بمعنى المالك، وربّ البيت: مالكه، وربّ الضيعة: مدبّر أمرها أو مالكها، وربّ الفرس: مربّيها أو مالكها.

ب - فى المصطلح الاسلامى:

الربُّ: من أسماء الله الحُسنى، واسم لخالق الخلق ومالكهم. ومشرّع النّظام لحياتهم ومربّيهم حالاً بعد حال حتى يبلغ كلّ منهم درجة الكمال فى وجوده (30).

وقد جاء فى القرآن الكريم بالمعنى اللّغوى مع وجود قرينة تدلّ على أنّ المقصود معناه اللّغوى، مثل قوله تعالى فى حكاية قول يوسف (ع) لصاحبيه فى السجن، من سورة يوسف:

1 - (ءأربابٌ مُتفرّقونَ خَيْرٌ أمَ اللّهُ الواحدُ القّهّار) (الاية 39).

2 - (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) (الاية 42).

ومتى جاء (رَبُّ) مطلقاً ودون إضافة إلى غيره قصد منه الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم:
(بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ) (سبأ 15).

وبناء على ما ذكرناه فإنَّ الرَّبَّ جاء في لغة العرب والمصطلح الاسلامي بمعنى: المالك والمربّي،
وأضيف إلى المربّي في المصطلح الاسلامي: مشرّع نظام الحياة لمن يرّيه حالاً بعد حال حتى يبلغ
درجة الكمال (31)، وبذلك تمّ معنى المربّي وأصبح للربّ معنيان، أو لمعناه جزءان:
وقال الراغب في مادة (القرء):

إنَّ كلَّ اسم: موضوع لمعنيين، يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة التي هي اسم
للخوان وللطعام معاً، ثمَّ قد يسمّى كل واحد منهما بالخوان.

وكذلك معنى الربّ، في لغة العرب يأتي بمعنى المالك وأحياناً بمعنى المربّي، وفي المصطلح
الاسلامي يأتي أحياناً بمعنى المالك المربّي، وأحياناً يأتي في جزء معناه: المشرّع لنظام الحياة، مثل
قوله تعالى:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) (التوبة 31).

-
- (1) راجع تفسير الآية بتفسير سيد قطب والبحار للمجلسي؛
(2) ستأتي الإشارة إليه في روايات بدء الخلق عن الاوصياء.
(3) ستأتي الإشارة إليه في روايات بدء الخلق عن الاوصياء.
(4) قاموس الكتاب المقدس، مادة: عدن.
(5) كتاب العهد العتيق (التوراة) طبعة ريجارد واطس لندن 1839، سفر التكوين. الاصحاح الثاني،
العدد: 10 - 14.
(6) قاموس الكتاب المقدس، مادة: جيحون وفيثون.
وقد كتب إلي الأستاذ الباحثة سامي البدري في بحثه المخطوط عن جنّة آدم:
إنَّ الانهار الاربعة الانفة الذكر فروع للفرات، وقد ذكر أنّه استند في بحثه على الترجمات الارامية
للتوراة العبرية والسامرية وعلى متابعة أسماء فروع الفرات والمدن الواقعة عليها في التراث
المسماري والهيروغليفي مضافاً إلى دراسة الواقع الجغرافي لفروع نهر الفرات وأسمائها في
بلدانيات الاسلاميين.
(7) البحار 11 / 267.
(8) البحار 11 / 268.
(9) البحار 11 / 210 و 211.
(10) البحار 11 / 170، 180، 205، 210، 211.
(11) البحار 11 / 268.
(12) ابن سعد 2 / ق، 2 / 71، وسنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتلى أحد، 4 /
235.
(13) سنن الترمذي، 11 / 16، ح: 1، من تفسير سورة البقرة، وسنن أبي داود، كتاب السنة،
باب في القدر، ح 4693، 4 / 222. ومسنند أحمد: 4 / 400 وطبقات ابن سعد، ط أوروبا: 1 / ق 5 / 1
و 6. واللفظ للترمذي.
(14) طبقات ابن سعد ط أوروبا، 1 / ق، 1 / 10.
(15) البحار للمجلسي 11 / 142.

- (16) البحار للمجلسي 59 / 175 - 176. نقلا عن تفسير القمي، ص: 583.
- (17) شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 1 / 96 - 97.
- (18) كذا في البحار. والنسب لم نقف على حقيقته.
- (19) البحار للمجلسي 63 / 82 - 83. عن علل الشرائع، 1 / 98.
- (20) الغارات للثقفى، ط. بيروت عام: 1407هـ. ص: 107 - 108.
- (21) البحار 11 / 139.
- (22) البحار للمجلسي 4 / 11.
- (23) البحار للمجلسي 4 / 12، نقلا عن معاني الاخبار وتوحيد الصدوق.
- (24) البحار للمجلسي 4 / 13.
- (25) البحار للمجلسي، 11 / 160، نقلا عن تفسير القمي، ص: 213.
- (26) البحار للمجلسي، 11 / 163.
- (27) البحار للمجلسي، 11 / 167.
- (28) البحار للمجلسي، 1 / 10.
- (29) البحار للمجلسي، 11 / 164، نقلا عن عيون الاخبار للشيخ الصدوق، ص: 108 - 109.
- (30) قد خلط الراغب في مادة (الرب) بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي ولم يفرق بينهما، فإن مرّبي الشيء حالا بعد حال حتى يبلغ درجة الكمال من معاني الرب في المصطلح الاسلامي خاصة، بينما ذكره الراغب في معنى الرب عامة.
- (31) شأنه في ذلك شأن الصلاة التي كانت في لغة العرب بمعنى: عامة الدعاء وخصّص في الشرع الاسلامي بمعنى: الصلّة المعروفة.

2 - (وما ربُّ العالمين)

أربعة أنواع من الهداية لربِّ العالمين

أ - وما ربُّ العالمين

ب - أنواع هداية ربِّ العالمين لأصناف الخلق الأربعة الآتية:

1 - التعليم للملائكة.

2 - التسخير لما خلق لمصلحة الإنسان من غير صنف الحيوان.

3 - الإلهام الغريزي للحيوان ممَّا خلق لمصلحة الإنسان.

4 - الوحي بالاسلام للانس والجنِّ.

تمهيد:

ينقسم بحث (وما ربُّ العالمين) إلى:

أ - بيان معنى ربِّ العالمين.

ب - وحْضْرُهُ في الله جلَّ اسمه.

ج - بيان أربعة أنواع من الهداية لربِّ العالمين، كالآتي:

1 - هداية الملائكة الذين لهم حياة وموت وإرادة وعقل بلا نفس أمَّارة بالسوء، بتعليم الله

إِيَّاهُمْ.

2 - هداية الانسان والجن اللّذين لهما حياة وموت وإرادة وعقل ونفس أمَّارة بالسوء، بالتعليم

والانذار بواسطة الرّسل.

3 - هداية الحيوان الذي له حياة وموت وإرادة دون عقل ونفس أمَّارة بالسوء، بالإلهام الغريزي.

4 - هداية ما لا حياة ولا إرادة له كالمذكورين آنفاً بالتسخير وتفصيل البحثين كالآتي:

أولاً - معنى ربِّ العالمين في القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى في:

أ - سورة الاعلى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى *
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) (الآيات 1 - 5).

ب - سورة طه:

(رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (الآية 50).

ج - سورة الفرقان:

(خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) (الآية 2).

د - سورة البقرة:

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (الآيتان 31 - 32).

هـ - سورة الشورى:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...) (الآية 13).

و - سورة النساء:

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...) (الآيات 163 - 165).

ز - سورة آل عمران:

(نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ...) (الآيتان 3 و4).

ح - سورة الذاريات:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الآية 56).

ط - سورة الانعام:

(يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) (الآية 130).

ي - سورة الاحقاف:

(وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حُضِرَتْهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). (الآيات 29 - 32).

ك - سورة الجن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نَشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْإِنْسُ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَّا لَآنْدَرِي أَمْرًا أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَالْوَلَوِ [وَأَنْ لَوْ] اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) (الآيات 1 - 17).

ل - سورة النحل:

(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...) (الآيتان 68 - 69).

م - سورة الاعراف:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الاية 54).

ثانيا - حصر الربوبية في الله جل اسمه:

كما قال سبحانه في:

أ - سورة يونس:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ...) (الاياتان 3 و5).

ب - سورة فصلت:

(قُلْ أَنتَكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (الايات 9 - 12).

شرح الكلمات

أ - سَبَّحَ:

سَبَّحَ تسبيحا أى نزه الله تنزيها، أو قال سبحانه الله، أى تنزيها لله، والتسبيح - أيضا - مطلق العبادة، قولا وفعلا ونية.

ب - اسم:

للاسم معنيان، كما ذكرناه سابقا:

1 - اللَّفْظُ الذى يجعل اسما للأشياء، مثل: (مكة) اسما علما للبلد الذى فيه الكعبة قبله

المسلمين، والقرآن اسما علما للكتاب الذى أنزله الله على خاتم أنبيائه.

2 - اسم الشيء أى صفاته الخاصة المبينة لحقيقته، والمراد من الاسم فى الآية: المعنى الثانى.

ج - رَبَّكَ:

سبق ذكر معناه.

د - الاعلى:

جاء الاعلى هنا بمعنى: الاعلى من أن يقاس عليه.

هـ - خَلَقَ:

نجد تفسير (خَلَقَ) فى ما حكى الله عن قول موسى لفرعون:

(رَبَّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه 50).

ويكون المعنى بناء على هذا: رَبَّنَا الَّذِى خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَسَوَّاهُ.

و - سَوَّى:

سَوَّى الشَّيْءَ: عدله وجعله لا عوج فيه، وسَوَّى الشَّيْءَ: جعله على كمال واستعداد لما أُنشِئ من

أجله، وفى سورة الانفطار:

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ * الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) (الاياتان 6 و7). والمراد

هنا كلا المعنيين. وتنقسم التسوية فى الخلق إلى الانواع الاربعة الاتية:

أولاً - التسوية للانسان:

يخلق الانسان من النطفة جنينا فى مراحل المعينة حتى يتم خلقه. وتمام خلقه فى هذا المقام يكون بإتمام خلق جميع أعضائه التى بواسطتها يتلقى الهداية من السمع والبصر وسائر الحواس التى بواسطتها يتلقى المعلومات، مع الخلايا الدماغية اللاتى تختزن المعلومات، والعقل الذى بواسطته يميز الصحيح من الباطل مما تلقاه من المعلومات، وإيجاد قابلية تبادل المعلومات مع بنى نوعه بوسيلتى اللسان والقلم، كما قال سبحانه فى:

أ - سورة الرحمن:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الاياتان 3 و4).

ب - سورة العلق:

(إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *)

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (الايات 1 - 5).

والتعلم والتعليم بالبيان والقلم موهبتان خص البارى جل اسمه الانسان وحده بهما.

ثانيا - التسوية للحيوان:

التسوية وتماثل الخلق في الحيوان: تتم بمنحه الغريزة التي بواسطتها يستطيع أن ينظم شؤون حياته بما يناسب فطرته.

ثالثا - التسوية للمسخرات من خلق الله.

كما قال سبحانه:

أ - في سورة فاطر:

(وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم) (الاية 13).

ب - في سورة الاعراف:

(والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) (الاية

54).

رابعا - التسوية للملائكة:

كانت التسوية للملائكة، بأن الله تعالى جبلهم على أن: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)، كما أخبر عنهم في سورة التحريم / 6.

وبأتى تمام معنى التسوية المادى بتفسير: قَدَّرَ فَهَدَى، في (تفسير الايات) الاتى إن شاء الله تعالى.

ز - قَدَّرَ:

قَدَّرَ الله الشيء تقديرا: معناه في الموارد التي نحن بصدد تفسيرها: قَدَّرَ نظام حياة الشيء بما يناسب فطرته، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان:

(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) (الاية 2).

ح - هدى:

هداية الله للخلق أربعة أنواع:

1 - تَعْلِيم.

2 - إلهام غريزي.

3 - تَسْخِير.

4 - تبليغ بواسطة الوحي إلى الانبياء.

ويأتى تمام تفسير كلمتى: (قَدَّرَ) و(هَدَى) فى تفسير الايات بإذنه تعالى.

ط - غُثَاء:

نبات يابس يتفرق بعضه عن بعض.

ى - أحوى: شديد الخضرة من النبات وقريب من السواد لشدة خضرته.

ك - الوَحَى:

أ - فى اللغة:

أوحى إليه وله: أشار وأوماً، وكَلَّمَه بكلام خفى يخفى على غيره، وأمره، وألهمه، وأوحى فلان الكلام إلى فلان: ألقاه إليه.

ب - فى المصطلح الاسلامى:

الوحي الكلمة الالهية التى يلقيها إلى أنبيائه بواسطة ملك يشاهده الرسول، ويسمع كلامه؛ كتبليغ جبرئيل لخاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو بسماع كلام الله جل اسمه من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله، أو بالرؤيا فى المنام، كما أخبر الله عن قول إبراهيم لابنه إسماعيل: (إِنِّى أَرَى فى المنام أَنِّى أَذْبَحُكَ) (الصافات 102).

أو بأنواع أخرى من الوحي يعلمه الله وتدركه رسله صلوات الله عليهم أجمعين. ومن موارد استعماله فى المصطلح الاسلامى فى القرآن الكريم ما نقلناه آنفاً من وحي الله إلى أنبيائه.

أما موارد استعماله فى معانيه اللغوية فمما جاء منها فى القرآن الكريم قوله تعالى: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) (مريم 11). والمراد من هذا الوحي: الإشارة أو الكتابة.

وقوله تعالى:

(إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) (الانعام 121).

أى يلقون فى قلوبهم الخواطر السيئة.

ومنها قوله تعالى فى حكاية أم موسى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ) (القصص 7).

أى ألهمناها أن ترضعه.

(وأوحى ربُّكَ إلى النَّحْلِ) (النحل 68).

أى ألهم النحل أن تعيش كذلك، وبيان ذلك أن الله تعالى بمقتضى الربوبية يوجد فى كلِّ صنف من أصناف الحيوان غريزة تهديه إلى إدامة حياته وفق ما يتناسب وفطرته.

ل - استوى:

إذا عُدِّيَ «استوى» بعلی، جاء بمعنى الاستيلاء. كما سيأتى بيانه فى بحث صفات الربِّ أن شاء الله تعالى.

م - العرش:

العرشُ، فى اللغة شىء مسقف، وجمعه عروش، وسمي مجلس السلطان: عرشا، اعتبارا بعلوه، وكُنِيَ به عن العز، والسلطان، والمملكة.

وفى لسان العرب: ثلَّ الله عرشهم أى هدم ملكهم (1).

وقال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلَّتْ عروشهم وأودات كما أودت إِياد وَحْمِيرُ

أراد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا (2).

ن - الضياء:

الضياء: ما انتشر من الاجسام النيرة، يقال: ضاءت النار، وأضاءت، والضوء أقوى وأسطع من النور، والضوء: لما ينير؛ كضوء الشمس والنار، والنور: لما يكسب الضوء من غيره.

س - الامر:

بمعنى: طلب الفعل وهو ضد النهى، وجمعه أوامر.

وبمعنى: الشأن، وجمعه: أمور.

ع - سَخَّرَ:

سَخَّرَه، يَسَخِّرُهُ فهو مسَخَّرٌ: ذلَّه، أخضعه، وساقه إلى غرض معين قهرا. والسَّخْرَى: الذى يُقْهَرُ فَيَتَسَخَّرُ.

ف - الرواسى:

الراسى: الجبل الثابت، الراسخ، وجمعه: الرواسى.

تفسير الايات

نفسر الايات لتفسير كلمتى: (قَدَّرَ فهدى) بتفصيل:

أ - قَدَّرَ:

فى آيات سورة فصلت:

حصر عز اسمه الخالقية لذاته: رب العالمين، ثم بين كيف قدر لها نظام إدامة بقائها وقال: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ). (الاية 10). وقال عن السماء، إنه أتم تكوينها سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها، وإنه زين السماء الدنيا بمصاييح، وإن ذلك من تقدير الرب العزيز العليم. وذكر كيف أتاها أمر ربهما بإدامة بقائهما وفق ذلك النظام فقال فى سورة يونس: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ). (الاية 3).

يُدَبِّرُ أمرهما أى يرييهما بعد أن خلقهما، وأنه هو ربكم فاعبدوه، ثم فصل بعض الامر وقال: إن الرب هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل. استفدنا من هذه الايات أن معنى قدره تقديرا: جعل له نظاما معيناً.

ب - هدى:

لما كان الكلام فى سورتي (فصلت) و(يونس) عن ربوبية الله للسموات والارض والشمس والقمر، جاء ذكر تربية الرب لها خاصة، ولما كان ذكر تربية الرب فى سورة (الاعلى) للخلق عامة، قصد من قوله: (فهدى) أن رب الخلق الذى خلقهم؛ قد سواهم، أى هيأهم لقبول الهداية بعد أن قدر حياة كل نوع من أصناف الخلق، وضرب مثلا ممّا خلق بمرعى الحيوان، وقال سبحانه ما معناه: إن رب الخلق أجمعين هو الذى أخرج مرعى الحيوان، ورباه حتى بلغ درجة كماله، وأصبح شديد الخضرة، ثم جعله نباتا يابسا، بعد أن كان شديد الخضرة، وبين الله سبحانه فى آيات أخرى كثيرة، كيفية الهداية لأصناف الخلق الاربعة كما يأتى بيانه بإذنه تعالى.

3 - أنواع هداية رب العالمين لأصناف الخلق

1 - التعليم للملائكة.

2 - التسخير لما خلق لمصلحة الانسان من غير صنف الحيوان.

3 - الالهام الغريزي للحيوان ممّا خلق لمصلحة الانسان.

4 - الوحي بالاسلام للانسان والجنّ.

فى بحث أنواع الهداية لأصناف الخلق نورد البحث عنهم حسب عصور بدء خلقهم، ولما كانت الملائكة هى جنود الله فى الخلق، وحملة عرشه فى الربوبية، خلقهم قبل غيرهم، ثم خلق الزمان والمكان، السماء والارض وما فيهما مما يحتاجه الاحياء من المخلوقات، من مياه ونبات وسائر مرافق الحياة، ثم خلق الجنّ والحيوان وخلق الانسان بعد خلق كل ما يحتاجه فى حياته، وفى ما يأتى تفصيل أنواع هداية رب العالمين لكل صنف منهم: حسب الترتيب الاتى:

أولاً - التعليم المباشر لصنف الملائكة:

قال الله سبحانه وتعالى فى شأنهم:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ آدَمَ الْاَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة 30 - 34).

شرح الالفاظ

أولاً - الخليفة: خليفة الله فى الارض.

فى اللغة: خلف، خلافة، وخليفة:

أ - خلف:

خلف زيد عمرا: جاء بعده أو قام بالامر بعده (3).

فالاول: مثل قوله تعالى:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...) (الاعراف 169).

والثاني: مثل قوله تعالى:

(وَقَالَ مُوسَى لِإِخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) (الاعراف 142).

ب - الخلافة:

النيابة عن الغير، إمّا لغيبه عنه، وإمّا لموته وعجزه، وإمّا لتشريف المستخلف.

ج - الخليفة:

من ناب عن الغير لموت المستخلف، وعجزه وغيبته، أو لتشريف المستخلف (4) .

فالاول مثل قوله تعالى:

(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) (الاعراف 69).

والثاني مثل قوله تعالى:

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) (ص 26).

وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي! اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي! اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي!

قيل له: يا رسول الله من خلفاؤك؟

قال: الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرَوُونَ حَدِيثِي وَسُنَّتِي» (5) .

وبمراجعة الروايات نرى أنّ خليفة الله هو النبيّ أو وصيّ النبيّ الذي عينه الله لهداية الناس إلى

شرائعه، كما سيأتى تفصيله فى بحث: مبلّغون عن الله، إن شاء الله تعالى.

ثانيا - سجد:

سَجَدَ سُجُودًا: خضع وتطامن، ويضاف إليه فى الانسان وضع جبهته على الارض.

فمن الاول قوله تعالى:

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (الرعد 15).

والثاني قوله تعالى:

(سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) (الفتح 29).

موجز تفسير الايات

جعل الله الايمان بالملائكة فى عداد الايمان بالله واليوم الآخر وكتبه والنبيين، وعداوتهم فى عداد عداوتهم.

ووصفهم بأنهم عباده، وأنهم يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن فى الارض ويفعلون ما يأمرهم الله.

ولم يذكر الله ممّ خلق الملائكة - كما جاء فى بعض الاحاديث أنه خلقهم من نور - (6) ، وإنما أخبر أنه جعل لهم أجنحة: مئتي وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء، وأنهم يتمثلون فى صورة الانسان ويؤدون العمل الذى أمروا به، ولا يمكننا معرفة أجنحة الملائكة قياسا على أجنحة الطير - مثلا - لأن الملائكة ليست أجساما مادية مثل الطيور، ولا سبيل لنا لمعرفة حقيقتهم بما أوتينا من وسائل لمعرفة الاجسام بالحواس الخمس، وإنما سبيلنا إلى معرفتها إنما هو النقل، كما أن سبيلنا إلى معرفة البلاد التى غبنا عنها تنحصر بالسماع عنها، غير أننا عندئذ نستطيع أن نقايسها بأمثالها التى شاهدناها، وللعقل هنا أن يحكم بصدق ما ينقل ومن ينقل أو يرده، ولا مجال هنا لشرح كيفية عمل العقل عندئذ، ولا يمكن قياس عالم الغيب بما فى عالمنا المادى.

وأخبر الله تعالى (ضمنا فيما أخبر) أنه علم الملائكة ما ينبغى أن يتعلموه ولا بد أن يكون ذلك فى حدود ما أمرهم أن يقوموا بعمله، وحكى سبحانه كيف أخبرهم بأنه جاعل فى الارض خليفة. وخليفة الله فى الارض هو الانسان الذى عينه الله لهداية الناس، ويمثلهم فى هذا الخبر آدم أبو البشر، وأخبر أن الملائكة قالت: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (البقرة 30).

وجاء فى الروايات أن الملائكة قالت ذلك لأن الله تعالى كان قد خلق قبل آدم (ع) فى الارض، خلقا أراقوا الدماء وأفسدوا فى الارض وأبادهم الله بظلمهم، وقاست الملائكة حالة الخلق الجديد بما كانت قد رأت قبله من خلق الله.

وكان جواب الله لهم: إنى أعلم ما لا تعلمون. ثم خلق آدم (ع) وعلمه الاسماء كلها؛ أى حقائق الاشياء كلها فإن الاسماء جاءت هنا جميعا للاسم بمعنى صفات الشئ الخاصة المبينة لحقيقته، وذلك لأن الله سخر ما فى السموات والارض لمنفعة الانسان ولا بد أن يعلمه صفاتها وخواصها كما سيأتى شرحه فى آخر هذا البحث إن شاء الله تعالى.

علّم آدم خواص كل ما سخره له ليعمل مع ما سخره له فى ما ينفعه، وعلّم كل واحد من الملائكة علم كل ما خلق ذلك الملك للقيام به، علّم - مثلا - الملائكة التى خلقها للعبادة كيفية التهليل والتسبيح والتكبير لله كما هو أهله، وعلّم الملائكة التى خلقها لتسجيل أعمال الانسان، كيف تسجل ما يصدر عن الانسان من خير وشر، وعلّم ملائكة قبض الارواح، كيفية قبضها، وكذلك علّم غيرهم ما خلقوا للقيام به.

إذا لم تكن الملائكة تعلم ما علّمه الله آدم (ع)، ولما سأل الله الملائكة عن تلکم الاسماء التى علّمها آدم، قالت: سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا، فأمر آدم أن يعلمهم ما علّمه الله، ثم أمر الملائكة أن يسجدوا لادم (ع) فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر كما سنشرحه فى ما يأتى إن شاء الله تعالى.

النتيجة

إنّ هذا الصنف من الخلق - الملائكة - الذين أسكنهم الله السموات والارضين، ولهم حياة، وموت، وعقل مدرك دون هوى النفس، كان يكفيهم فى مقام الهداية أن يتعلّموا ما خلقوا من أجله ليدأبوا على القيام بالعمل طوال حياتهم، أمّا قصة سؤالهم فى خبر السجود لادم (ع) فلا تتجاوز أنّهم كانوا لا يعلمون لماذا خلق آدم، ولما عرفوا ذلك بتعليم آدم إياهم الاسماء أطاعوا وأمر الله وسجدوا له دون إبليس الذى أبى السجود لادم (ع) واستكبر وأطاع هوى نفسه. إذا فإنّ هداية الملائكة تكون بتعليمهم ما أراده الله منهم.

ثانيا - التّسخير للمسخرات:

نخصّ بالذكر هنا من امر الهداية بالتسخير بعض الايات التى صرحت بأن الله سخر تلکم المسخرات لمنفعة الانسان (7) .

قال الله سبحانه فى:

أ - سورة الجاثية:

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ)

(الاية 13).

ب - سورة المؤمن:

(اللّٰهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) (الاية 64).

ج - سورة الزخرف:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الاية 10).

د - سورة الرحمن:

(وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (الايات 10 - 13).

هـ - سورة الملك:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الاية 15).

و - سورة الحج:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ...) (الاية 65).

ز - سورة الاسراء:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الاية 70).

ح - سورة إبراهيم:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (الايات 32 - 34).

ط - سورة النحل:

(وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) (الايات 9 - 16).

(وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)
(الاية 67).

شرح الكلمات:

أ- سَخَّرَ:

سَخَّرَهُ يسخره فهو مسخَّر: ذلَّله، أخضعه وساقه إلى غرض معيَّن قهراً، والسُّخْرَى: الذى يُقْهَر
فيتسَخَّر.

ب - الاكمام:

جمع الكم: وهو الغلاف يغطّي الثمر والحبّ: من الشجر والنخل والزرع.

ج - الحبّ:

الحبّ يراد به: الحنطة والشعير والارز.

د - العصف:

ما هو كالغلاف للحبّ وهو قشره وفسّر بورق الزرع اليابس.

هـ - الرّيحان:

الرّيحان: النبات الطيّب الرائحة.

و - الالاء:

الالاء: النّعم.

ز - ذلولاً:

ذَلَّت الدابة بعد شماس ذلاً: فهي ذلول، أو ممهّدة يسهل السلوك فيها وركوب متنها.

ح - مناكبها:

ومفرده: المنكب من الانسان وغيره: مجمع العضد والكتف، ومناكب الارض: فُسِّرَتْ بالجبال

على التشبيه إذ هي ناتئة بارزة كمناكب البعير، وبجوانب الارض على التشبيه أيضاً، فإنّ منكبى
البعير جانباه.

ط - دائبين:

دأب: جدّ فيه وداوم عليه فهو دائب.

والدأب: الشأن.

ودائبين: مستمرين فى الحركة لا يفتران إلى آخر الدنيا.

ى - تسيمون:

أسام الابل يسيماها: أخرجها وأرسلها للرعى.

ك - ذراً:

ذراً الله الخلق يذراًهم ذءرا: خلقهم على وجه الاختراع، وبثهم وكثرهم.

ل - مواخر:

مخرت السفينة مخرا ومخورا: إذا شقت الماء بجؤجؤها - صدرها - مستقبلة له فسمع لها صوت،

والسفينة ماخرة، والجمع مواخر.

م - تميد بكم:

ماد ميذا: تحرّك واهتزّ.

والميد: اضطراب الشىء العظيم كاضطراب الارض.

نتيجة البحث

إنَّ الله تعالى خلق للانسان والارض وما عليها وما فيها من بحار وأنهار وأشجار ونبات ومعادن وما تحت السماء الدنيا من مجّرات وشموس وأقمار كما قال سبحانه فى سورة الجاثية: (سَخَّرَ لَكُمْ ما فى السَّمَوَاتِ والارضِ جَمِيعاً مِنْهُ).

وقد هدى هذا الصنف من الخلق تسخيرياً أن يسير وفق نظام قدّر له ربوبيته، ويخبر الله عن هذا النوع من الهداية فى القرآن بلفظ سَخَّرَ غالباً وفى موارد بلفظ جعل حيث يقول سبحانه: (جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً والقَمَرَ نُوراً).

ثالثاً - الالهام الغريزى لصنف كلّ ذى روح حيوانى وان الله سبحانه سخر جميعها لمنفعة

الانسان:

قال الله سبحانه:

أ - فى سورة النحل:

(والانعامَ خلَقَها لَكُمْ فيها دِفءٌ وَمَنافِعٌ وَمِنْها تَأْكُلونَ* وَلَكُمْ فيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحونَ وَحِينَ تُسَرِّحونَ* وَتَحْمِلُ أَثقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونوا بِالِغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الانْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ* وَالخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمونَ) (الايات 5 - 8).

إلى قوله تعالى:

(وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ)
(الاية 66).

(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون* ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (الايان 68 و 69).

ب - فى سورة النور:

(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الاية 45).

ج - فى سورة الانعام:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الاية 38).

شرح الكلمات:

أ - فرث:

الفرث: ما فى الكرش.

ب - أوحى الله إلى الحيوان شيئا: الهمه إياه وهده لما يصدر عنه من فعل فيه حياته وصلاحه
وقد يكون فيه دقة وحذق وصدور الفعل من هذا الصنف من الخلق قريب من صدور العمل تسخيريا
من الصنف المسخر.

ج - يعرشون:

عرش الكرم: رفع أغصانه على الخشب، والبيت سقفه.

د - ذللا:

ذللا: منقادة، غير متصعبة.

نتيجة البحث

شرع الله لكل نوع مما خلق تحت السماء الدنيا فى الجو وعلى الارض وفى جوفها وفى البحر
مما جعل لها حياة وموتا ونفسا حيوانية دون العقل على اختلاف درجاتها فى ما جعل لها، شرع الله

لكلّ نوع من ذلكم نظاما يتناسب وفطرته، وألهم كلّ فرد من ذلك النوع بالغريزة التي فطره عليها أن يسير في حياته وفق ذلك النظام ويبيّن نوع هداية هذا الصنف من الخلق في ما أخبر تعالى عن حياة النحل في قوله تعالى:

(وأوحى ربُّك إلى النحل أن اتّخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ممّا يعرشون* ثمّ كُلّى من كلّ الثّمرات فاسلكى سُبُل ربِّك ذلّلا يخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانه فيه شفاء للنّاس إنّ فى ذلك لآية لقوم يتفكّرون) (الانثان 68 - 69).

إذا فإنّ كل ما يصدر من النحل من فعلٍ فيه حدّ ودقّة وحكمة انما هو بإلهام من ربّنا ربّ العالمين، وفي هذا البيان مثالٌ توضيحيٌ لنوع الهداية لهذا الصنف من المخلوق الذى سبق ذكّر الانعام فيه فى الايات (5 - 8) وما فى خلقها ونظام حياتها من حكمة ونفع، وفى التعبير بـ (أوحى ربُّك) ايحاء بأن ربّ النحل الذى هداه أن يسير فى حياته وفقا لما قدر لحياته من نظام متناسب وفطرته؛ هو ربّنا الذى شرع لنا نظاما يتناسب وفطرتنا التى فطرنا عليها بحكمة واتقان، كالآتى بيانه:

(1) مادّة (العرش) من مفردات الراغب، والمعجم الوسيط.

(2) البحار 58 / 7.

(3) مادّة (خلف) من: معجم ألفاظ القرآن الكريم.

(4) مادّة (خلف) من: مفردات الراغب.

(5) معاني الاخبار للشيخ الصدوق، ص 357 - 374، وعيون الاخبار له، ط. النجف 2 / 36، ومن لا

يحضره الفقيه، له تحقيق الغفاري 4 / 420، وبحار الانوار للمجلسي، 2 / 145، الحديث رقم: 7.

(6) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب فى أحاديث متفرقة ص: 2294، ومسنّد أحمد، 6 / 153 و168.

(7) إنّما قدّمنا ذكر هداية هذا الصنف لتقدّم عصر خلقها على عصر خلق الحيوان.

رابعاً: التعليم بالوحي بواسطة الرسل لصنفي الانس والجنّ مصداقاً لقوله تعالى:

(خَلَقَ فَسَوَّى) و (قَدَّرَ فَهَدَى) فى سورة الاعلى.

أولاً - الانسان: خلق الله ربّ العالمين الانسان وقدرّ حياته وجعل فى طبعه هوى النفس فى ما تشتهيه نفسه ومنحه العقل الذى يميّز به ما يضرّه وما ينفعه (1).

وهيأه لقبول الهداية بوسيلتين:

أ - النطق باللسان كما قال سبحانه فى سورة الرحمن:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الايتان 3 و 4).

حيث ألهم الانسان النطق باللسان والتفاهم بعضه مع بعض.

ب - القراءة والكتابة ونقل الافكار من انسان إلى آخر ومن جيل إلى أجيال متعاقبة، كما قال

سبحانه فى سورة العلق:

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (الايتان 3 و 4).

ثم شرّع الله سبحانه نظاماً لحياة الانسان متناسباً وفطرته كما قال سبحانه فى سورة الروم:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الاية 30).

وهدى الله الانسان إلى ذلك الدين المتناسب مع فطرته بواسطة إنزال الوحي إلى رسله كما قال

سبحانه:

أ - فى سورة النساء:

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...) (الاية 163).

ب - فى سورة الشورى:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ...) (الاية 13).

وسمّى الله سبحانه الدّين الذى أوحى به إلى الرسل بدين الاسلام كما قال سبحانه فى سورة آل

عمران:

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (الاية 19).

ثانياً - الجنان: خلق الجنّ وقدرّ حياته مثل حياة الانسان حين جعل فى طبعه هوى النفس إلى

ما تشتهيه نفسه ومنحه إدراك ما يضرّه عمّا ينفعه.

كما أخبرنا عن حال إبليس الذى كان من الجنّ فى سورة الكهف وقال:
(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...) (الاية 50).

وفصّل القول سبحانه وتعالى فى أمر إبليس هذا فى سورة الاعراف وقال جلّ اسمه:
(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ* قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ* قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ* قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) (الايات 11 - 18).
إنّ هوى النفس فى هذا الجنى المتمرد على الله العزيز الجبار أعظم من هوى نفس كلّ ذى هوى نفس.

وأيضا أخبر الله تعالى فى سورة الجنّ عن وجود هوى النفس فى عامّة الجنّ حيث ذكر جلّ اسمه أنّ الجنّ قد بلغوا فى متابعتهم لهوى النفس أن يقعدوا من الملائكة مقاعد يسترقون سمع حديثهم، ولم يتركوا فعلهم الشائن حتّى بعث خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورماهم الله بالشهب الحارقة لهم، وفى الحديث أنّهم كانوا ينقلون ما يسمعون من الملائكة إلى الكهنة ويزيدون عليه من أكاذيبهم بغيا وطيشا منهم وايداء منهم لاولاد آدم (ع).

وأخبر الله عن ذلك - أيضا - فى سورة الجنّ فى قوله تعالى: (فزادوهم رهقا) وأخبر عن مشاركة الجنّ للانسان فى متابعة هوى النفس وفى قولهم البعيد عن الحقّ على الله وأنّ منهم المسلمين وغير المسلمين.

وأخبر فى سورة الاحقاف أنّ نفرا منهم حضروا تلاوة - الرسول - القرآن فذهبوا إلى قومهم منذرين وأخبروهم أنّ الله أنزل كتابا بعد موسى (ع) - وهو القرآن - وطلبوا من قومهم أن يؤمنوا به، وكذلك أخبر فى سورة الجنّ عن مشاركة بعض الجن مع بعض الانس فى الظنّ بأنّ الله لن يبعث أحدا يوم القيامة.

ومن كل ذلك نستنتج وجود حاسة العقل والادراك الكامل في الجن كما هو في الانسان،
ودرّكهم لغة الانسان واشتراكهم مع الانسان في خاصّة التعلّم بالمكالمة كما نفهم ذلك بصورة أجلي
في ما حكى الله عن مكالمتهم مع سليمان في سورة النمل في الايتين (17 و39).

هكذا يشترك الصنفان في جميع مجالات قوى النفس كما يشتركان - أيضا - في مجالات
العمل، كما أخبر الله سبحانه في سورة سبأ: أن الجن كانوا (يعملون له - لسليمان - ما يشاء من
محارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ...) (الاياتان 12 - 13).

وقال في سورة الانبياء:

(وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ...) (الاية 82).

وأشركهما في الهداية بدين الاسلام وإرسال الرسل إليهما، مبشرين ومنذرين ومعلمين، ليؤمنوا
بالله وحده لا يشركون به أحدا، وبرسله وكتبه وملائكته والبعث ويوم القيامة وما يتبعه من مشاهد
يوم القيامة.

أمّا الاحكام فما كان منها في الاداب الاجتماعية مثل مساعدة الضعفاء والمحتاجين من المؤمنين
وترك أذى الآخرين وما شابههما فهما يشتركان فيهما، أمّا العبادات من صلاة وصوم وحج فلا بد أن
تكون للجن بحسب حالهم كما أن بنى آدم يختلف بعضهم عن بعضهم الآخر في الاحكام، مثل
اختلاف أحكام الرجل عن المرأة والمريض عن المعافى والمسافر عن المقيم إلى غير ذلك.

نتيجة البحوث

خلق الله الملائكة جنودا له في الألوهية والربوبية كما أخبر عن ذلك في الايات التي ورد فيها
ذكر الملائكة (2) ، ومن ثمّ خلقهم جلّ اسمه قبل غيرهم وكانوا حملة عرشه حين كان عرشه على
الماء (3) ، كما قال سبحانه في سورة هود:

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...) (الاية 7).

وخلق الله سبحانه السموات وما فيها وما عليها ممّا نعلم من الملائكة وممّا لا نعلم، وما تحتها
ممّا نعلم من كواكب ونجوم وشموس وأقمار وبروج وممّا لا نعلم، وخلق الارض وما عليها وما فيها
من مياه ونبات ومعادن من مرافق الحياة وما بين السموات والارض من غازات وغيرها ممّا نعلم
وممّا لا نعلم، كلّ ذلك ممّا تحتاجه الاصناف الثلاثة، الحيوان، والجن، والانس في حياتهم، ثمّ خلق
الحيوان قبل خلق صنفى الجن والانس لحاجتهما في حياتهما إليه، ثمّ خلق الجن قبل الانسان كما

أخبر سبحانه في خبر خلق آدم (ع) أنه أمر الملائكة - الذين كان إبليس الجنى منهم - أن يسجدوا لآدم بعد خلقه، ثم خلق الإنسان بعد خلق جميع الاصناف من خلقه. كان ذلكم خبر خلق الاصناف الاربعة من خلق الله سبحانه كما استنبطناه من آيات القرآن الكريم والروايات، وكما تقتضيه حاجة المتأخر خلقه إلى وجود الصنف المتقدم عليه في الحياة، أمّا أنواع هدايتهم فلما كان الله ربّ العالمين منح الملائكة والانس والجنّ العقل والادراك كان نوع هدايتهم بالتعليم المباشر وغير المباشر كما أخبر سبحانه عن الملائكة أنهم قالوا في خبر خلق آدم (ع):
(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا).

وأخبر عن صنف الانسان أنه سبحانه: (عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) وأنه: (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ).
وأخبر عن صنف الجنّ في ما حكى عنهم أنهم تعلموا القرآن واهتدوا به عندما سمعوا تلاوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للقرآن.

ولما كان سبحانه منح صنف الحيوان ومطلق الدوابّ شيئاً من الادراك كان نوع هدايتها بالالهام الغريزي لكل فرد منها.

ولما كان سائر الخلق ما عدا المذكورين من الكواكب والنجوم حتى الذرة لم يمنحهم الله شيئاً من الحياة والادراك كانت هدايته لهم بالتسخير، كما فصل بيان كل ذلك في كتابه الكريم، وسمّى النظام الذي شرّعه لهداية الانسان بدين الاسلام، كما سندرسه بإذنه تعالى في البحوث الاتية.

(5)

الدِّين والاسلام

أ - معنى الدِّين.

ب - الاسلام والمسلم.

ج - المؤمن والمنافق.

د - الاسلام اسم لجميع الشرايع.

هـ - تحريف الشرايع وأسمائها.

1 - تحريف اليهود والنصارى كتاب الله ودينه.

2 - تحريف اليهود والنصارى اسم الدين ومنشأ التحريف.

و - تناسب أحكام الاسلام مع فطرة الانسان.

ز - الانسان والنفس الامارة بالسوء.

ح - مشاركة الجن للانس في شريعة الاسلام.

أ - الدين

استعمل لفظ الدين فى الشرع الاسلامى فى معنيين:

1 - الجزاء:

وانَّ يومَ الدين فى القرآن الكريم هو يوم الجزاء، مثل قوله تعالى فى سورة الفاتحة:

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (الاية 4).

2 - الشريعة، مُتَضَمِّنًا معنى الطاعة والانقياد، وأكثر ما استعمل الدين فى الشرع الاسلامى، كان

بهذا المعنى، مثل قوله تعالى فى حكاية يوسف وأخيه فى سورة يوسف:

(مَا كَانَ لِیَأْخُذَ أَخَاهُ فِی دِینِ الْمَلِكِ) (الاية 76).

أى: فى طاعة الملك وشريعته.

وقوله تعالى فى سورة البقرة:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ) (الاية 132).

أى: الشريعة والطاعة، والانقياد لله.

ب - الاسلام والمسلم

الاسلام: هو الانقياد لله، ولما أنزل من الشرائع والاحكام.

قال الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران:

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (الاية 19).

والمسلم: هو المنقاد لله ولما أنزل من الشرائع.

وبناء على هذا فإن الاسلام في عصر آدم: هو الانقياد لله ولما أنزل على آدم من شريعة الله،

والمسلم من انقاد لله ولما أنزل على آدم من الشرائع، ويتضمن هذا الانقياد الاطاعة لادم الذي

اصطفاه الله لحمل شريعته في عصره.

وفي عصر نوح هو الانقياد لله ولما نزل على نوح من الشرائع، وطاعة نوح باعتباره نبيا مرسلا

من قبل الله، والايمان بصدق نبوة آدم من قبله، والمسلم من آمن بذلك.

وفي عصر إبراهيم (ع): الانقياد لله ولما نزل على نوح، وإطاعة إبراهيم (ع) المرسل من قبل

الله، والايمان بمن سبقه من الانبياء والرسل حتى آدم.

وفي عصر موسى (ع) وعيسى (ع) كذلك.

وفي عصر خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك.

وقد عيّن الله في عصر خاتم الانبياء له حداً، وهو القول باللسان:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

ويُسمى هذا الحدُّ بالشهادتين.

ويلزم هذا الاقرار باللسان، عدم إنكار أى ضرورى من عقائد الاسلام وأحكامه، وعدم إنكار

نبوة الانبياء السابقين المذكورين في القرآن الكريم، أى أن لا ينكر ما أجمع عليه المسلمون أنه من

الاسلام، مثل وجوب الصلاة والصوم والحج، وحرمة شرب الخمر وأخذ الربا ونكاح المحرمات

وأمثالها مما يعرف حكمه جميع المسلمين.

ج - المؤمن والمنافق

ومن ثم قال الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات:

(قَالَتِ الْاَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...) (الاية 14).

المؤمن من نطق بالشهادتين بلسانه وآمن بقلبه بعقائد الاسلام وعمل بأحكامه، وإن صدرت منه مخالفة لاحكام الاسلام علم أنها معصية وعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره.
ويظهر الفرق بين المؤمن والمسلم يوم القيامة، أما في الدنيا فكلاهما تجرى عليهما أحكام الاسلام والمسلمين.

النفاق والمُنَافِقُ

أ - في اللغة:

نافق اليربوع: إذا ضرب برأسه النفاق من جحره ومرق منه؛ وذلك لان لجحر اليربوع بابا ظاهرا يسمّى (القاصعاء) ومخرجا خفيا يسمّى النافقا قد رقق التراب من جانبه دون أن يظهر ذلك من سطح الارض؛ فإذا هوجم من بابه القاصعاء ضرب برأسه النفاق ومارق منه وهرب، وعندئذ يقال: «نافق اليربوع».

ب - في المصطلح الاسلامي:

نافق الرجل نفاقا: أظهر الاسلام وعمل بعمله وأبطن الكفر؛ فهو مُنافِقٌ.

قال الله سبحانه في سورة المنافقون:

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً... (الايان 1 - 2).

أى اتخذوا ما يحلفون به سترا سميكا. إذا فهم يسترون نفاقهم بستر سميك من اليمين الكاذبة.

والله يكشف للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) زيف قولهم.

وقال سبحانه في سورة النساء:

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ...)

(الاية 142).

د - الاسلام اسم لجميع الشرايع

جاء في القرآن الكريم ذكر الاسلام والمسلمين في شأن الأمم السابقة كالآتي:

أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة يونس عن نوح (ع) أنه قال لقومه:
(فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الاية 72).

وأخبر سبحانه وتعالى عن إبراهيم (ع) وقال في سورة آل عمران:
(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الاية 67).
وقال عز اسمه في سورة البقرة:
(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)
(الاية 132).

وقال في سورة الحج:
(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) (الاية 78).
وأخبر سبحانه في سورة الذاريات عن قرية قوم لوط (ع)، وقال:
(فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الايتمان 35 - 36).

وأخبر الله سبحانه وتعالى عن موسى (ع) في سورة يونس أنه قال لقومه:
(يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) (الاية 84).
وأخبر في سورة الاعراف عن سحرة فرعون قولهم:
(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الاية 126).
وأخبر في سورة يونس عن فرعون وقال عز اسمه:
(حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)
(الاية 90).

وأخبر في سورة النمل عن سليمان (ع) أنه كتب لملكة سبأ:
(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُو عَلَىَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ) (الايتمان 30 - 31).

وأنه (ع) قال في السورة نفسها:

(يا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيْكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشُهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) (الاية 38).

وقال سبحانه وتعالى عن شأن حوارِيَّ عيسى (ع) في سورة المائدة:

(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (الاية 111).

وقال عزَّ اسمه في سورة آل عمران:

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا

بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (الاية 52).

ولم يقتصر مجيء هذا المصطلح بالنسبة إلى الأمم على ما جاء في القرآن الكريم، بل جاء مع ذكر خبرهم في مصادر الدراسات الاسلامية مثل ما رواه ابن سعد بسنده إلى ابن عباس أنه قال بعد ذكر خروج نوح من السفينة:

«وما بين نوح إلى آدَمَ من الالباء كانوا على الاسلام».

وقال في رواية بعدها:

«كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام».

ونقل في تنمّة رواية ابن عباس أنه قال فيمن خرجوا من السفينة وسكنوا قرية:

«فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف كلهم على الاسلام» (4) .

هـ - تحريف الشرايع السابقة وتحريف أسمائها

إنَّ تسمية بعض الاديان بغير اسم الاسلام مثل اليهودية والنصرانية تحريف لاسم الدين، كفعلهم في تحريف الشريعة الربوبية، وبيان ذلك:

أ - تسمية اليهود:

إن اليهود، نسبة إلى بلدة يهودا التي كانت في جبل صهيون في الجنوب الغربي من أورشليم، والتي اتخذها داود عاصمة لملكه وبنى فيها محلاً للتابوت الذي كان فيه التوراة وسائر موارث أنبياء بني إسرائيل ودفن فيها ملوكهم (5) .

ب - تسمية النصارى:

النصراني نسبة إلى بلدة الناصرة في الجليل من فلسطين الذي عاش فيه عيسى ابن مريم (ع) في صغره، واشتهر (ع) في عصره بعيسى الناصري، واشتهر تلاميذه - أيضا - بسبب ذلك بالناصري (6)

والمسيحية - أيضا - نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم، ولقّب أتباع المسيح بالمسيحيين منذ سنة (41) ميلادية، وكانوا يقصدون به ذمهم (7) .

ج - تحريف الشريعة:

لما كانت معرفة الألوهية والربوبية أساسا لمعرفة العقائد والاحكام في الدين فاننا نقتصر في بيان كيفية تحريف اليهود والنصارى شريعتي موسى وعيسى (عليهما السلام)، على بيان تحريفهما عقيدة الأولوهية والربوبية في دينهما:

أ - تحريف اليهود لشريعة موسى (ع):

نذكر في ما يأتي ملخصا من الاصحاح الثاني وتمام الاصحاح الثالث من سفر التكوين من التوراة:

ملخص الاصحاح الثاني:

«غرس الربُّ الاله جنةً في عدنَ وأجرى منها أربعة أنهار، منها الفراتُ وجيحون، وغرسَ فيها الاشجار، وغرسَ في وسطِ الجنةِ شجرةَ الحياةِ وشجرةَ معرفةِ الخيرِ والشرِّ، وأسكنَ فيها آدمَ، وأوصى الربُّ الاله آدمَ قائلا: من جميعِ شجرِ الجنةِ تأكلُ أكلا، وأمّا شجرةُ معرفةِ الخيرِ والشرِّ فلا تأكلَ منها، لأنك يومَ تأكلُ منها تموتُ موتا، وأوقعَ سباتا على آدمَ وأخذَ واحدةً من أضلاعه وخلقَ من الضلعِ حواءَ زوجةً لآدمَ، وكانا كلاهما عريانينِ آدمُ وامرأتهُ وهما لا يخجلانِ».

الأصحاح الثالثُ

وكانتِ الحيّةُ أحيلاً جميعَ حيواناتِ البريةِ التي عملها الربُّ الاله. فقالتِ للمرأةُ أحقا قال اللهُ لا تأكلًا من كلِّ شجرِ الجنةِ. فقالتِ المرأةُ للحيّةِ من ثمرِ شجرِ الجنةِ نأكلُ وأمّا ثمرُ الشجرةِ التي في وسطِ الجنةِ فقال اللهُ لا تأكلًا منه ولا تمسّاهُ لئلا تموتا. فقالتِ الحيّةُ للمرأةُ لن تموتا. بل اللهُ عالمٌ أنه يومَ تأكلانِ منه تنفتحُ أعينكما وتكونانِ كاللهِ عارفينِ الخيرِ والشرِّ. فرأتِ المرأةُ أنَّ الشجرةَ جيّدةٌ

لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تَيْنٍ وَصَنَعَا لِنَفْسِهِمَا مَآزِرَ. وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ. فَأَخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهِ آدَمَ وَقَالَ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ. فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لَأَنِّي عُرْيَانٌ فَأَخْتَبَأْتُ.!! فَقَالَ مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ. هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا.!! فَقَالَ آدَمُ الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ. فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهِ لِلْمَرْأَةِ مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ.

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ. فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهِ لِلْحَيَّةِ لَأَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا مُلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكَ تَسْعِينَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ. وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَعَابَ حَبْلِكَ. بِالْوَجْعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيفَاكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ. وَقَالَ لآدَمَ لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا لَا تَأْكُلْ مِنْهَا مُلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقٍ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا. لَأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ. وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ حَوَاءَ لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. وَصَنَعَ الرَّبُّ الْإِلَهِ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَابْسُهُمَا.

وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهِ هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمْدُ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ. فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الْإِلَهِ مِنَ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقَى جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ وَلَهَيْبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.

إِذْنِ فَإِنَّ الرَّبَّ الْإِلَهِ قَدْ كَذَبَ عَلَى مَخْلُوقِهِ آدَمَ حِينَ قَالَ لَهُ: تَمُوتُ مَوْتًا إِنْ أَكَلْتَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَإِنَّ الْحَيَّةَ أَعْلَمَتْ حَوَاءَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ وَكَذَبَ الرَّبَّ الْإِلَهِ، فَأَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَأَدْرَكَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ، وَاخْتَبَأَا لَمَّا سَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ وَلَمْ يَعْرِفِ الرَّبُّ مَكَانَهُمَا وَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهِ آدَمَ! أَيْنَ أَنْتَ؟ فَأَخْبَرَهُ آدَمُ أَنَّهُ اخْتَبَأَ لِأَنَّهُ عُرْيَانٌ، وَسَأَلَ الرَّبُّ الْإِلَهِ آدَمَ كَيْفَ عَرَفَ أَنَّهُ عُرْيَانٌ وَهَلْ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَأَخْبَرَهُ آدَمُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَغَضِبَ الرَّبُّ

الاله على آدم وحواء والحياة وأعادهم إلى الارض وعاقبهم على فعلهم، ولما رأى الربُّ الاله أنَّ هذا المخلوق أصبح عارفاً للخير والشرِّ مثله. وخشى أن يمدَّ يده إلى شجرة الحياة ويأكل منها فيحيا إلى الابد طرده من جنة عدن، وأقام في طريق شجرة الحياة حرساً من الكروبيين لئلا يقربها الانسان. ما أضعف الربُّ الاله هذا - تعالى الله عما يصفون - حين يخشى مخلوقه أن يصبح مثله، ويتخذ كل الاجراءات لمنع من الرقى إلى درجته.

وما أكذبه وأحيله حين احتال على مخلوقه وكذب عليه بما بان كذبه فيما بعد. وما أظلمه حين عاقب الحياة على صدق قولها لحواء. ولم أعرف ماذا يقصد بـ (هو ذا الانسان صار كواحد منّا)، هل يقصد أن هناك غير الربِّ الاله الواحد آلهة وأرباباً آخرين حين ورد لفظ (منّا) بصيغة الجمع؟ وأخيراً ما هو أثر هذه المعرفة على من اعتقد بصحة التوراة حين يقرأ فيها أن الاله الربُّ يكذب ويحتال ويمنع الانسان من الوصول إلى درجة الكمال لخوفه من هذا الانسان؟! سبحان الله وتعالى عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

ب - تحريف النصارى:

كان ماذكرناه مشتركاً بين اليهود والنصارى، واختصَّ النصارى بتحريف في عقيدة الألوهية والربوبية كالآتي بيانه:

التثليث عند النصارى:

قالت النصارى: المسيح ابن الله، والله أبوه، وهما مع روح القدس شيء واحد وهو الله، فالله الواحد ثلاثة: الاب، والابن، وروح القدس، والثلاثة (الله وعيسى وروح القدس) واحد وهو الله. إنَّ الثلاثة واحد، وإنَّ الواحد ثلاثة.

وقال الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ... * وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ * ... مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (الآيات 72 - 75).

وقال عزَّ اسمه في سورة النساء:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (الآية 171).

وصدق الله وَكَذِبَ الْمُحَرِّفُونَ وتعالى الله عما يقول الظالمون.

وإذا كان الأمر كما بيَّناه - وهو كما بيَّناه - بأن الدين عند الله هو الإسلام، وأن تسمية الدين بغير الإسلام تحريف، وأن اليهودية والمسيحية محرقتان أسما وشرعة؛ فما هو الإسلام الصحيح؟ وما هي شريعة الإسلام؟

و - تناسب أحكامه مع فطرة الانسان

الإسلام من القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى في سورة الروم:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الآية 30)

شرح الكلمات

أ - حَنِيفًا

الحَنَفُ: الميل عن الضلال إلى الاستقامة، والجَنَفُ: الميل عن الاستقامة إلى الضلال، والحَنِيفُ:

المائل عن الضلال إلى الحق.

والحنيفُ: المخلص الذي أسلمَ لامرِ الله فلم يَلْتَوِ في شيء من دينه.

ب - فَطَرَ:

فطر الامر: اخترعه، وفطر الله العالم: أوجده ابتداء.

وعلى هذا يكون معنى الآية: إِنَّ اللَّهَ بعد أن ذكر قبل هذه الآية أنواعا من ضلال الضالين عن طريق الاسلام، وأشار إلى صالح الاعمال، فرَّع على ذلك وقال سبحانه وتعالى:
فأقم وجهك للدين - والدين عند الله الاسلام - مائلا عن الضلالة إلى الاعتدال الذي هو الحق،
وإن إقامة الوجه إلى دين الاسلام هي مقتضى فطرة الانسان التي فطره الله عليها، ولا تبديل لفطرة الله، ولذلك لا تبديل لدينه المتناسب مع فطرة الانسان، والاتساق مع الفطرة هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وشأن جميع ذوات الارواح شأن الانسان في ذلك، فإن النحلة - مثلا - بفطرتها وهدايتها الغريزية التي أوجدها الله في تكوينها تجرس من أنوار الزهر ما هو صالح للتعسيل، وأحيانا تخالف فطرتها وهدايتها وتجرس ما لا يصلح للتعسيل ويضر بصالح الخليّة فيتقدّم إليها حرس الخليّة ويقطعونها إربا.

والدجاجة بفطرتها والهداية الغريزية التي أوجدها الله فيها تلتقط ما طاب من الحب والخضار، وإذا خالفت الهداية الربوبية الغريزية لها وتناولت الغائط النجس شرعا سميت: بالجلالة، وتتنجس، ولا يؤكل لحمها حتى تتناول الحب الطيب ثلاثة أيام.

وحكم الرب بالنسبة إلى جميع الخلق واحد يهديهم إلى القيام بالعمل النافع لهم والاجتناب عن العمل الضار لكيانهم، وبالنسبة إلى الانسان قال تعالى في سورة المائدة:
(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ...) (الاية 4).

وقال تعالى في سورة الاعراف:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) (الاية 157).
وملاك الامر في الاحكام الاسلامية: النفع والضرر للانسان، وإنما حرّم الخبائث لانها ضارة له، وأحلّ الطيبات لانها نافعة له.

ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة الرعد:

(فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) (الاية 17).

وقوله تعالى في سورة الحج:

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...) (الاياتان 27 - 28).

وقال قبله وفي السورة نفسها:

(يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ..) (الاياتان 12 - 13).

وحرَّم الله الربُّ ما فيه نفع للانسان وضرر، ولكنَّ ضرره أكبر، كما قال سبحانه في سورة البقرة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) (الاية 219).

وتتسع دائرة النفع والضرر وتتسع تبعاً لها دائرة الحلال والحرام للمخلوق بأتساع أبعاد وجوده، والانسان أوسع المخلوقات في أبعاد وجوده، فكانت الحكمة تقتضى مراعاة النفع والضرر له في أبعاد وجوده. فإنَّ الانسان الذى له جسد تضرَّ جسده أشياء وتنفعه أشياء، ولذلك فقد أحلَّ الله للانسان ما ينفع جسده مثل أكل الطيبات، وحرَّم عليه ما يضرُّ جسده مثل أكل الخبائث.

وأمثال هذه الاحكام للانسان بمفرده، سواء أعاش وحده فى كهوف الجبال وأدغال الغابات أم عاش فى المجتمعات الانسانية، أم عاش على كوكب آخر غير الارض.

وبما أنَّ الله قد جعل كمال حياة الانسان فى الحياة الاجتماعية لذلك فقد أحلَّ الله للانسان - أيضاً - ما ينفع المجتمع مثل التجارة، وحرَّم عليه ما يضرُّ المجتمع مثل الربا والقمار.

ولما كانت له نفس - وتهذيب النفس من ضرورات الحياة - فقد فرض عليه الحجَّ لما فيه من تهذيب النفس ومشاهدة منافع أخرى، وحرَّم عليه ما يضرُّ المجتمع وأرشده إلى ما فيه نفع المجتمع.

وقال تعالى فى سورة الحجرات:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ... * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (الاية 10 - 12).

وكذلك شأن التشريع الاسلامي فإنه متناسب مع فطرة الانسان في كل زمان ومكان. لذلك نجد في القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى قد فرض الصلاة والصوم والزكاة على الأمم السابقة كما فرضها علينا، وحكى سبحانه وتعالى في هذا الشأن عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وقال في سورة الانبياء:

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ...) (الاية 73).

وحكى في سورة مريم عن عيسى (ع) أنه قال:
(وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) (الاية 31).
وقال عن إسماعيل صادق الوعد في سورة مريم كذلك أنه (ع):
(كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) (الاية 55).
وأمرنا الله تعالى بالصوم، فقال في سورة البقرة:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الاية 183).

ونهاها عن الربا كما نهى الأمم السابقة عنه، وأخبر عن بنى إسرائيل في سورة النساء وقال:
(وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ...) (الاية 161).
وكتب علينا في القصص ما كتبه على من كان قبلنا كما أخبر سبحانه في سورة المائدة عن التوراة وقال:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا...*) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ.....) (الاية 45).

وعندما قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:
(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَن أَرَادَ أَنْ يُنْفِخَ الرِّضَاعَةَ...) (الاية 233).
جعل ذلك نظاما للانسان الطفل منذ أول مولود ولد لادم وحواء، ولكل طفل يولد بعده على أي أرض كان، لا يختص بشريعة دون أخرى، لأن هذا النظام متناسب مع فطرة الله التي فطر الناس

عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ولذلك لا تبدل لدين الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وإذا كان الامر كذلك فلماذا يخالف الانسان أحكام الله المتناسبة مع فطرته؟ هذا ما سندرسه في البحث الاتي إن شاء الله تعالى.

ز - الانسان والنفس الامارة بالسوء

عرفنا ممّا سبق أنّ في غير صنف أصحاب الهداية التسخيرية من ذوات الارواح من الخلق ما تخالف هداية الربّ الغريزية لها مثل الدجاجة التي تتناول غائط الانسان النجس بدل التقاط ما طاب من الحبّ والخضار فتستبرأ بإطعامها ثلاثة أيّام ممّا طاب وطهر من الطعام. والنحل التي تجرس من نور الازهار ما يضرّ عمل التعسيل في خلية النحل فتمزقها الحرس في مدخل الخلية حفظاً لبقاء نوعها وإدامةً لحياتهم. وكذلك شأن البشر فإنّ فيهم من يخالف النظام الملائم لفطرة الانسان والذي هداه الربُّ إليه بواسطة الانبياء اتباعاً لهوى نفسه. وبيان ذلك أنّ الله تعالى فضّل الانسان على ذوات الارواح بمنحه النفس الانسانية التي لا يعرف أبعاد وجودها غير خالقها، وممّا امتازت به تلكم النفس؛ العقل الذي به يسخر الانسان جميع ما يراه من الخلق من الذرة إلى ما لا نعرف اليوم نهايته.

وقال سبحانه في وصف النفس في سورة الشمس:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الايّتان 7 - 8).

شرح الكلمات

نَفْس:

جاءت النفس في اللغة العربية لعدّة معانٍ منها:

أ - الروح التي بها الحياة، وإذا زailت الجسم نزل به الموت، ويقال: خرجت نفس المحتضر.

ب - الشيء ذاته وحقيقته ونفس الانسان والجن من هذا الباب.

ج - الشيء عينه، ويقال في مقام التأكيد: جاءني محمد نفسه.

د - ما تقع موقع القلب. ويكون بها التمييز والادراك، والاحساس لما يحيط به، وتفارقه في النوم وعندما يغيب وعيه، وهى التى توجهه إلى أفعال الخير والشر. ويقال: أمرتنى نفسى وسوّلت لى نفسى فعل السوء (8)، وهذا المعنى هو المراد من النفس فى الآية الكريمة.
سَوَّاهَا:

أَتَمَّ خَلْقَهَا حَتَّى بَلَغَتْ دَرَجَةَ الْكَمَالِ وَتَهَيَّأَتْ لِقَبُولِ الْهِدَايَةِ.

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا:

أَلْقَى فِي النَّفْسِ إِحْسَاسًا تُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْهُدَى. وَيُعَبِّرُ عَنْ ذَلِكَ فِي عَصْرِنَا بِالضَّمِيرِ.
ومن صفات هذه النفس وأفعالها ما يشترك الانسان فيها مع صنف الحيوان من الحُبِّ والرضا، والرغبة والهوى، والكره والبغض والنفور، مضافا إليها ما ذكرناه من العقل الذى يميّز به الخير من الشرّ، والخبث من الطيّب.

ويثاب الانسان إذا اتّبع إرشاد عقله وترك الشرور والخبائث، ويعاقب إذا خالف حكم العقل وأتبع هوى نفسه، كما قال الله سبحانه وتعالى فى سورة النازعات:

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (الايان 40 - 41).

وفى سورة مريم وصف قوما وقال جلّ اسمه:

(أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) (الاية 59).

وكما أنّ فى داخل النفس الانسانية قوتين متكافئتين من دوافع الخير ونوازع الشرّ، فكذلك جعل الله للانسان من خارج نفسه فريقين:

فريقا يدعونه إلى الهدى وترك هوى النفس، وهم الانبياء وأتباعهم.

وفريقا يدعونه إلى الضلال ومتابعة هوى النفس، وهم شياطين الجنّ والانس.

ولا سلطان لايّ من الفريقين على الانسان، وإنّما يُزَيَّن للانسان كلّ فريق ما هو أهله من الضلال والهدى، كما أخبر سبحانه فى سورة الحجر عن الشيطان أنّه قال عندما طرده من الجنة:

(رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...) (الاية 39).

وفى سورة إبراهيم أخبر عن خطابه لمن تبعه يوم القيامة وقال سبحانه:

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...) (الاية 22).

وكذلك شأن الانبياء مع الناس كما قال سبحانه فى خطابه لخاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى سورة الغاشية:

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) (الايتان 21 - 22).

وقال سبحانه وتعالى فى سورة البلد:

(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (الاية 10).

أى: طريقى الخير والشر.

وقال سبحانه فى سورة الانسان:

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الاية 3).

وقال عز وجل فى سورة البقرة:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الايتان 256 - 257).

ومن ثم يكون الانسان مسؤولا عن عمله كما قال سبحانه وتعالى فى سورة الزلزلة:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الايتان 7 - 8).

كان ذلكم ما اخبر الله عن الانس ويشاركهم الجن فى ذلك كما مر بنا الاشارة إليه فى بحث اصناف الخلق، وتفصيله كالآتى بيانه باذنه تعالى:

ح - مشاركة الجن للانس فى شريعة الاسلام

قال سبحانه:

أ - فى سورة الاحقاف:

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ...) (الايات 29 - 31).

ب - فى سورة الجن:

(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نَشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا * وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَالْوُ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا) (الآيات 1 - 16).

ج - فى سورة الانعام:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *... يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) (الآيات 128 و 130).

شرح الكلمات

أ - جَدُّ:

الجدُّ هنا: العظمة والجلال.

م - غَدَقًا:

غَدَقَ الْمَاءُ غَدَقًا: كَثُرَ، وَهُمْ فِي غَدَقٍ مِّنَ الْعَيْشِ: فِي نِعْمَةٍ وَخَصْبٍ.

تفسير الآيات:

وبعد بعثة خاتم الانبياء صرف الله نفرا من الجن للاستماع إلى تلاوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن، فقال بعضهم لبعض «انصتوا»، فلما انتهى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من

تلاوة القرآن انصرفوا إلى قومهم ينذرونهم، وقالوا: «يا قومنا إنا سمعنا كتابا - أى القرآن - أنزل بعد موسى مصدقا للكتب التى نزلت قبله يهذى إلى الحق، ويا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به فإننا آمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا، وإن ربنا تعالى عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا، وإن رجالا من الانس ظنّوا كما ظنّتم أن لن يبعث الله أحدا، وإنّ منّا - معاشر الجنّ - الصالحون ومنّا دون ذلك، وكانت سيرتنا مختلفة، وإنّ منّا المسلمين ومنّا الظالمين الجائرين عن الحقّ، وإنّ المؤمنين بربّهم لا يخافون بخسا فى حقّهم ولا جورا يغشاهم، أمّا الظالمون الجائرون عن الحقّ فإنّهم حطب جهنم يعذبون فيها، وذلك اليوم هو اليوم الذى يحشر الله فيه الجنّ والانس جميعا، وبعد اعتراف المذنبين منهم بذنوبهم يقول الله لهم: إنّ النار مثواكم خالدين فيها إلّا ما شاء الله واقتضت مشيئته أن يرحمه من المذنبين. فى ذلك اليوم يقول الله لهم: يا معشر الجنّ! ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتى ويُنذرونكم لقاء يومكم؟ فيشهدون على أنفسهم بالكفر».

يستنبط من قول الجن (أنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى... يا قوم اجيئوا داعى الله) ان الجن يشاركون الانس فى الهداية بكتب اصحاب الشرايع: اولوا العزم من الرسل ولعل هؤلاء المنذرين هم المقصودون بقوله تعالى: (الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم وينذرونكم لقاء يومكم...).

تفسير الايات من الروايات

فى صحيح مسلم وغيره، واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال:
انطلق النبىّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب؛ فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلّا شيء حدث، فاضربوا مشارق الارض ومغاريها فانظروا ما الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين ذهبوا نحو تهامة إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلّى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهذى إلى الرشد فأمنّا به، ولن نشرك بربنا أحدا، فأنزل الله على نبيّه: (قل أوحى إلىّ أنّه استمع نقر من الجنّ)، وإنّما أوحى إليه قول الجن (9) .

وفى البحار عن تفسير على بن إبراهيم القمى فى تفسير (يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا) من سورة الاحقاف
قال:

وكان سبب نزول هذه الآية، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج من مكة إلى سوق
عكاظ ومعه زيد بن حارثة، يدعو الناس إلى الاسلام، فلم يجبه أحد ولم يجد من يقبله، ثم رجع
إلى مكة، فلما بلغ موضعا يقال له: وادى مجنة تهجد بالقرآن فى جوف الليل، فمر به نفر من الجن،
فلما سمعوا قراءة رسول الله استمعوا له، فلما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: «أصنوا» يعنى
اسكتوا.

«فلما قضى» أى فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من القراءة (وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ
مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ) إلى قوله: (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) فجاءوا إلى
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلبون شرايع الاسلام فأسلموا وآمنوا، وعلمهم رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) شرائع الاسلام.

فأنزل الله على نبيه: (قُلْ أُوْحِيََ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ السُّورَةَ كُلَّهَا، فَحَكَى اللَّهُ قَوْلَهُمْ
وَوَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ، الحديث (10) .

نتيجة البحث

إنَّ الجنَّ كالانس فى وصول كتب الله إليهم مثل التوراة والقرآن، وإنَّ فى الجنَّ - كما فى الانس -
- من بلغ درجة المنذرين لاقوامهم، وإنَّ هؤلاء المنذرين أخبروا قومهم عن القرآن أَنَّهُ مُصَدِّقٌ لِّكُتُبِ
اللَّهِ السَّابِقَةِ - بكل ما فى كلمة المصدق من معنى يدل على صدق القرآن - وإنَّ فى الجنَّ مشركون
بالله الربَّ كما فى الانس، ويفهم من سياق الايات أَنَّ الجنَّ كانوا يعتقدون أَنَّ لله ولدا كما يعتقد
بعض الانس أَنَّ المسيح هو ابن الله. وإنَّ أفرادا من الجنَّ كرجال من الانس يظنون أَنَّ لن يبعث الله
أحدا، وليس بعد هذه الحياة حياة وحشر.

وخلاصة القول: إنَّ الجنَّ كالانس فيهم المسلمون المؤمنون برَّبِّهم، وفيهم الكافرون. أمَّا المؤمنون
برَّبِّهم وبكلِّ ما ذكرناه فإنَّهم هم الفائزون يوم القيامة، وأمَّا الكافرون فإنَّهم سيعذبون بنار جهنم
ويكونون لها حطباً.

وهكذا نجد أن الجنّ والانس يشتركان في العقائد ومنهما المشترك القائل بأنّ لله ولدا، ومنهما أعداء الانبياء، ومنهما الموسوس لغيره لاغوائه، ومنهما المسلم المؤمن بالله ورسله وكتبه، وأنّهما جميعا يحشران ويحاسبان ويعذبّان. إن الصنفين يشتركان في كلّ ذلك، أمّا كيفية عمل صنف الجنّ بالاحكام فلا بدّ أن يكون بالنسبة لهم بما يتناسب وفطرتهم التي فطرهم الله عليها. إذا فالاسلام هو دين الله وشريعته للانس والجنّ والذي بلغهما بواسطة الرسل أصحاب الشرايع ومن جاء بعدهم من أوصيائهم، كما سنبيّنه في البحث الاتي بحوله تعالى.

-
- (1) إنّما خصّصنا بالذّكر غريزة هوى النفس وحاسّة الادراك والعقل في الانسان، لمشاركة الجنّ إياه فيهما، وهما لوجود هوى النفس فيهما بحاجة إلى مذكرين يذكرونهما الله ومبشرين ومنذرين من الرسل والاوصياء.
- (2) راجع مادة (ملك) من المعجم المفهرس للقرآن الكريم.
- (3) المقصود من العرش محلّ جنود الله من الملائكة العاملة لالوهيّة الله وربوبيته وأنّه كان محلهم قبل خلق السموات والارض على الماء.
- (4) طبقات ابن سعد، ط، أوربا 1 / 18. وروى ابن كثير في تاريخه 1 / 101 عن ابن عباس - أيضا - روايته: «عشرة قرون كلّهم على الاسلام».
- (5) قاموس الكتاب المقدس - فارسي - مادة (يهود) و(يهودا) و(صهيون).
- (6) المصدر السابق مادة (الناصر) و(الناصري).
- (7) المصدر السابق، مادة (المسيح) و(المسيحي).
- (8) راجع مادة: (نفس) في مفردات الراغب ومعجم الفاظ القرآن الكريم، وقد قسم المعنى الرابع إلى ثلاثة أقسام ورأيناها واحدة كما ذكرناها.
- (9) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة، ح 149، ص 331. وصحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الجن، 3 / 139.
- (10) البحار، 63 / 82، نقلا عن تفسير القمي، ص 623 - 624.

(6)

مبلّغون عن الله ومُعَلِّمون للناس

أ - معنى النبىِّ والرَّسول والوصىِّ.

ب - أخبار الرسل والاصياء فى الكتب السماوية وفى السيرة والتاريخ.

ج - تعريف الاية - المعجزة - وكيفيتها.

1 - النبىُّ والرَّسولُ والوصىُّ

أ - النبىُّ والنبوة:

النبوة فى اللُّغة: الرُّفعة وعلوُّ المنزلة، وورد النبىُّ فى قوله تعالى فى سورة آل عمران: (ما كان لبشرٍ أن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ...) (الاية 79).

نظيراً لمن أتاه الله الكتاب والحكم وقسيما لهما. اذا فالنبوة مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ فَضِّلَ النَّبِيُّ بِهَا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَقُرْبِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ النَّبِيَّ مَنْ أُوتِيَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ فى خطابه تعالى لِنَبِيِّهِ وَقَوْلُهُ فى سورة الاحزاب: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (الاية 45).

فإنَّ المعنى: ياذا المنزلة الرفيعة، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ... الخ.

وكذلك فى قوله تعالى فى سورة الاحزاب:

(النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (الاية 6).

والنبيُّ يُوحى إليه، كما قال سبحانه وتعالى فى سورة النساء:

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...) (الاية 166).

اذا فالنبيُّ مصطلح اسلامى بمعنى: انسان ذى منزلة رفيعة عند الله يوحى إليه وقد يبعث الله

الربُّ النَّبِيِّينَ رسلا مبشِّرينَ ومنذرينَ لهداية الناس، كما قال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة:

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنْزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابُ) (الاية 213).

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ أَيْ: إِنَّ اللَّهَ الرَّبَّ أَنْزَلَ الْكِتَابَ مَعَ مَنْ كَانَ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّ
الرَّبَّ أَنْزَلَ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ كِتَابًا.

ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ فَضَّلَ بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:
(وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) (الآية 55).
وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ إِلَى النَّاسِ مِنَ النَّبِيِّينَ كَمَا لَاتِي بَيَانُهُ:

ب _ الرَّسُولُ:

الرسول: حامل الرسالة، وهو وسيلة هداية الرب للناس، وله شرف الوساطة بين الرب والمريبيين
من البشر، ومرسل برسالة خاصة إليهم، ويختاره الله مِمَّنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَمَنْ أَهْلَ لَغْتِهِمْ كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...) (الآية 5).
وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) (فِي سُورَتِي الْأَعْرَافِ 65، وَهُودِ 45).
وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) (فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ 73، وَهُودِ 61، وَالنَّمْلِ 45).
وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) (فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ 85، وَهُودِ 84، وَالْعَنْكَبُوتِ 36).

وَأَنَّ الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ وَاضِحَةٌ: لِيَتَقَوَّى بَرَهْطُهُ فِي آدَاءِ التَّبْلِيغِ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ
عَنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ أَنَّهُمْ قَالُوا لَشُعَيْبٍ:

(وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) (الآية 91).

وَيُرْسِلُ الرَّبُّ الرُّسُلَ لَهْدَايَةِ النَّاسِ وَإِتِمَامًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ:

(وَرُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (الآية 165).

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (الآية 15).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ يُونُسَ:

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (الآية 47).

وتستحق الأمم التي تعصى الرسول عذاب الدنيا والاخرة كما أخبر سبحانه عن فرعون ومن قبله
وقال في سورة الحاقة:

(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) (الاية 10).

وتكون معصية الرسول معصية الله الرب، كما قال سبحانه في سورة الجن:

(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) (الاية 23).

وأختار الله الرسل من الانبياء وكان عدد الرسل أقل من عدد الانبياء كما ورد ذلك في ما رواه

أبو ذر وقال:

[... فقلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! كم هي عدّة الانبياء؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة عشر، جمّاً غفيراً»] (1)

وبناء على ما ذكرناه فإنّ كلّ رسول نبيّ، وليس كل نبي رسولا مثل اليسع (ع) فإنّه كان نبياً
ووصياً للكليم موسى بن عمران (ع).

ومن الرسل من جاء بشريعة ناسخة لبعض ما في الشريعة السابقة من المناسك، كما كان شأن

شريعة موسى (ع) بالنسبة إلى الشرائع السابقة على شريعته، ومنهم من جاء بشريعة متممة مجدّدة

للشريعة السابقة كما كان شأن شريعة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة إلى حنيفية

إبراهيم الخليل (ع) كما قال سبحانه وتعالى في سورة النحل:

(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...) (الاية 123).

وقال تعالى في سورة المائدة:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (الاية 3).

أمّا الاوصياء من الانبياء فأخبارهم كالآتي:

الوصيّ والوصيّة:

الوصيّ في الكتاب والسنة: هو الانسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهّمه،

سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيّه:

أوصيك أن تفعل كذا وكذا من بعدى، أو يقول: أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدى، وكذلك الشأن فى إخباره الآخرين الوصية، فإنه سواء فى ذلك أن يقول: فلان وصي من بعدى، أو يقول: فلان يقوم بعدى بعمل كذا وكذا، وما شابهها من الالفاظ الدالة على الوصية.

ووصى النبى: هو الانسان الذى يعهد إليه النبى بأمر شريعته وأمنته من بعده (2).

ومما بلغنا من أخبار الاوصياء من الانبياء ما رواه الطبرى عن ابن عباس وقال ما موجزه:

ولدت حواء لادم هبة الله واسمه بالعبرانية: شيث، وإليه أوصى آدم.

وولد لشيث أنوش، ولما مرض أوصى لابنه أنوش ومات.

ثم ولد لأنوش ابنه قينان ونفر كثير، وإليه الوصية.

وولد قينان مهلائيل اليرد ونفرا معه، وإليه الوصية.

فولد يرد أخنوخ، وهو أدريس ونفرا معه، وإليه الوصية.

فولد أخنوخ متوشلخ ونفرا معه، وإليه الوصية.

وروى ابن سعد فى ذكر ادريس النبى (ع) بسنده عن ابن عباس، وقال:

أول نبى بعث بعد آدم إدريس وهو خنوخ بن يرد... فولد خنوخ متوشلخ ونفرا معه، وإليه

الوصية. فولد متوشلخ لملك ونفرا معه، وإليه الوصية، فولد لملك نوحا (3).

وروى المسعودى فى أخبار الزمان وقال ما موجزه:

ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوفى فى آدم أمره أن يسند وصيته إلى ابنه شيث ويعلمه

جميع العلوم التى علم بها ففعل.

وقال: وأوصى (شيث) إلى ابنه قينان، وقد كان علمه الصحف وبين له قسمة الارض، وما يكون

فيها، وأمره بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج، وبجهاد ولد قابيل. ففعل ما أمره به أبوه، ومات قينان

وله سبعمائة سنة وعشرون سنة.

وأوصى إلى ابنه مهلائيل ووصاه بما أوصاه به، وكان عمر مهلائيل ثمانمائة سنة وخمسة وسبعين

سنة.

وأوصى إلى ابنه بوارد وعلمه الصحف وعلمه قسمة الارض، وما يحدث فى العالم، ودفع إليه

كتاب سر الملكوت الذى علمه مهلائيل (4) الملك لادم (عليه السلام)، وكانوا يتوارثونه مختوما لا

ينظرون فيه.

وولد لبوارد ابنه خنوخ، وهو ادريس النبي (ع) ونبأه الله تعالى وسمى إدريس لكثرة درسه
لكتاب الله عز وجل، وسنن الدين، وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه ثلاثين صحيفة فكملت الصحف
المنزلة يومئذ ثلاثين صحيفة، وعهد بوارد إلى خنوخ ورفع إليه وصية أبيه وعلمه العلوم التي كانت
عنده ودفع إليه مصحف السر فلم يدفعه بعد شيث غير ادريس (عليهما السلام).
أما اليعقوبي فقد أورد أخبار الاوصياء بالتسلسل نفسه وبتفصيل أكثر من الطبري وابن الاثير،
وأورد أخبارا أخر عن أمر الوصية، وقال مثلا:

ولما حضرت آدم الوفاة جاءه شيث ابنه وولده وولد له فصلّى عليهم ودعا لهم بالبركة وجعل
وصيته إلى شيث.

وقال: وقام بعد موت آدم ابنه شيث وكان يأمر قومه بتقوى الله سبحانه والعمل الصالح... إلى
قوله: فلما حضرت وفاة شيث أتاه بنوه وبنو بنيه وهم يومئذ أنوش وقينان ومهلائيل، ويرد،
وأخنوخ، ونساؤهم وأبنائهم، فصلّى عليهم ودعا لهم بالبركة، وتقدّم إليهم وحلفهم... ولا يختلطوا
بأولاد قاييل الملعون، وأوصى إلى أنوش ابنه.

وهكذا سلسل أخبار الوصية مع ذكر ما وقع في أيامهم إلى قوله في خبر وصية نوح:
ولما حضرت وفاة نوح إجتمع إليه بنوه الثلاثة: سام وحام ويافث وبنوهم فأوصاهم، ثم ذكر
تفصيل وصية نوح لسام، وكذلك ذكر تسلسل أخبار الاوصياء وصيا بعد نبي إلى آخر أنبياء بنى
إسرائيل وأوصيائهم، وقد اكتفينا منها بما أوردناه موجزا إلى هنا (5).

وانتشر على عهد نوح عبادة الاصنام فى ولد قاييل.

وأوصى إدريس إلى ابنه متوشلخ، لأن الله أوحى إليه أن اجعل الوصية فى ابنك متوشلخ فانى
سأخرج من ظهره نبيا يرتضى فعله. ورفع الله إدريس (ع) إليه وانقطع الوحي بعده.
فكثر الاختلاف بعده والتنازع وأشاع عليه ابليس أنه هلك، وأنه كان كاهنا أراد الصعود إلى
الفلك فأحرق، وحزن عليه ولد آدم المتمسكون بدينه حزنا شديدا، وأظهر أن صنمهم الاكبر أهلكه
فزادوا فى عبادة الاصنام وتحليلتها والذبائح لها، وعملوا عيدا لم يبق أحد إلا حضره، وكانت لهم
يومئذ من الاصنام يغوث ويعوق ونسر (6) وود وسواع.

ولما حضرت متوشلخ الوفاة أوصى إلى ابنه لمك ومعنى لمك الجامع، وعهد إليه أبوه ودفع إليه
الصحف والكتب المختومة التي كانت لادريس (ع)، وكان عمر متوشلخ تسعمائة سنة.

وانتقلت الوصية إلى لمك (وهو أبو نوح (عليهما السلام)). وقد كان رأى أن نارا خرجت من فيه، فأحرقت العالم، ورأى وقتنا آخر كأنه على شجرة فى وسط بحر لا غير.

وكبر نوح (ع) فنباؤه الله عز وجل وهو ابن خمسين سنة وأرسله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الاصنام، وهو من أهل العزم من الرسل.

وفى بعض الاخبار أن عمره ألف ومائتان وخمسون سنة، وأنه لبث فى قومه يدعوهم إلى الايمان ألف سنة إلا خمسين عاما كما قال الله تعالى، وكانت شريعته التوحيد والصلاة والصيام والحج ومجاهدة أعداء الله من ولد قاييل، وأمر بالحلل ونهى عن الحرام، وأمر أن يدعو الناس إلى الله تعالى، ويحذرهم عذابه، ويذكرهم آلاءه.

وقال المسعودى:

إن الله جعل لسام بن نوح الرئاسة والكتب المنزلة من الانبياء، ووصية نوح فى ولده خاصة دون إخوته (7).

إلى هنا ينتهى الموجود بأيدينا اليوم من كتاب «أخبار الزمان» للمسعودى، وكذلك سلسل المسعودى فى كتاب «اثبات الوصية» (8) ذكر الاوصياء من آدم (ع) إلى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم). هذا ما كان فى مصادر الدراسات الاسلامية عن الرسل وأوصيائهم.

ونرجع بعد ذلك إلى أخبار الرسل وأوصيائهم فى كتب العهدين فى ما يأتى:

2 - بعض أخبار الاوصياء فى كتب العهدين

نقتصر فى نقل أخبار الاوصياء من العهدين على ذكر أخبار ثلاثة منهم كالآتى:

أ - وصية كليم الله موسى (ع) لنبي الله يوشع (ع):

ورد فى مادة (يوشع) من «قاموس كتاب مقدس» نقلا عن التوراة:

أن يوشع بن نون كان مع موسى فى جبل سينا ولم يتلوث بعبادة العجل على عهد هارون.

وفى آخر الاصحاح السابع والعشرين من سفر العدد ورد خبر تعيينه من قبل الله وصيا لموسى كالنص الآتى:

فَكَلَّمَ مُوسَى الرَّبَّ قَائِلًا. لِيُوكِّلِ الرَّبُّ إِلَهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْغَنَمِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا. فَقَالَ الرَّبُّ

لِمُوسَى خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ الْعَازَارِ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَغْنِيهِمْ. وَاجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ. فَيَقِفَ أَمَامَ الْعَازَارِ الْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ بِقَضَاءِ الْأَوْرِيمِ أَمَامَ الرَّبِّ. حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ الْعَازَارِ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى.

وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحا من سفر يوشع بن نون (9) .

ب - وصية نبي الله داود (ع) لنبي الله سليمان (ع):

ورد في الاصحاح الثاني من سفر الملوك الاول العدد: (1 - 4).
وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانَ ابْنَهُ قَائِلًا أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الْأَرْضِ كُلِّهَا. فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلًا. احْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلَهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طَرَفِهِ وَتَحْفَظْ فَرَائِضَهُ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ.

ج - وصية عيسى (ع) للحواريّ شمعون بطرس:

شمعون اسمه في التوراة سمعون، وقد ورد خبره في إنجيل متى، الاصحاح العاشر كالآتي:
«ثمّ دعا - يعنى عيسى - تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كلّ مرض وكلّ ضعف. وهذه أسماء الاثني عشر رسولا: الاول سمعان الذي يقال له بطرس...».

وفى إنجيل يوحنا، الاصحاح 21 العدد: 15 - 18 أن عيسى أوصى إليه وقال له: «إِرْعَ غَنَمِي» كناية عن رعاية من آمن به.

وجاء في «قاموس كتاب مقدّس» أيضا:

«عَيْنُهُ الْمَسِيحُ لِهَدَايَةِ الْكَنِيسَةِ» (10) .

في الخبر الاول وجدنا النبيّ الرسول موسى بن عمران (ع) يعيّن من بعده نبيّ الله يوشع - اليسع في القرآن الكريم - وصيًا من بعده.

وفى الخبر الثانى وجدنا نبى الله داود (ع) يوصى نبى الله سليمان (ع) أن يعمل بشريعة نبى الله ورسوله موسى بن عمران (ع).

وفى الخبر الثالث وجدنا عيسى كلمة الله (ع) يوصى حوارئيه لهداية الناس.

أخبار الرسل والاصياء فى القرآن الكريم

ذكر الله - سبحانه - فى كتابه الكريم أخبار خمسة وعشرين نبيا بأسمائهم وهم:

آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وأيوب، واليسع، وذو الكفل، وإلياس، ويونس، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وإسماعيل صادق الوعد، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين.

منهم من كان صاحب شريعة متممة ومكملة للشريعة السابقة مثل شريعة نوح (ع) المكملة لشريعة آدم (ع)، وشريعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المكملة لشريعة إبراهيم (ع). ومنهم من كان صاحب شريعة ناسخة لشريعة من كان قبله مثل موسى (ع) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومنهم من كان نبيا ووصيا وحافظا لشريعة النبى الرسول الذى كان قبله، كيشوع بن نون (ع) وصيا لموسى بن عمران (ع).

وكان لا بد لمن يبعثه الله الرب لهداية الناس - رسولا كان أو وصى رسول - أن يؤتیه الرب آية على صدق مدعاه فى أنه مبعوث من قبل الرب، كما يأتى بيانه بإذنه تعالى:

3 - الآية والمعجزة

الآية فى اللغة: العلامة الدالة على الشئ بحيث إذا ظهرت العلامة اتضح وجود ذلك الشئ.

وفى المصطلح الإسلامى: نوعان من العلامة الدالة على وجود البارى أو إحدى صفاته - أسمائه الحسنى - وهما:

أ - ما دلّ بوجوده المتقن على خالق حكيم، وبنظامه المحكم على ربّ يدبّر شؤون الخلق وفق نظام محكم نسّميه بسنن الله فى الكون.

فمثال الاول قوله تعالى فى سورة الغاشية:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ...)
(الآيات 17 - 20).

وقوله تعالى في سورة العنكبوت:

(خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) (الآية 44).
ذكر الله تعالى في أمثال هذه الآيات القرآنية أنواعا من الخلق تدلّ بوجودها على وجود خالقها،
ولذلك يسميها الآيات.

ومثال الثاني قوله تعالى في سورة النحل:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ
وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ) (الآيات 10 - 13).

ذكر الله في أمثال هذه الآيات القرآنية أنواعا من النظام الكوني الذي يدلّ على وجود الربّ
المدبّر الحكيم، للعالمين، وقد يجمع الله في الذكر بين الآيات الدالة على الخالق العزيز والربّ المدبّر
الحكيم مثل قوله تعالى في سورة البقرة:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ
النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الآية 164).

ذكر الله تعالى في أول الآية خلق السماوات والأرض، وذكر بعدها آيات النظام الكوني الذي
قدّره الربّ والتي نسميها بسنن الله في الكون.

ب - ما أتى الله الربّ الأنبياء من الولاية على النظام الكوني بحيث إذا اقتضت مشيئة الله أن
يغيّر النبی شيئا يسيرا من النظام الذي جعله الله للكون استطاع أن يفعل به بإذن الله تعالى، كما حكى
الله تعالى ذلك في وصف عيسى (ع) في سورة آل عمران، وقال:

(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...)
(الآية 49).

ويسمى هذا النوع من آيات الله في العرف الاسلامى بالمعجزة، لأن سائر البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها، وهى خارقة للنظام الطبيعى للخلق، مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيرا بإذن الله لتكون دليلا أولا على أن الله الرب هو الذى أعطى الاشياء خواصها ونظامها الطبيعى، ومتى اقتضت حكمته أن يسلب أى شىء خواصه، استطاع أن يفعل ذلك؛ مثل أن يسلب النار خاصة الاحراق لابراهيم (ع) حين ألقى فيها، ومتى اقتضت حكمته أن يغير النظام الطبيعى الذى جعله لبعض خلقه، استطاع أن يفعل ذلك؛ مثل خلق الطير من الطين بيد عيسى (ع) بدل إنشائه من أثنى الطير بعد اللقاح من الطير الذكر وفقا للنظام الطبيعى الذى جعله فى تسلسل خلق ذوات الارواح.

ومعاجز الانبياء - كما ذكرنا - خرق للنظام الطبيعى وليست طيا لمراحل انتقال المادة من حال إلى حال وصورة بعد صورة حتى تستقر فى الصورة الاخيرة، أى ان خلق الطير من الطين يتحقق ضمن سلسلة مراحل يكون قريبا من سير النور، يطويها الله لنبيه بأسرع من زمانه الطبيعى وتدرجه فى الانتقال كما يفهم ذلك من كلام بعض فلاسفة المسلمين.

وليست المعجزة سحرا فإن السحر ضرب من التخيل لا حقيقة له، والساحر - مثلا - عندما يرى أنه ابتلع طيرا أو دخل فى فم الناقة وخرج من دبرها، أو هشم أوانى زجاجية ثم أعاد كل شىء كما كان، لم يفعل أى شىء من ذلك، وإنما سحر أعين الرائي فتخيّلوا ذلك، ولما انتهى مفعول السحر رأى الحاضرون كل شىء كما كان دونما تغيير أو تبديل.

والمعجزة تغيير حقيقى للنظام الطبيعى مثل ابتلاع عصا موسى (ع) - التى أصبحت ثعبانا عظيما - جميع ما ألقى السحرة فى الساحة الكبيرة، ولما عاد الثعبان فى يد موسى (ع) إلى العصا لم يبق أثر لما كان قد ألقى السحرة فى تلك الساحة، ومن ثم ألقى السحرة ساجدين، وقالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون؛ لأنهم كانوا متخصصين فى أمر السحر، وأدركوا أن عمل موسى (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بسحر وإنما هو آية من آيات الرب تعالى.

وكذلك لا تأتى المعجزة فى الامر المحال وما يسمى فى علم المنطق باجتماع النقيضين مثل أن يكون الشىء فى زمان واحد ومكان واحد موجودا وغير موجود.

وحقيقة معجزات الانبياء آيات يجريها الله الرب على أيديهم، لا يستطيع الانس والجن أن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

فإنّ في الجنّ مثلاً من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى سليمان قبل أن يقوم من مقامه، لأنّ سير الجنّ في الجو قد يكون قريباً من سير النور.

وبناء على ذلك قد يستطيع الجنّ أن يخبر عن شئ وقع في مكان ما، لكاهن يتصل به، ولكن لا يستطيع الجنّ والانس أن يخلقوا من الطين طيراً فيكون طيراً، ما لم يكن الربّ قد أذن بذلك. وقد يستطيع المرتاض الهندي أن يوقف القطار عن الحركة، ولكنّه لا يستطيع هو ولا غيرهم ممّن لم يأذن له الربّ أن يضرب بعصاه الحجر فتنبجس منه اثنتا عشرة عينا. ولما كان الله الربّ يؤتى من بعثه من الانبياء الايات، لتعلم أممهم صدق أدعائهم أنهم مبعثون من قبل الربّ، كان مقتضى الحكمة أن تكون الايات ممّا تعرفها الامة التي بُعثَ النبيُّ لهدايتها، كما أخبر بذلك الامامُ عليُّ بن موسى الرضا (ع) من سألّه: لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا وآلة السحر؟ وبعث عيسى بالطبّ؟ وبعث محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكلام والخطب؟ بقوله: «إنّ الله تبارك وتعالى لمّا بعث موسى (ع) كان الاغلب على أهل عصره السحر. فأتاهم من عند الله عزّ وجلّ بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجّة عليهم، وأنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله عزّ وجلّ بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الاكمة والابرص بإذنه، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّداً في وقت كان الاغلب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنّه قال: والشعر - فأتاهم من كتاب الله عزّ وجلّ ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت الحجّة عليهم».

فقال السائل: تالّله ما رأيت مثل اليوم قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟ فقال (ع): «العقل؛ تعرف به الصادق على الله فتصدّقه، والكاذب على الله فتكذّبه». فقال السائل: هذا والله الجواب (11).

وكان إتيان الانبياء الايات الخارقة لشئ من النظام الطبيعي للاشياء من سنن الله الربّ الكونية في المجتمعات الانسانية التي يبعث الانبياء إليها. ومن ثمّ كانت الأمم تطالب أنبياءها بأن يأتوا لهم بآية تكون دليلاً على صدق مدّعاهم، كما حكى الله تعالى في سورة الشعراء عن قوم ثمود أنّهم قالوا لنبيّهم صالح (ع):

(ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (الايات 154 - 156).

وبعد بيان النبى الاية المعجزة، كثيرا ما كانت الأمم تكابر وتعاند نبيها ولا تؤمن بالله ربنا وبنبيه مبعوثا إليهم، كما أخبر الله تعالى عن قوم ثمود بعد هذه الايات وقال: (فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ) (الاية 157).

وإذا نزلت الاية حسب طلب قوم النبى ولم يؤمنوا بها استحقوا الرجز والعذاب، فيعذبهم الله تعالى كما أخبر فى السورة نفسها عن عاقبة قوم ثمود - أيضا - وقال عز اسمه: (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) (الاية 158).

ويكون إتيان الاية للانباء بمقتضى الحكمة، ومقتضى الحكمة إتيان الاية بالمقدار الذى يظهر لمن أراد أن يؤمن بالرب ورسوله أن الرسول صادق فى دعواه وليس بمقدار تعنت الاقوام التى تأبى الايمان بالرب ورسوله على أى حال، ولا تأتى - أيضا - بالامر المحال كما ورد الامر فى طلب قريش من خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بعد أن آتى الله قريشا من آياته ما اختص العرب به: كلاما بليغا، وخاطبهم فى سورة البقرة وقال لهم:

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (الايتان 23 - 24).

وقد أخبر الله تعالى فى سورة الاسراء عن أنواع تعنتهم وقال: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْاَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْاِنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْاَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (الايات 88 - 96).

فَأَتَمَّ اللَّهُ الرَّبُّ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، وَقَالَ: (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ)، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ لَوْ اجْتَمَعُوا لَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا، وَأَكَّدَ ذَلِكَ وَقَالَ: لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَحَتَّىٰ عَصَرْنَا الْحَاضِرَ لَمْ يَسْتَطِعْ خَصُومُ
الْإِسْلَامِ - عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ قُوَىٰ ضَخْمَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ - أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلَ الْقُرْآنِ.
بَعْدَ هَذَا التَّحَدُّى الصَّارِخِ وَإِتْيَانِ الْأَمْرِ الْمَعْجَزِ لِلْإِنْسِ وَالْجِنَّ، وَعَجَزِ قَرِيشٍ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ،
طَلَبُوا مِنَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَغَيِّرَ مَنَاحِ مَكَّةَ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ
يَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا، أَوْ يَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَا يُؤْمِنُونَ لِرَقِيَّتِهِ حَتَّىٰ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا يَقْرَأُونَهُ،
وَكَانَ فِي مَا طَلَبُوا؛ الْأَمْرُ الْمَحَالُّ وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا قَالَهُ الظَّالِمُونَ
عُلُوءًا...) وَكَانَ فِيهِ مَا يَخَالِفُ سُنَنَ اللَّهِ فِي إِسْرَالِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَنْ يَرْقَى أَمَامَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَيَأْتِيَ لَهُمْ
بِكِتَابٍ وَهُوَ مَا خَصَّ اللَّهُ رُسُلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْبَشَرِ، وَاسْتَنْكَرُوا أَنْ يُبْعَثَ اللَّهُ لَهُمْ
بَشَرًا رَسُولًا، فِي حِينٍ أَنْ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الرَّسُلُ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ لِيَكُونُوا فِي عَمَلِهِمْ قُدُورَةً
وَأَسُوءَةً لِقَوْمِهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ سَائِرَ طَلِبَاتِهِمْ مُوَافِقَةً لِمَقْتَضَى الْحِكْمَةِ، مِثْلَ طَلِبِهِمْ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ،
وَلِذَلِكَ أَمَرَ أَنْ يُجِيبَهُمْ وَيَقُولَ: (سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا).

وَخِلَاصَةً مَا ذَكَرْنَاهُ أَنْ حِكْمَةَ الرَّبِّ اقْتَضَتْ أَنَّ الْمُرْسَلَ مِنْ قَبْلِهِ يَأْتِي بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ تَدُلُّ عَلَى
صَدَقِ ادِّعَائِهِ، وَيُتِمُّ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ، وَعِنْدَئِذٍ يُؤْمِنُ مَنْ شَاءَ أَنْ يُؤْمِنَ، وَيَجْحَدُ مَنْ شَاءَ أَنْ
يَجْحَدَ، كَمَا كَانَ شَأْنُ قَوْمِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) بَعْدَ إِتْيَانِ الْمَعْجَزَاتِ، فَقَدْ آمَنَتِ السَّحَرَةُ
وَكَفَرَ بِهَا فِرْعَوْنُ وَمَلَأَهُ فَأَخْزَاهُمُ اللَّهُ بِالْغَرَقِ، وَمَا يَأْتِي بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
يُسَمَّى فِي الْمِصْطَلَحِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْمَعْجَزَةِ دَلِيلًا عَلَى صَدَقَتِهِمْ.

وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا ذَكَرْنَا فَإِنَّ لِلَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أُمَّةً لِهَدَايَةِ النَّاسِ (سِوَاءِ كَانُوا رُسُلًا أَوْ أَصْحَابَ
شَرَائِعٍ أَوْ أَوْصِيَاءَ لَهُمْ) صِفَاتٍ يَمْتَنَازُونَ بِهَا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ كَمَا سَنَدْرُسُهَا فِي الْبَحْثِ الْآتِي
بِحَوْلِهِ تَعَالَى:

(7)

صفات المبلّغين عن الله

عصمتهم من الذنوب

أ - إبليس لا سلطان له على خلفاء الله في الارض.

ب - أثر العمل وخلوده وانتشار بركة الاعمال وشؤمها على الزمان والمكان.

ج - عصمة خلفاء الله عن المعصية لرؤيتهم ذلك.

د - روايات مكذوبة على نبي الله داود في زواجه بأرملة أوريا وعلى خاتم الانبياء في زواجه

بزينب مُطْلَقَةً مَنْ تَبَنَّاهُ، والحكمة في الامرين.

هـ - آيات أخطأوا في تأويلها.

-
- (1) مسند أحمد: 5 / 265 - 266، ويتفصيل أوفى في معاني الاخبار للصدوق ص: 95، والخصال للصدوق، 2 / 104، والبحار، 11 / 32 ح، 24، واللفظ لاحمد.
- (2) راجع شرحه في «معالم المدرستين» الجزء الاول / بحث مصطلح (الوصي).
- (3) راجع أخبار ما أوردنا في تاريخ الطبري، ط، أوروبا 1 / 153 - 165 و 166، وتاريخ ابن الاثير 1 / 19 - 20، في ذكر شيث بن آدم، وطبقات ابن سعد، ط، 1 / 16، وذكر ابن كثير في تاريخه 1 / 98 خبر وصية آدم لابنه شيث.
- (4) في نسخة: وابيل.
- (5) راجع تاريخ الانبياء في الجزء الاول من تاريخ اليعقوبي.
- (6) في نسخة: ونسرا وودا وسواعا.
- (7) أخيار الزمان، للمسعودي، ط، بيروت 1386 هـ، ص: 75 - 102.
- (8) فصلنا القول في نسبة الكتاب في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فصل: عصر الفترة، باب: أبوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (9) التوراة من الكتاب المقدس، بيروت، المطبعة الامريكية سنة: 1907 م.
- (10) قاموس كتاب مقدس، مادة (بطرس الحواري).
- (11) البحار 11 / 70 - 71 باب (علة المعجزة وأنه لِمَ خَصَّ الله كلَّ نبيٍّ بمعجزة خاصة) نقلا عن علل الشرائع / ص: 52، وعيون الاخبار / ص: 234.

1 - إبليس لا سلطان له على خلفاء الله في الارض

أخبر الله سبحانه في سورة الحجر أنَّ إبليس لا سلطان له على عباده المخلصين، في ذكره مآدار بينه وبين إبليس من محاوراة وذلك في قوله تعالى:

(رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ*
قَالَ... إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الآيات 39 - 42).

وأخبر تعالى عما جرى بين يوسف وزليخا، وكيف يعصم الله المخلصين من إغواء الشيطان، حيث قال تعالى في سورة يوسف: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (الآية 24).

وعرفنا أنَّ الوصف المذكور من شروط الإمامة في ما أخبر الله عما دار بينه وبين خليله إبراهيم (ع) في سورة البقرة، وقال:

(وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (الآية 124).

وذكر في سورة الانبياء أنَّ الذين جعلهم أئمة، يهدون بأمره. وقال تعالى:
(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...) (الآية 73).

وذكر منهم في تلك السورة نوحا وإبراهيم ولوطا وإسماعيل وأيوب وذو الكفل ويونس وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى (ع).

وكان في من وصفهم بالإمامة في هذه السورة: النبيُّ والرسول والوزير والوصيُّ. إذا فقد بان لنا أنَّ الله تبارك وتعالى اشترط لمن جعله إماما أن يكون غير ظالم.

وقد وصف الله الإمام بأنه خليفته في الارض كما ورد في خطابه لداود (ع) في سورة ص:
(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) (الآية 26).

وورد في وصفه لادم (ع) في خطابه للملائكة في سورة البقرة:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...) (الآية 30).

كما سنشرحه بعد تفسير كلمات الآيات إن شاء الله تعالى.

شرح الكلمات:

أ - أَغْوَيْتَنِي، وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ، وَالْغَاوِينَ.

غوى فهو غاوى: انهمك فى الغى.

وأغواه: أضله وأغراه. وقصد اللعين بقوله أغويتنى: أنه تعالى بلعنه وقوله له قبل هذه الآية (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) أبعده عن رحمته جزاء تمرده وامتناعه عن السجود لادم كما قال تعالى فى سورة البقرة: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (الاية 26).

ب - لَا زَيْنَ لَهُمْ:

أى: أحسن لهم سوء أعمالهم كما قال سبحانه وتعالى: (زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) (الانفال 48 والنحل 24 والعنكبوت 37) و(زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) (التوبة 37).

ج - الْمَخْلُصِينَ.

الْمُخْلَصُونَ: هم الذين أخلصهم الله لنفسه بعدما أخلصوا أنفسهم لله، فليس فى قلوبهم محلٌ لغيره.

د - إِبْتَلَى:

بلاه بلاءً وابتلاه ابتلاءً: امتحنه واختبره بالخير والشر والنعمة والنقمة.

هـ - بِكَلِمَاتٍ:

المقصود من الكلمات هنا قضايا امتحن الله بها إبراهيم (ع)؛ مثل ابتلائه بعباد الكواكب والاصنام، وإحراقه بالنار، وتضحيته بابنه، وأمثاله.

و - فَأَتَمَّهُنَّ:

أى أكمل أداءهنَّ.

ز - جَاعِلُكَ:

وردت «جعل» بمعنى: خلق وأوجد وحكم وشرع وقرّر وصيّر، والآخر هو المقصود هنا.

خ - إِمَامًا:

الامام: هو المقتدى للناس فى الاقوال والافعال.

ط - الظَّالِمِينَ:

الظلم: وضع الشئ فى غير موضعه. والظلم - أيضا - تجاوز الحق.

والظلم ثلاثة أنواع:

أولاً- ظلم بين الانسان وربه، وأعظمه الشرك والكفر، كما قال سبحانه فى سورة لقمان:

(إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (الاية 13).

وفى سورة الانعام:

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ...) (الاية 157).

ثانيا - ظلم بين الانسان وغيره، كما قال سبحانه وتعالى فى سورة الشورى:

(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) (الاية 42).

ثالثا - ظلم الانسان نفسه، كما قال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة:

(... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (الاية 231).

وفى سورة الطلاق:

(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (الاية 1).

وكل نوع من الظلم ظلم للنفس.

يقال لمن اتصف بالظلم فى أى زمان من عمره المتقدم منه أو المتأخر: ظالم.

ى - همّت به وهمّ بها.

همّ بالامر: عزم على القيام به ولم يفعله.

ك - رأى:

رأى بالعين: نظر، وبالقلب: أبصر، وأدرك.

ل - برهان:

البرهان: أوكد الأدلة، والحجة والبيّنة الفاصلة، وما رآه يوسف أكثر من هذا.

تأويل الايات والله أعلم:

قال إبليس لرب العالمين: رَبِّ بِمَا لَعَنْتَنِي وَأُبعدْتَنِي عَنْ رَحْمَتِكَ لِأَزِيِّنَ لِلنَّاسِ فِي دَارِ الدُّنْيَا

الاعمال السيئة، كما قال سبحانه:

أ - فى سورة النحل:

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) (الاية 63).

ب - فى سورة الانفال:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ...) (الاية 48).

ج - فى سورة النمل:

(... يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ...) (الاية 24).

وقال الشيطان: لَأُزَيِّنَنَّ للناسِ أَعْمَالَهُمْ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ لِنَفْسِكَ.
وقال الله في جوابه: إِنَّكَ لَا سُلْطَةَ لَكَ إِلَّا عَلَى مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُنْهَمَكِينَ فِي الْغَىِّ وَالضَّلَالَةِ،
وأخبر تعالى عن شأن عباده المخلصين في ما حكاه عن خبر يوسف (ع) وزليخا، حيث قال: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) في بيت خلا عن كل انسان ما عدا يوسف (ع).
وزليخا عزيزة مصر ومالكة يوسف هَمَّتْ أَنْ تَنَالَ مَأْرِبَهَا مِنْ يَوْسُفَ، ولولا أن يوسف رأى برهان
ربه لهم بقتلها وهو السوء، أو هم بالفحشاء كما هو مقتضى طبيعة الحال التي كان عليها الفتى مكتمل
الرجولة غير المتزوج مع مالكتها الفتاة مكتملة الانوثة المترفة في بيت خلا من كل أحد، ولكنه رأى
برهان ربه واستعصم، فقد كان ممن أخلصه الله لنفسه. فما هو البرهان الذي رآه يوسف (ع)؟ وكيف
رآه؟
إن يوسف (ع) رأى آثار العاملين على نفسه كالآتي بيانه:

2 و 3 - اثر العمل وخلوده وانتشار البركة والشؤم من بعض الاعمال على الزمان والمكان

وعصمة خلفاء الله عن المعصية لرؤيتهم ذلك

لمعرفة معنى عصمة الانبياء ينبغي أن ندرس كيفية انتشار البركة والشؤم على الزمان والمكان
وآثار أعمال الانسان في الدنيا والاخرة، فنستعين الله ونقول:
قال الله سبحانه وتعالى:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (الاية 185).

ب - في سورة القدر:

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

أنزل الله القرآن على خاتم أنبيائه في ليلة من ليالي شهر رمضان، فأصبحت تلك الليلة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها كل سنة بأمر ربهم أبد الدهر، وانتشرت البركة من تلك الليلة إلى كل شهر رمضان كذلك أبد الدهر.

وسندرس في بحث النسخ إن شاء الله تعالى أن الجمعة أصبحت مباركة منذ عهد آدم (ع) لما أنزل الله سبحانه وتعالى فيها من البركات على آدم (ع)، وأن عصر التاسع من ذي الحجة أصبح مباركا يغفر الله ذنوب عباده فيه بمنى لنزول المغفرة على آدم (ع) فيه، وأصبحت أراضى عرفات والمشعر ومنى أراضى مباركة في التاسع والعاشر من ذي الحجة على كل بنى آدم (ع) بعد ذلك، وبقي أثرها كذلك أبد الدهر.

وكذلك أصبح أثر قدمى إبراهيم (ع) في البيت على تلك الكتلة من الطين التي رقى عليها إبراهيم (ع) لبناء جدار البيت مباركا، فأمرنا الله باتخاذها مصلًى بعد ذلك أبد الدهر وقال: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى).

وكذلك الشأن في انتشار الشؤم كما كان من أمر بيوت عاد في الحِجْر بعد نزول العذاب عليهم، كما أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها عند مروره عليها في غزوة تبوك، وجاء خبره في كتب الحديث والسيرة، وقالوا ما موجهه:

لما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة مرّ بالحِجْر - ديار ثمود بوادى القرى في طريق الشام من المدينة - فنزل قبل أن يمر بها، فاستقى الجيش من بئرها، فنادى منادى النبى أن «لا تشربوا من ماء بئرهم، ولا تتوضأوا منه للصلاة» فجعل الناس يهريقون ما فى أسقيتهم وقالوا: «يا رسول الله قد عَجَنَّا، قال: أعلفوها الابل خوف أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

ولما ارتحل ومرّ بالحِجْر، سَجَى (1) ثوبه على وجهه واستحث راحلته وفعل الجيش كذلك، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون».

وجاءه رجل بخاتم وجده فى الحجر فى بيوت المعذّبين، فأعرض عنه واستتر بيده أن ينظر إليه، وقال: «ألقه!» فألقاه (2).

ووقع نظير ذلك للامام على (ع) كما رواه نصر بن مزاحم وغيره، واللفظ لنصر في كتابه (وقعة صفين) بسنده، وقال:

كان مخنف بن سليم يساير عليًا ببابل (3) فقال الامام على (ع): «إِنَّ بَبَابِلَ أَرْضًا خُسِفَ بِهَا فَحَرَّكَ دَابَّتَكَ لَعَلَّنَا نُصَلِّيَ الْعَصْرَ خَارِجًا مِنْهَا».

قال: فَحَرَّكَ دَابَّتَهُ وَحَرَّكَ النَّاسُ دُؤَابَّهُمْ فِي أَثَرِهِ، فَلَمَّا جَشَرَ الصَّرَاةُ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعَصْرَ (4)

وفي رواية راوٍ آخر:

قطعنا مع أمير المؤمنين جسر الصَّرَاةِ في وقت العصر، فقال: «إِنَّ هَذِهِ أَرْضٌ مُعَذَّبَةٌ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ وَلَا وَصِيِّ نَبِيٍّ أَنْ يَصَلِّيَ فِيهَا» (5).

هكذا كان للبركة انتشار من الزمان الذي بارك الله فيه لعبده من عباده المخلصين، وللشؤم انتشار من الزمان الذي غضب فيه على عبيده الاشقياء.

وسوف نرى في بحث آثار العمل الاتي أن لأعمال الناس آثارا خالدة في الدنيا وفي الآخرة تتجسّد لتخلد نارا وقودها الناس والحجارة، أو نعيمًا في جنّات عدن. وكلّ ذلكم الانتشار وتلكم الآثار يراها عباد الله المخلصون ويدركونها، فتدفعهم إلى الاجتهاد في أداء الاعمال الصالحة واجتناب الاعمال السيئة من الفحشاء والسوء والمنكر.

وتلكم الرؤية هي برهان الله الذي يؤتي الله من عباده من تركّي وآثر رضى الله على هوى النفس الامّارة بالسوء، ومن ثمّ لا تصدر من عباده المخلصين معصية موبقة، ومثْلُهُمْ في ذلك مثل إنسان بصير وآخر ضيرير يسيران معا في طريق واحد كثيرة العثرات والمهاوى المردية، يتجنبها البصير وينبّه صاحبه الضيرير ليتجنبها.

أو كمثل أناس عطاشى أمامهم ماء تتوق أنفسهم إلى شربه ليبردوا به حرارة عطشهم، وفيهم طبيب معه مجهر نظر من خلاله إلى ذلك الماء وأبصر فيه أنواعا من الجراثيم المهلكة، وأخبر صحبه بلزوم تصفية الماء قبل الاستفادة منه.

هكذا مثل عباد الله المخلصين في رؤيتهم البرهان وتبصّرهم بحقائق الاعمال وآثارها السيئة أو الحسنة، فهم مع تلك الرؤية لقبح فعل المعصية وشناعتها في الدنيا وتجسّده نارا محرقة خالدة في

الآخرة، لا يمكن أن يُقدموا على العمل بها مختارين وغير مجبورين على تركها، أو ممنوعين من قبل الله من إتيانها.

وما يوردون من شبهات حول عصمة الانبياء مستشهدين بآيات متشابهة، أخطأوا في تأويل بعضها وفسروا بعضها الآخر بروايات زائفة. ولكي لا يطول البحث نكتفي بإيراد أمثلة من النوعين في ما يأتي:

4 - روايات مكذوبة على نبي الله داود في زواجه بأرملة أوريا، وعلى خاتم الانبياء في زواجه بزينب مُطَلَّقةً مِنْ تَبْنَاهُ بروايات زائفة، والحكمة في الأمرين

ندرس من هذا النوع الروايات التي وردت في خبر زواج داود بأرملة أوريا، وزواج خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) بمطلقة زيد كالاتي:

أ - زواج داود (ع) في القرآن الكريم:

قال الله سبحانه في سورة ص:

(اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الایدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْأَشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...) (الآيات 26 - 17).

تأويل الآيات في روايات مدرسة الخلفاء

الروايات بمدرسة الخلفاء في تأويل آيات خبر حكم داود (ع) كثيرة، ونحن نكتفي في ما يأتي بإيراد ثلاثة نماذج منها بإذنه تعالى:

أ - رواية وهب بن منبه:

روى الطبرى فى تأويل الاية عن وهب أنه قال:

«لَمَّا اجْتَمَعَت بنو إِسْرَائِيلَ على دَاوُدَ، أَنزَلَ اللَّهُ عليه الزُّبُورَ، وَعَلَّمَهُ صنعة الحديد، فألانه له، وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبّح، ولم يعط الله - فيما يذكرون - أحدا من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكرون - تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وإنها لمصيخة تسمع لصوته، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته، وكان شديد الاجتهاد، دائب العبادة، فأقام فى بنى إسرائيل، يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا، وكان شديد الاجتهاد من الانبياء، كثير البكاء، ثمّ عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له، وكان له محراب يتوحّد فيه لتلاوة الزُّبُور ولصلاته إذا صلى، وكان أسفل منه جُنيّة لرجل من بنى إسرائيل، كان عند ذلك الرجل المرأة التى أصاب داود فيها ما أصابه.

وأنّه حين دخل محرابه ذلك اليوم، قال: لا يدخلنّ علىّ محرابى اليوم أحد حتى الليل، ولا يشغلنى شيء عمّا خلوت له حتى أمسى، ودخل محرابه ونشر زُبُوره يقرؤه، وفى المحراب كُوّة تطلعه على تلك الجنيّة، فبينما هو جالس يقرأ زُبُوره، إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت فى الكُوّة، فرفع رأسه فرآها فأعجبته، ثمّ ذكر ما كان قال: لا يشغله شيء عما دخل له، فنكّس رأسه، وأقبل على زُبُوره، فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكُوّة، ف وقعت بين يديه، فتناولها بيده، فأستأخرت غير بعيد، فأتبّعها، فنهضت إلى الكُوّة، فتناولها فى الكُوّة، فتصوّبت إلى الجُنيّة، فأتبّعها بصره أين تقّع، فإذا المرأة جالسة تغتسل، بهيئة الله أعلم بها فى الجمال والحُسن والخلق. فيزعمون أنها لما رأتها نقضت رأسها فوارت به جسدها منه، واختطف قلبه، ورجع إلى زُبُوره ومجلسه، وهى من شأنه، لا يفارق قلبه ذكرها، وتمادى به البلاء، حتى أغزى زوجها، ثمّ أمر صاحب جيشه - فيما يزعم أهل الكتاب - أن يقدّم زوجها للمهالك، حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك، ولداود تسع وتسعون امرأة، فلمّا أصيب زوجها خطبها داود، فنكحها، فبعث الله إليه وهو فى محرابه ملكين يختصمان إليه، مثلا يضرب له ولصاحبه، فلم يُرغ داود إلاّ بهما واقفين على رأسه فى محرابه، فقال: ما أدخلكما علىّ؟ لا تخف، لم ندخل لبأس ولا لريبة (خَصمانِ بَعَى بَعْضًا على بعض) فجنّك لتقضّى بيننا (فأحكم بيننا بالحقّ ولا تُشطط، وأهدنا إلى سواء الصراط): أى احملنا على الحقّ، ولا تخالف بنا إلى غيره، قال الملك الذى يتكلّم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة: (إنّ هذا أخى): أى على دينى (له تسع وتسعون نعمةً ولى نعمةً واحدةً، فقال أكفّلنيها): أى احملنى عليها، ثمّ عزّنى فى

الخطاب: أى قهرنى فى الخطاب، وكان أقوى منى هو وأعزّ، فحاز نعتى إلى نعاجه، وتركنى لا شىء لى. فغضب داود، فنظر إلى خصمه الذى لم يتكلم، فقال: لئن كان صدقنى ما يقول، لاضربنّ بين عينيك بالفأس، ثمّ ارعوى داود، فعرف أنّه هو الذى يُراد بما صنع فى امرأة «أوريا»، فوقع ساجدا تائباً منيباً باكياً، فسجد أربعين صباحاً صائماً لا يأكل فيها ولا يشرب، حتى انبت دمه الخُضَرَ تحت وجهه وحتى أندب السجود فى لحم وجهه، فتاب الله عليه وقبل منه.

ويزعمون أنّه قال: أى ربّ هذا غفرت ما جنيت فى شأن المرأة، فكيف بدم القتل المظلوم؟ قيل له: يا داود - فيما زعم أهل الكتاب - أما إنّ ربك لم يظلمه بدمه ولكنه سيسأله إيتاك فيعطيه، فيضعه عنك، فلمّا فرّج عن داود ما كان فيه رسم خطيئته فى كفه اليمنى: بطن راحته، فما رفع إلى فيه طعاماً ولا شرباً قط إلاّ بكى إذا رآها، وما قام خطيباً فى الناس قط إلاّ نشر راحته فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته (6).

ب - رواية الحسن البصرى:

روى الطبرى والسيوطى فى تفسير الاية عن الحسن البصرى أنّه قال:

إنّ داود جرّاً الدهر أربعة أجزاء: يوماً لنسائه، ويوما لعبادته، ويوما لقضاء بنى إسرائيل، ويوما لبنى إسرائيل، يذاكرهم ويذاكرونه، ويُبكيهم ويُبكونه، فلمّا كان يوم بنى إسرائيل قال: ذكّروا فقالوا: هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود فى نفسه أنّه سيطبق ذلك، فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على التوراة، فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب، فيها من كلّ لون حسن، قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت، ف وقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خلقها وحُسنها، قال: فلما رأت ظله فى الارض، جلّلت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا؛ مكان إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل، فأصيب فخطبها فتزوّجها (7).

ج - رواية يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك:

أخرج الطبرى والسيوطى بتفسير الاية بسندهما عن يزيد الرقاشى ما موجه:

عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك، سمعه يقول:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن داود (صلى الله عليه وآله وسلم) حين نظر إلى المرأة قطع على بنى إسرائيل وأوصى صاحب الجيش فقال: اذا حضر العدو تضرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم منه الجيش، فقتل وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود (ع)، فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده: ربّ زلّ داود زلّة أبعد مما بين المشرق والمغرب، ربّ إنّ لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا فى المخلوق من بعده. فجاء جبريل (ع) من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إنّ الله قد غفر لك وقد عرفت ان الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يا رب دمي الذى عند داود؟ قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك فإن شئت لافعلن، فقال: نعم، ففرح جبريل وسجد داود (ع)، فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال: قد سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيها فقال: قل لداود إنّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لى دمك الذى عند داود، فيقول هو لك يا رب، فيقول: فإنّ لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا... (8)

هكذا جاءت الروايات عن خبر نبي الله داود (ع) فى التفاسير وفى ما يأتى ندرس أسانيدها:

دراسة أسانيد الروايات:

أ - وهب بن منبّه:

كان أبوه من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وفى ترجمته بطبقات ابن سعد ما موجه:

قال وهب: قرأت اثنين وتسعين كتابا كلّها أنزلت من السماء؛ إثنان وسبعون منها فى الكنائس وفى أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل. (ت 110 هـ).

وقال الدكتور جواد على: يقال إنّ وهبا من أصل يهودى، وكان يزعم أنّه يتقن اليونانية والسريانية والحميرية وقراءة الكتابات القديمة. وذكر فى كشف الظنون من تأليفه (قصص الانبياء) (9).

ب - الحسن البصرى:

أبو سعيد، كان أبوه مولى زيد بن ثابت الانصارى، ولد لستين بقيت من خلافة عمر، وعاش ومات في البصرة سنة 110 هـ وكان غاية في الفصاحة والبلاغة، مهابا عند الناس وسلطة الخلافة، وإماما لاتباع مدرسة الخلفاء بالبصرة(10) .

رأيه:

يظهر من روايات وردت بترجمته في طبقات ابن سعد أنه كان يقول بالقدر وينظر فيه، ثم رجع عنه، وأنه كان لا يرى الخروج على السلطة الظالمة كالحجاج.

قيمة رواياته:

في ترجمته بميزان الاعتدال(11) .

كان الحسن كثير التدليس فإذا قال في حديث: عن فلان ضعف لحاجة، ولا سيما عمّن قيل إنّه لم يسمع منهم كأبى هريرة ونحوه، فعُدّوا ما كان له عن أبى هريرة في جملة المنقطع. والله أعلم. أرى إن الحسن إذا قال في حديث: (عن فلان) ضَعُفَ روايته عن فلان لحاجته إلى ذلك القول، لا سيما في ما يرويه عمّن لم يسمعهم مثل رواياته عن أبى هريرة ونحوها ممّن روى عنهم في حين أنّه لم يشاهدهم.

وبترجمته بطبقات ابن سعد بسنده عن على بن زيد أنّه قال:

حدّث الحسن بحديث فإذا هو يحدث به، قال: قلت يا أبا سعيد! من حدّثكم؟ قال: لا أدري! قال: قلت أنا حدّثكم.

وروى - أيضا - أنّه قيل له: أرايت ما تفتى الناس أشياء سمعتها أم برأيك؟ فقال: لا والله ما كلّ ما يفتى به سمعناه، ولكن رأينا خير لهم من رأيهم لانفسهم(12) .

تخرّج من مدرسته واصل بن عطاء (ت: 131 هـ) مؤسس مذهب الاعتزال، وابن أبى العوجاء أحد مشاهير الزنادقة. قيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت في مالا أصل له ولا حقيقة! قال: إنّ صاحبي كان مخلاً؛ يقول طورا بالقدر وطورا بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهبا فدام عليه.

قتله على الزندقة والى الكوفة سنة 155 هـ قال عند قتله: «لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيه ما أحلّ الله، وأحرّم فيه ما أحلّ الله، فطرّتكم يوم صومكم وصومّتكم يوم فطرّكم»(13) .

ج - يزيد بن أبان الرقاشي:

المحدث القاصّ البصرى والزاهد البكّاء من غير دراية وفقه.

فى ترجمته فى تهذيب الكمال للمزى وتهذيب التهذيب لابن حجر ما موجزه (14) .

أ - عن زهده:

جوع نفسه وعطشها، ذبل جسمه ونهك بدنه وتغيّر لونه. كان يبكى ويبكى جلساءه ويقول - مثلاً -: تعالوا نبكى على الماء البارد يوم الظّمأ، ويقول: على الماء البارد السلام بالنهار، قال: وفعل ما لم يقله رسول الله ولم يفعله، وقال الله سبحانه: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).

ب - عن رأيه: كان ضعيفا قدريا (15) .

ج - عن قيمة رواياته:

رووا عن شعبة أنّه قال: لان أقطع الطريق أحبُّ إلىّ من أن أروى عنه، وقال: لان ازنى أحبُّ إلىّ من أن أروى عنه.

وقالوا فى حديثه: منكر الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه!

وقال أبو حاتم: كان واعظاً بكّاء كثير الرواية عن أنس بما فيه نظر، وفى حديثه ضعف.

وفى تهذيب التهذيب: قال ابن حبان: كان من خيار عباد الله من البكّائين بالليل، لكنّه غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعل عن أنس عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا تحلّ الرواية عنه إلّا على جهة التعجّب.

وفاته:

توفى يزيد بن أبان قبل العشرين ومائة هجرية (16) .

دراسة متون الروايات:

أولاً - رواية وهب:

موجز الرواية: أنّ النبىّ داود (ع) خلا بنفسه يوماً للعبادة وأكبّ على التوراة يقرؤها، إذ أقبلت حمامة من ذهب فوقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها فطارَتْ غير بعيدٍ عنه. فما زال يتبعها حتى

أشرف على امرأة جاره أوريا، وكانت عارية تغتسل، فأعجبه جمالها، فلما أحسّت به جلّلت نفسها بشعرها فازداد افتتاناً بها، فدبر أمر قتل زوجها الذي كان في الغزو ثم تزوّجها، فتسوّر عليه الملكان وكان من أمرهما ما تحدّث عنه القرآن الكريم.

في هذه الرواية جاء مرة: قال وهب، وأخرى: قال (في ما يزعم أهل الكتاب)، وبذلك خرج من عهدة روايتها.

ولمّا رجعنا إلى التوراة وجدنا في سفر صموئيل الثاني خبر رؤية داود يتشبع زوجة جاره أوريا من سطح داره وإعجابه بها وجليه إيّاها إلى داره، وأنّه ضاجعها فحملت منه سفاحاً إلى آخر القصة التي أوردنا مصوّرها في الملحق الثاني في آخر الكتاب.

ويظهر من مقارنة رواية وهب هذه بما جاء في خبر داود في سفر صموئيل من التوراة أنّه أخذ بعض القصة من التوراة وبعضاً آخر منها من كتب إسرائيلية أخرى كان قرأها - كما كان يخبر عن قراءته إيّاها - وهذا النوع من الروايات سُمّي في علم دراية الحديث بـ «الروايات الإسرائيلية أو الاسرائيليات».

ثانياً - رواية الحسن البصري:

إنّ موجز رواية البصري هو موجز رواية وهب نفسه، غير أنّ البصري أضاف في أوّل القصة: أنّ داود كان قد جزأ الدهر أربعة أيام، ولسنا ندرى هل أضافه إليها من خياله وابتكاره أو أنّه أخذه من راوٍ آخر من رواة الاسرائيليات؟

وعلى أيّ حال، لم يذكر البصري سند روايته هذه، وإنّما أرسلها رسالاً، ولو أنّه حين رواها ذكر مصدرها وقال إنّ رواها من وهب بن منبّه أو غيره من رواة الروايات الإسرائيلية؛ لكان الأمر وتمكّن الباحثون من العثور على مصدر الرواية وأدركوا بسهولة أنّها من الروايات الإسرائيلية، وإرساله الرواية غمٌّ أمر الرواية على الباحثين، وبما أنّه إمام الأئمة في العقائد فقد كان لروايته أثرٌ مضاعفٌ على فهم العقائد الإسلامية.

وجلّ رواة الروايات الإسرائيلية يفعلون ما فعله البصري ويرسلون ما يروونه من الروايات الإسرائيلية دون ذكر مصدر الرواية، ومن ثمّ يغمُّ أمر تلك الروايات على غير أهل دراية الحديث.

ثالثاً - رواية يزيد الرقاشي:

إنَّ يزيد بن أبان قال: إنَّه سمعها من الصحابي أنس الذي سمعها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبذلك كذب على أنس وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الزاهد العابد، البكَّاء، وكم يكون أثر رواية يرويها أمثال يزيد من العباد في وعظهم وقصصهم؟! وهل يعرف غير المتخصِّصين بعلم دراية الحديث أنَّ يزيد الرقَّاشي أسند ما سمعه من الحسن البصري إلى الصحابي أنس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويأتي بعدهم المفسِّرون أمثال الطبري (ت: 310 هـ)

إلى السيوطي (ت: 911 هـ) ويوردون تلك الاساطير في تفاسيرهم. والامر لا يقتصر على من ذكرناهم هنا من رواة الروايات الاسرائيلية، بل يتعدَّاهم إلى غيرهم من صحابة وتابعين، كما ذكرنا بعضهم في الجزء الخامس والثاني عشر من قيام الائمة بإحياء السنَّة (17) مثل:

1 - الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص: الذي أصاب راحلتين من كتب أهل الكتاب في بعض الغزوات، وكان يروى عنهما دونما ذكر لمصدر رواياته.

2 - الصحابي تميم الداري: الذي أسلم بعد أن كان راهب النصارى، وكان يقصّ في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الجمعة قبل خطبة الخليفة الثاني عمر بن الخطَّاب، ويقصّ يومين في الاسبوع على عهد الخليفة عثمان.

3 - التابعي كعب الاخبار:

كان قد اسلم على عهد الخليفة عمر، وأصبح من علماء المسلمين على عهد الخليفتين عمر وعثمان.

ثمَّ من أخذ من هؤلاء وألَّف تفسير القرآن مثل:

4 - مقاتل بن سليمان المروزي الازدي بالولاء (ت: 150 هـ).

كان مشهورا بتفسير كتاب الله. وقال الشافعي:

(الناس كلُّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام):

كم يا تُرى دَسَّ مقاتل من الاسرائيليات في رواياته التي اعتمدها وكم اختلق مما روى وأسند؟! (18)

نتيجة الدراسة

نقل وهب الرواية المفتراة على نبي الله داود (ع) من كتب أهل الكتاب وصرح بمصدرها، ورواها إمام الأئمة الحسن وأرسلها دون الإشارة إلى مصدرها، ودلّس المحدث القاصّ الزاهد العابد البكاء يزيد بن أبان وقال: سمعها أنس من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ولا يقتصر هذا النوع من التدليس وإسناد الروايات الاسرائيلية إلى الصحابة بهذا المورد وحده، وإلى هذا الصحابي وحده، فقد أكثروا في إسناد أمثالها إلى الصحابي ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن عباس، ونحتاج لدراستها إلى بحوث مقارنة مبسطة، وبمراجعة الصفحة الأخيرة من تفسير السيوطي «الدر المنثور» ينكشف لنا بعض الامر.

وهكذا نجد منشأ الخبر المفترى على داود (صلى الله عليه وآله وسلم) قصص التوراة، وكذلك تسرّبت الاخبار الاسرائيلية إلى تفسير القرآن، فكوّنت للمسلمين رؤية غير صحيحة عن سيرة الانبياء، وكان ذلكم خبر زواج داود (ع) بأرملة أوربا وما افتروا عليه في ذلك، ومنشأه، والصحيح من خبره، وفي ما يأتي الصحيح من خبر زواجي زينب بنت جحش يزيد ثم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

خبر زواج الرسول بزينب بنت جحش في الرواية:

قال الخازن في تفسير آية: (وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ...):

«وأصحُّ ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عليّ بن زيد بن جدعان، قال: سألتني زين العابدين عليّ بن الحسين قال: ما يقول الحسن - أي البصري (ت: 110 هـ) - في قوله تعالى: (وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)؟ قلت، يقول: لما جاء زيد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله! إنني أريد أن أطلق زينب، أعجبه ذلك وقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، فإن الله عز وجل أعلمه أنّها ستكون من أزواجه، وأنّ زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد قال: إنني أريد أن أطلقها، قال له: أمسك عليك زوجك. فعاتبه الله تعالى وقال: لِمَ قُلْتَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَقَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنَّهَا ستكون من أزواجك؟

قال الخازن:

وهذا هو الاولى والالقي بحال الانبياء، وهو مطابق للتلاوة... الخ.

وتفصيل خبر زواج زينب بزيد أولاً ثم بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الايات والروايات كالآتي:

أ - الايات في خبر زواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بزينب بنت جحش:

قال الله سبحانه في سورة الاحزاب:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (الايات 36 - 40).

ب - تأويل الايات في روايات مدرسة الخلفاء:

روى الطبري في تأويل الاية عن وهب بن منبه: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد زوج زيد بن حارثة زينب بن جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً يريد، وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء - زيد - فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنني أريد أن أفارق صاحبتى، قال: مالك؟ أرايك منها شيء؟ قال: لا والله ما رايت منها شيء يا رسول الله ولا رأيت إلا خيراً... الحديث (19) .

ووردت - أيضاً - رواية أخرى في هذا الصدد بالمضمون نفسه عن الحسن البصري سوف نوردتها ضمن روايات أهل البيت في تأويل الايات إن شاء الله تعالى.

دراسة الروايتين:

أ - سندهما:

نقلوا الروایتین عن وهب بن منبه والحسن البصری، ونضيف إلى ما أوردناه فی ترجمتهما: أن كليهما كانا قد ولدا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأعوام، فكيف يرويان عما حدث في عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويرسلانه إرسالاً دونما ذكر مصدرهما؟!

ب - متنتهما:

محور الخبر أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أعجبه جمال زينب عندما رآها بغتة بلا حجاب، ورغب في طلاق زيد إياها وأخفى ذلك في نفسه. وبيان زيف ذلك: أن زينب كانت ابنة عمّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد نزل حكم الحجاب بعد زواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بزينب، وكان قد رآها قبل أن يزوّجها من زيد مراراً وتكراراً، وقد افترى على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من قال ذلك، والصحيح في الخبر ما نقله عن كتب السيرة في ما يأتي بإذنه تعالى:

خبر زواج زينب بزيد أولاً ثم بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد طلاق زيد إياها:

كان من خبر زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أنه أصابه سباء في الجاهلية وبيع في بعض أسواق العرب، فاشترى لخديجة، ثم وهبته خديجة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يبعث وهم ابن ثمانى سنين، فنشأ عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبلغ الخبر أهله فقدم أبوه وعمّه مكة لفدائه، فدخلوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا: يا ابن عبد المطلب! يا ابن هاشم! يا ابن سيّد قومه! جئتاك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه! فقال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فهلاً غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ أدعوه وخيروه فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً، قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسن، فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم! هذا أبي، وهذا عمّي! قال: فأنا من عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما. قال: ما أريدهما وما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت منى مكان الاب والعم! فقالوا: ويحك يا زيد! أختار العبوديّة على الحرّيّة وعلى أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم، ورأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلمّا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ذلك أخرجه إلى الحجر - فى بيت الله - فقال: يا من حضر! اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت نفوسهما وانصرفا (20).

ونُسِبَ زيد بعد ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقيل له: زيد بن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وزوجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أمته وحاضنته برة السوداء الحبشية، وكانت قد تزوجت قبله من عبيد الحبشى، وولدت له أيمن فكُنِّيَتْ بـ (أم أيمن)، فولدت فى مكة أسامة من زيد (21).

كان ذلكم خبر تبني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لزيد، ثم تزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب كالأتى خبره:

خبر زواج زيد من زينب ابنة عمّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

بعد الهجرة إلى المدينة خطب زينب ابنة أميمة ابنة عبد المطلب عدّة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأرسلت أخاها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تستشيريه فى أمرها، فقال: فأين هى ممّن يعلمها كتاب ربّها وسنة نبيّها؟ فسألت: من هو؟ فقال: زيدا! فغضبت وقالت: تزوّج ابنة عمّتك مولاك! لست بناكحته!

أنا خير منه حسبا! أنا أيّم قومي (22)، فأنزل الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (الاحزاب 36)، فرضيت فزوّجها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من زيد بعد أم أيمن السوداء الحبشية، ولها أسامة بن زيد، فكانت تعلو على زيد وتشتد وتأخذه بلسانها، فكان يشكوها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحاول تطليقها، واقتضت مشيئة الله وحكمته أن يتزوّجها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد زيد ليُلغى بذلك التبني بين المسلمين، وأشعره الوحي بذلك، فخشى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول الناس تزوّج حليلة ابنه، فكتّم الوحي فى نفسه وقال لزيد: إتّق الله وأمسك عليك زوجك، ولما ضاق زيد ذرعا بزواجه زينب طلقها وانقضت عدّتها، فنزلت الايات على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّة واحدة تخبر عمّا وقع وتبيّن حكم المتبني فى شريعة الاسلام:

(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ*... مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...) (الاحزاب 37 - 64).

وقال عز اسمه لِسائر المؤمنين: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * أَدْعَوْهُمْ لِأُبْنَانِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) (الاحزاب 4 - 5).

أوردنا في ما سبق مثالين من آيات أخطأ العلماء في تأويلها بسبب ما ورد في روايات مُفتراةٍ على الانبياء، ونورد في ما يأتي أمثلة من آيات أخطأ البعض في تأويلها دونما استناد إلى رواية:

5 - آيات أخطأوا في تأويلها

أ - نسبة العصيان إلى آدم (ع) في سورة طه حيث قال تعالى:
(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (الاية 121).

ب - في سورة الانبياء: حيث قال إبراهيم عن تكسير الاصنام (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) في حين أنه هو الذي كان قد كسرها، كما قال سبحانه:

(فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) (الايات 58 - 65).

ج - أخبر الله سبحانه في سورة يوسف (ع) أَنَّ وَرَعْتَهُ (23) قالوا لاختوته (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) في حين أنهم لم يكونوا قد سرقوا صواع الملك، حيث قال تعالى:

(فُلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَدِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفَقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ

فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخَا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (الآيات 70 - 78).

د - أخبر الله سبحانه في سورة الانبياء أن النبي ذا النون (ع) ظن أن الله لن يقدر عليه حيث قال تعالى:

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) (الآيات 86 - 88).

هـ - أخبر الله تعالى في سورة الفتح أنه سبحانه غفر بعد الفتح ما تقدم من ذنب خاتم الانبياء وما تأخر، وقال سبحانه وتعالى:

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) (الآيات 1 - 3).

هذه إلى آيات أخرى لم يفتنوا إلى تأويلها، وسندرسها بعد تفسير الكلمات وبعض المصطلحات في ما يأتي بإذنه تعالى:

- (1) سجى ثوبه على وجهه: غطاه، واستحث راحلته: استعجلها.
- (2) الخبر في مادة الحجر في معجم البلدان، وخبر غزوة تبوك في سيرة ابن هشام (4 / 164 - 165)، ومغازي الواقدي (1006 - 1008)، وإمتاع الاسماع (454 - 456)، ومسند أحمد (2 / 9 و 58 و 66 و 72 و 74 و 91 و 96 و 113 و 137 و 296)، وصحيح البخاري (3 / 61 و 99) ذكر غزوة تبوك، وتفسير سورة الحجر، وصحيح مسلم كتاب الزهد، الحديثان: 39 و 40.
- (3) بابل في العراق بين الكوفة وبغداد، وجسر الصراة كان على نهر الصراة بالقرب من بغداد. راجع ما دتي (بابل) و(الصراة) بمعجم البلدان.
- (4) صفين، ص 135.
- (5) في البحار (41 / 168) عن علل الشرائع ص 124، وبصائر الدرجات (58).
- (6) تفسير الطبري (23 / 95 - 96) ط. دار المعرفة بيروت.
- (7) تفسير الطبري (23 / 96) ط. دار المعرفة بيروت. والسيوطي (5 / 148) واللفظ للآول.
- (8) بتفسير الآية في تفسير الطبري (23 / 96)، ط. دار المعرفة - بيروت - والسيوطي (5 / 300 - 301).
- (9) طبقات ابن سعد، ط. أوروبا (5 / 395)، وكشف الظنون (1328)، وتاريخ العرب قبل الاسلام، لجواد علي (1 / 44).
- (10) ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان ط. الاولى (1 / 354) وطبقات ابن سعد، ط. أوروبا 7 / 120.
- (11) (1 / 527) رقم الترجمة 1986.
- (12) الحديثان بطبقات ابن سعد (8 / 120) ط. أوروبا (7 / 120).
- (13) ترجمة واصل بن عطاء في وفيات الاعيان لابن خلكان، وترجمة ابن أبي العوجاء في بحث الزندقة والزنادقة في الجزء الاول من خمسون ومائة صحابي مختلف والكنى والالقب، ط. صيدا (1 / 192).

- (14) راجع ترجمته بتهديب الكمال للمزي مخطوطة المكتبة الظاهرية مصوّرة المجمع العلمي الاسلامي، (8 / 264) (أ - ب)، وتهديب التهذيب لابن حجر (11 / 309 - 311).
- (15) طبقات ابن سعد ط. اوربا (ج 7 / ق 2 / 13).
- (16) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، (11 / 309 - 311).
- (17) لقد طبعا بالفارسية باسم «نقش أئمه در إحياء دين».
- (18) راجع ترجمة تاريخ بغداد (12 / 160 - 169) رقم الترجمة 7142، وفيات الاعيان (4 / 240 - 242) رقم الترجمة 4 - 7، وتهذيب التهذيب (10 / 279 - 285)، وميزان الاعتدال (4 / 172) رقم الترجمة 7841).
- (19) تفسير الطبري، ط. دار المعرفة ببيروت (22 / 10 - 11).
- (20) اسد الغابة (2 / 224 - 227).
- (21) ترجمة أم أيمن في اسد الغابة (7 / 303)، والاستيعاب ص 765 رقم الترجمة 2، والاصابة (4 / 415 - 417) الترجمة رقم 1145.
- (22) الأيّم وجمعه الايامى: المرأة لا زوج لها والرجل لا زوجة له.
- (23) ألوزعة: الموظفون من قبل ولاة الامر.

تفسير بعض الكلمات والمصطلحات:

أولاً - تعريف مصطلحات البحث:

أ - أوامر الله ونواهيه:

من أوامر الله ونواهيه ما تظهر آثار مخالفتها في الحياة الدنيا فحسب ولا تتعداها إلى الحياة الآخرة، مثل ما ورد في قوله تعالى:

(كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) (الاعراف 31).

والإسراف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، مثل تجاوزه الحد في تناول الطيبات من المأكول والمشروب، ويرى الإنسان أثر مخالفته لهذا النوع من أوامر الله ونواهيه في الحياة الدنيا ولا يتعداها إلى الآخرة، ويُسميان أمرا إرشاديا ونهيا إرشاديا.

ومنها ما يوجب فعل المأمور به ويحرم تركه ويحرم فعل المنهى عنه، وهذان تمتد آثار مخالفتها على الإنسان إلى يوم القيامة وتُسبب له العذاب، ويُسميان بالامر والنهي المولويين مثل:

ب - ترك الأولى:

في ما يصدر من الإنسان من عمل ما يكون فعل خلافه وضده أفضل، مثل الموردين الاتيين من أفعال أنبياء الله تعالى المذكورة في القرآن الكريم:

ج - المعصية:

عصى أمره يعصيه عصيانا ومعصية: خرج من طاعته ولم يُنفذ أمره، فهو عاصٍ وعصى.

ولفظ (الامر) قد يأتي في الكلام بعد ذكر مشتقات المعصية، مثل ما جاء:

أ - سورة الكهف في حكاية قول موسى لمن أراد أن يصحبه:

(سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (الاية 69).

ب - في وصف الملائكة الموكِّلين بالنار في سورة التحريم:

(عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (الاية 6).

ولا يأتي لفظ الامر في الكلام - غالبا - بوضوح المعنى مثل قوله تعالى في سورة طه: (فَعَصَى

آدَمُ رَبَّهُ) (الاية 121).

وأحيانا لا يذكر من عصى أمره مثل قوله تعالى في ما جاء عن خبر فرعون في سورة النازعات:
(فَكَذَّبَ وَعَصَى) (الاية 2).

د - الذنب:

إن حقيقة الذنب هو تبعة كل عمل يصيب الانسان في المستقبل، وقد تخص هذه التبعة بعض الاعمال في الدنيا، وترد على الانسان ممن يقدرون على الاضرار بالانسان، كما جاء في حكاية قول موسى (ع) في مناجاة ربه في سورة الشعراء:
(وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) (الايات 10 - 15).

فإن فعل موسى كان قتله القبطى الذى جاء خبره فى الايات من سورة القصص:
(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (الايات 15 - 21).

وكان لفعله - قتله القبطى - تبعة فى الدنيا وهى إثمارة قوم فرعون لقتله.
وتبعة عصيان أوامر الله ونواهيه المولوية تصيب الانسان فى الآخرة؛ وأحيانا فى الدنيا والآخرة
وهى ذنوب العبد تجاه ربه جل اسمه.

ثانيا: شرح بعض الكلمات:

أ - ذا الأيد:

آد، يثيد، أيدا: أشتد وقوى، وذا الايد: صاحب القوة.

ب - أَوَّابٌ:

أَوَّابٌ تَأْوِيًّا: رَجَعَ فَهُوَ أَوَّابٌ، وَالْأَوَّابُ كَالْتَّوَابِ: الرَّاجِعُ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِ مَعَاصِيهِ وَفِعْلِ طَاعَاتِهِ.

ج - تُشْطِطُ:

الشَّطْطُ: الْجَوْرُ فِي الْحُكْمِ وَتَجَاوُزُ الْقَدْرِ الْمَحْدُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

د - أَكْفَلْنِيهَا:

كَفَلَهُ كَفَالًا وَكَفَالَةٌ: عَالَهُ وَرَعَاهُ، وَأَكْفَلْنِيهَا: أَعْطَنِي إِيَّاهَا لِارْعَاهَا.

هـ - عَزَّنِي فِي الْخُطَابِ:

عَزَّهْ وَعَازَّهْ: غَلَبَهُ، وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ: غَالَبَنِي فِي الْكَلَامِ.

و - الْخُلَطَاءُ:

مَفْرَدُهُ الْخُلَيْطُ: الصَّدِيقُ وَالْمَجَاوِرُ وَالشَّرِيكَ.

ز - ظَنَّ:

الظَّنُّ مَا يَحْصُلُ عَنْ إِمَارَةٍ، وَقَدْ يَبْلُغُ الظَّنُّ دَرَجَةَ الْيَقِينِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَقَدْ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)

أَيُّ أَيقَنَ أَنَّا فَتَنَّا، وَقَدْ لَا يَبْلُغُهُ وَيَكُونُ دُونَهُ إِلَى حَدِّ التَّوَهُّمِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي خَبَرِ يُونُسَ (ع): (فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ).

ح - فَتَنَّا:

الْفِتْنَةُ: الْامْتِحَانُ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَيقَنَ دَاوُدُ أَنَّا امْتَحَنَّا.

ط - خَرَّ:

خَرَّ: سَقَطَ مِنْ عُلُوٍّ، وَخَرَّ رَاكِعًا أَيْ هَوَى إِلَى الرُّكُوعِ.

ي - أَنَابَ:

نَابَ إِلَى الشَّيْءِ نَوْبًا وَنَوْبَةً: رَجَعَ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَأَنَابَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ: رَجَعَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ مِنْ

الْمَعْصِيَةِ، وَكَذَلِكَ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي مَا يَنْزِلُ بِهِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ (ع) مَنِيًّا يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا.

ك - فَغْفَرْنَا وَلْيَغْفِرْ:

غَفَرَهُ مَغْفَرَةً وَغَفَرَا وَغَفَرَانَا: سَتَرَهُ وَغَطَّاهُ فَهُوَ غَافِرٌ وَغُفُورٌ، وَلِلْمَبَالِغَةِ غَفَّارٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ فَقَدْ

غَفَرْتَهُ، وَسَمِّيَ مَا يَنْسِجُ مِنَ الدَّرُوعِ عَلَى قَدَرِ الرَّأْسِ وَيَلْبَسُ تَحْتَ الْقُلَنْسُوءَةِ بِالْمَغْفَرِ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ الرَّأْسَ

وَالرَّقَبَةَ، وَغَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَيْ سَتَرَهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَحْوِ آثَارِ الذُّنُوبِ فِي الدُّنْيَا وَآثَارِهَا فِي الْآخِرَةِ.

ل - لَزُلْفَى:

زلف إليه زلفا، وزلفى، وزلفة، وازدلف: دنا منه وتقرَّب، والزلفة: القرب.

م - مآب:

آب يؤوب أوبا وإيابا ومآبا: رجع، والمآب - أيضا - اسم زمان ومكان للاوب.

ن - خَلِيفَةً:

سبق أن فسّرنا لفظ الخليفة، وقلنا ما موجزه:

ليس معنى خليفة الله في القرآن نوع الانسان على الارض كما قيل، بل المراد: الامام المنسوب من قبل الله لهداية الناس وليحكم بين الناس، كما يظهر ذلك في قوله تعالى لداود (ع): (يا داودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ).

س - الْخَيْرَةَ:

خار الشيء على غيره خَيْرَةً وَخَيْرَةً وخيرا: فَضَّلَهُ على غَيْرِهِ.

ع - وَطَرًا:

الوَطَرُ: حاجة للانسان له عناية بها واهتمام فإذا بلغها ونالها قيل: قضى وطره.

ف - أَدْعِيَاءُهُمْ:

الادعياء: مفردُهُ الدَّعِيٌّ: من يُنسَبُ إلى قوم وليس منهم، وأظهر مصاديقه: المتبنّي.

ص - سَنَّةُ اللَّهِ:

النَّظَامُ الذي قَدَرَهُ اللَّهُ لخلقه. (وَسَنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا) أى حكم الله وشريعته التي أنزلها على

مَنْ سَبَقَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الرُّسُلِ.

ق - قدرا مقدورا:

قَدَّرَ اللَّهُ الْأَمْرَ يُقَدِّرُهُ: دَبَّرَهُ أو أراد وقوعه، وَقَدَّرَ اللَّهُ الرِّزْقَ يَقْدِرُهُ جَعَلَهُ محدودا ضَيِّقًا.

ز - جُذَاذًا:

جَذَّ الشَّيْءَ جَذًّا: قطعهُ؛ فالشَّيْءُ مجذوذ، وجذّه كسره وفتّته، والجذاذ المقطّع أو المكسّر.

ش - فَتًى:

الْفَتَى: الشابُّ من كلِّ شَيْءٍ، ويقال للعبد والامة تَلَطَّفًا بهما، والفتى: الكامل من الرجال، والمراد

به هنا الشابُّ من الرجال.

ت - نُكْسُوا:

نَكَسَ رَأْسَهُ وَنُكِسَ عَلَى رَأْسِهِ: طَاطَأَ رَأْسَهُ ذُلًّا وَانْكَسَارًا.

ض - السَّقَايَة:

السَّقَايَة: الْأَنْاءُ يُسْقَى بِهِ وَقَدْ يَكَالُ بِهِ.

ظ - الْعِير:

الْقَوْمُ مَعَهُمْ حَمَلُهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ، وَقَدْ يُقَالُ لِلرِّجَالِ وَلِلْجَمَالِ مَعًا، كَمَا يُقَالُ لِكُلِّ مِنْهُمَا وَحْدَهُ: الْعِير.

غ - صُوع:

المراد بالصُّوع هنا: صاع الملك وهو السقاية المذكورة قبله.

آ - زَعِيم:

زَعِمَ يَزْعُمُ وَزَعَامَةٌ: ضَمَنَ وَكَفَلَ فَهُوَ زَعِيمٌ.

ثالثا: تأويل الايات:

فى بيان تأويل الايات نبدأ أولاً ببيان تأويل بعض الموارد، حسب معناها اللغوى، وثانياً بإيراد الروايات عن أئمة أهل البيت فى ذلك.

تأويل الايات بحسب معنى الالفاظ فى لغة العرب:

أ - خبر إبراهيم (ع) فى كسر الاصنام:

فى قوله (ع): (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) (الانبيا 63) تورىة، والمعنى فى الكلام: فعله كبيرهم إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، ويعرف ذلك من قوله تعالى بعده: (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) (الاية 65).

ب - خبر يوسف مع إخوته:

قصدوا من قولهم لاختوة يوسف (أَيُّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) أَنَّهُمْ سَرَقُوا يَوْسُفَ (ع) مِنْ أَبِيهِ. أمّا صواع الملك فقد قالوا عنه (ننقد صواع الملك)، ولم يقولوا سُرِقَ صواع الملك. وفى هذا الكلام - أيضا - تورىة كما اتضح ممّا بيّناه (1).

ج - خبر رسول الله بعد الفتح:

قال سبحانه فى سورة الفتح:

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ...) (الآيات 1 - 4).

تفسير الكلمات

أ - فتحنا:

المراد بالفتح هنا: صلح الحديبية وقد سمّاه الله فتحا لما أعقب من كسر شوكة قريش، وعدم استطاعتهم مناوأة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتجهيز الجيوش لمحاربته وفتح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة بعد ذلك.

ب - ليغفر:

في اللغة غفر الشيء: ستره.

ج - ذنبك:

قال الراغب: (الذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، يقال: أذنبته - أى - أصبت ذنبه، ويستعمل في كل فعل يستوخم عقابه)، ولهذا يسمّى الذنب: تبعة اعتبارا بذنب الشيء، وجمع الذنب: ذنوب.

تأويل الآية بحسب معناها اللغوي:

كان من خبر صلح الحديبية ما رواه الواقدي في المغازي وقال ما موجزه:
وثبَّ عمر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال: ألسنا بالمسلمين؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني. وجعل - عمر - يردّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام، وتكلّم مع أبي بكر وأبي عبيده في ذلك فردّا عليه، وكان يقول بعد ذلك: لقد دخلني يومئذ من الشكّ وراجعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مراجعة ما راجعته مثلها قط.. الخبر (2) .

ونزلت السورة تُعلم بأنّ الصلح فتح للرسول وللمسلمين، وأنّ ما كان المشركون يعدّونه ذنبا للرسول في ما تقدّم من قيامه بمكة بتسفيه أحلامهم وعيب آلهتهم، وفي ما تأخّر من قتله إيّاهم في غزوة بدر وغيرها. قد ستر الله جميعها بذلكم الصلح الذي أنتج كلّ تلكم الفتوح، وإنّ قوله تعالى في هذه السورة: ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، كقوله تعالى في حكاية قول الكليم موسى بن عمران (ع) في سورة الشعراء:

(وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون) (الاية 14).

وبناء على ما ذكرناه يكون ذنب الرسول في مقابل قومه كذنب موسى (ع) في مقابل الاقباط بمصر.

نكتفى بهذا المقدار من بيان تأويل الايات بحسب معناها اللغوى، ونورد في ما يأتى بحوله تعالى تأويل الايات من الرويات:

تأويل الايات فى روايات أئمة أهل البيت (ع):

روى الصدوق أن الخليفة العباسى المأمون جمع للامام على بن موسى الرضا (ع) أهل المقالات من أهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، وكان فيهم على بن الجهم من أهل المقالات الاسلاميين، فسأل الرضا (ع) وقال له: يا ابن رسول الله! أتقول بعصمة الانبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل فى قول الله عز وجل: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)؟ وقوله عز وجل: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)؟ وقوله فى يوسف: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا)؟ وقوله عز وجل فى داود: (وَطَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)؟ وقوله فى نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (وَتُخْفَى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)؟

فقال مولانا الرضا (ع): وَيَحْكَا يَا عَلَى! اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَتَسَبَّ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْفَوَاحِشَ وَلَا تَتَأَوَّلْ كِتَابَ اللَّهِ بِرَأْيِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آدَمَ (ع): (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ، وَخَلِيفَتَهُ فِي بِلَادِهِ، لَمْ يَخْلُقْهُ لِلْجَنَّةِ، وَكَانَتْ الْمَعْصِيَةُ مِنْ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ لَا فِي الْأَرْضِ لِتَتِمَّ مَقَادِيرُ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَجُعِلَ حُجَّةً وَخَلِيفَةً عُصِمَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ).

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ؟ أَى ضَيِّقَ عَلَيْهِ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَكَانَ قَدْ كَفَرَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي يُوسُفَ: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) فَإِنَّهَا هَمَّتْ بِالْمَعْصِيَةِ، وَهَمَّ يُوسُفُ بِقَتْلِهَا
إِنْ أَجْبَرَتْهُ لِعِظَمِ مَا دَاخَلَهُ، فَصَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَهَا وَالْفَاحِشَةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ)؛
يَعْنِي الْقَتْلَ (وَالْفَحْشَاءَ)؛ يَعْنِي الزَّنا.

وَأَمَّا دَاوُدَ فَمَا يَقُولُ مِنْ قَبْلِكُمْ فِيهِ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: يَقُولُونَ: إِنَّ دَاوُدَ كَانَ فِي مُحْرَابِهِ يَصَلِّي
إِذْ تَصَوَّرَ لَهُ إِبْلِيسُ عَلَى صُورَةِ طَيْرٍ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الطَّيُورِ، فَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَقَامَ لِيَأْخُذَ الطَّيْرَ
فَخَرَجَ إِلَى الدَّارِ، فَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ فَطَارَ الطَّيْرُ إِلَى السَّطْحِ، فَصَعَدَ فِي طَلْبِهِ فَسَقَطَ الطَّيْرُ فِي دَارِ أَوْرِيَا
بَنِ حَنَّانٍ، فَاطَّلَعَ دَاوُدُ فِي أَثَرِ الطَّيْرِ فَإِذَا بِامْرَأَةٍ أَوْرِيَا تَغْتَسِلُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا هَوَاهَا، وَكَانَ أَوْرِيَا قَدْ
أَخْرَجَهُ فِي بَعْضِ غُرُوتِهِ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ أَنْ قَدَّمَ أَوْرِيَا أَمَامَ الْحَرْبِ، فَقَدَّمَ فَظَفَرَ أَوْرِيَا
بِالْمُشْرِكِينَ، فَصَعِبَ ذَلِكَ عَلَى دَاوُدَ، فَكَتَبَ الثَّانِيَةَ أَنْ قَدَّمَهُ أَمَامَ التَّابُوتِ، فَقَتَلَ أَوْرِيَا؛ وَتَزَوَّجَ دَاوُدُ
بِامْرَأَتِهِ، فَضَرَبَ الرِّضَا (ع) بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، لَقَدْ نَسَبْتُمْ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ
اللَّهِ إِلَى التَّهَانِ بِصَلَاتِهِ حَتَّى خَرَجَ فِي أَثَرِ الطَّيْرِ، ثُمَّ بِالْفَاحِشَةِ، ثُمَّ بِالْقَتْلِ! فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ!
فَمَا كَانَتْ خَطِيئَتُهُ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ دَاوُدَ إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ،
فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ الْمَلِكِينَ فَنَسَوُا الْمَحْرَابَ فَقَالَا: (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمْ
بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ
وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ فَعَجَّلَ دَاوُدُ (ع) عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَقَالَ: (لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) فَلَمْ يَسْأَلِ الْمُدَّعَى الْبَيِّنَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُقْبَلْ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَيَقُولُ:
مَا تَقُولُ؟ فَكَانَ هَذَا خَطِيئَتَهُ حُكْمَهُ، لَا مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (يَا دَاوُدُ إِنَّا
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا
قِصَّتُهُ مَعَ أَوْرِيَا؟ فَقَالَ الرِّضَا (ع): إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ كَانَتْ إِذَا مَاتَ بَعْلُهَا أَوْ قَتَلَ لَا تَتَزَوَّجُ بَعْدَهُ
أَبَدًا، وَأَوَّلُ مَنْ أَبَاحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ قَتَلَ بَعْلُهَا، دَاوُدَ، فَذَلِكَ الَّذِي شَقَّ عَلَى أَوْرِيَا...

الحديث (3) .

وفي خبر داود خاصة عن أمير المؤمنين الامام علي (ع) أنه قال:

ما أوتي برجل يزعم أن داود (ع) تزوج بامرأة أوريا إلا جلدته حدًا للنبوة وحدًا

للاسلام (4) .

والمعنى: (مَنْ قَالَ إِنَّ دَاوُدَ تَزَوَّجَ بامرأة أوريا) أى قبل استشهاده فى رواية: (من حَدَّثَ بحديث داوُدَ عَلَى ما يَرْوِيهِ الْقُصَّاصُ جَلَدَتْهُ مائة وستين) وفى رواية: وهو حدّ الفرية على الانبياء (5) .
وروى الصدوق - أيضا - عن الامام الصادق (ع) مثل الرواية الاولى، وفى رواية قال: إنّ المرأة فى أيام داود (ع) كانت إذا مات بعلمها أو قتل لا تتزوَّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوَّج بامرأة قتل بعلمها داود (ع)، فتزوَّج بامرأة أوريا لمّا قتل وانقضت عدّتها، فذلك الذى شقّ على الناس من قتل أوريا (6) .

ولو قيل إنّ ما أوردتموه معارض بما رواه القمى فى تفسيره أنّه قال ما موجهه:
إنّ داود (ع) كان فى محرابه يصلّى فاذا بطائر قد وقع بين يديه، فأعجبه جدا ونسى ما كان فيه فقام ليأخذه، فطار الطائر فوق على حائط بين داود وأوريا - كان داود قد بعثه فى بعث - فصعد داود الحائط ليأخذه، فرأى امرأة جالسة تغتسل، فلمّا رأت ظلّه نشرت شعرها وغطّت به بدنّها، فافتتن بها داود ورجع إلى محرابه، وكتب إلى صاحبه فى ذلك البعث أن يسيروا إلى موضع كيت وكيت ويوضع التابوت بينهم وبين عدوّهم ويقدم أوريا بين يدي التابوت، فقدّمه فقتل... الحديث بطوله (7) .

قلنا: إنّ هذه الرواية قد جمع فيها راويها الروايات المتعدّدة الواردة فى تفسير الايات بتفسير مدرسة الخلفاء، وأضاف اليها من خياله بعض القول، ثم رواها عن الامام الصادق (ع). ونحن ندرس متن الرواية دون التعرض لسندها ونقول:
أوّلا - قال: فى الحديثين المتعارضين: ذروا ما وافق أخبار العامّة (8) .
ثانيا - ورد بخصوص خبر أوريا المذكور عن الامام جعفر الصادق (ع) أنّه عندما سئل عنه وقال له الراوى:

ما تقول فى ما يقول الناس فى داود وامرأة أوريا؟
فقال: ذلك شيء تقوله العامّة (9) .

فى هذا الحديث صرّح الامام الصادق (ع) بأنّ منشأ قول الناس فى داود وأرملة أوريا هم العامّة أى أتباع مدرسة الخلفاء. إذا! فقد انتشر منهم هذا القول إلى مصادر الدراسات بمدرسة أهل البيت. وقد سمّينا هذا النوع من الروايات بالروايات المتنقلة؛ أى المتنقلة من مدرسة الخلفاء إلى مدرسة أهل البيت (10) .

وإذا بحثنا عن مصدر هذه الرواية بكتب التاريخ والتفسير بمدرسة الخلفاء (11) وجدنا أن رواية هذه الرواية لم يرووها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يقولوا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذلك، ما عدا رواية واحدة رواها السيوطي في تفسير الآية عن يزيد الرقاشي عن أنس، وقد بينا في هذا البحث زيفها في ما سبق.

في قصة زيد وزينب: كسر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتزويج زينب من زيد قانون التكافؤ في النسب من أعراف الجاهلية واستبدله بقانون التكافؤ في الإسلام، وبعد هذا الانجاز العظيم أمره الله تعالى أن يكسر - بزواجه من مطلقة زيد - قانون التبنّي من أعراف الجاهلية، وفي عمله هذا شابه عمل النبيّ داود (ع) في زواجه بأرملة أوريا وتبديله بذلك قانونا جاهليا بقانون إسلامي، وكذلك يفعل الانبياء في إجراء الاحكام الاسلامية، وهكذا فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - أيضا - في إبطاله قانون الرّبّا وقانون أخذ الثأر الجاهليين في حجة الوداع بإبطال ربا عمّه العباس واهدار دم ابن عمّه (12) .

هذه هي الحقيقة في أمر زواج النبيّ داود (ع) بأرملة أوريا وزواج خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) بمطلقة ابنه المتبنّي زيد، غير أن انتشار الروايات الاسرائيلية في تأويل قصص الانبياء السابقين، والروايات المختلفة في تأويل ما عداها في بعض كتب التفسير وبعض مصادر الدراسات الاسلامية الأخرى حجبت رؤية الحق عن الباحثين، وجعلت من الباطل حقًا ومن الحق باطلا، واشتهرت تلك الروايات وراجت في الاوساط الاسلامية لما كان فيها من تبرير لتورط بعض أفراد السلطات الحاكمة في قضايا شهوة الجنس، كما إن صدور المعاصي من أمثال يزيد ابن معاوية واشباهه من خلفاء بني مروان بعده ونظرائهم هو الداعي لعامة ما نسب إلى الانبياء والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من المعاصي ونفى العصمة عنهم، وتأويلهم الايات في حقهم بما يدفع النقد عن بعض الخلفاء.

بعد الانتهاء من ذكر صفات المبلغين عن الله ينبغي أن ندرس في البحث الاتي كيفية المعارك التي خاضوها مع طواغيت عصورهم ومع المترفين من أمّتهم في كل عصر.

(8)

معارك الرُّسل مع أُممهم

(معارك الانبياء)

معارك الانبياء حول الربوبية

إنَّ تاريخ الشرائع السماوية يدلّ على أنَّ جُلَّ الجبابرة الذين وقفوا بوجه الانبياء كان محور صراعهم (الربوبية) لا (الخالقية)، فقد كان أكثر أقوام الانبياء يُقرُّون بأنَّ الله خالق جميع الموجودات وإنَّ كانوا قد يسمّونه باسمٍ آخر؛ مثل اليهود الذى يسمّون الله (يهوه)، كما أخبر الله عنهم وقال تعالى:

أ - (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (لقمان 25).

ب - (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (الزخرف 9).

ج - (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الزخرف 87).

ونبدأ بذكر معركة كلیم الله موسى (ع) مع فرعون لوضوح أبعاد المعركة فيها:

موسى الکلیم (ع) وفرعون:

جاء فى القرآن الكريم مرّاتٍ كثيرةً ذكر قصة موسى الکلیم (ع) وطاغوت عصره فرعون، ومن جملة ما جاء فى سورة (النازعات):

إنَّ فرعون بعد أن حاجبه موسى (ع) وشاهد الايات الالهية التى كانت معه جمع جمعا عظيما من أهل مصر ونادى فيهم:

(أَنَا رَبُّكُمُْ الْأَعْلَى) (النازعات 24).

وهو يعنى من قوله هذا أنه إذا كان للدجاج - مثلا - ربّ يملكه ويطعمه ويربّيه ويسنّ نظاما لحياته، فإنَّ فرعون - أيضا - يقول (أليسَ لى مُلْكُ مِصرَ وَهذهِ الأنهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى) (الزخرف 51).

إنَّ فرعون مصر فى ذلك الزمان كان يملك كلَّ ما فى مصر، وعلى هذا فإنَّه كان يرى أنَّه هو الذى يطعم المصريين، ويمدّهم بما يحتاجون إليه كافّة، إذا فهو الذى يربّيه، وهو الذى ينبغى أن

يشرع نظاما لحياتهم، فإذا ما شرع: أن الاسرائيليين يجب أن يخدم المصري يكون ذلك شرعا ودينا يجب العمل به، وإذا سن نظاما بذبح أبناء الاسرائيليين واستحياء نسائهم، فذلك دين يجب العمل به. كان هذا معنى قول فرعون (أنا ربكم الاعلى) ولم يدع في قوله هذا أنه خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما.

فماذا كان يقول له موسى الكليم (ع)؟ وما هي الرسالة التي أمر هو وأخوه هارون بتبليغها لفرعون؟ إن الله سبحانه وتعالى عيّنهما في خطابه إياهما وقال لهما:
(اذهبا إلى فرعون إنه طغى... فأتياه فقولا إنا رسول ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك) (طه 43 - 47).
يقول لهما في هذه الاية:

يا موسى ويا هارون اذهبا إلى فرعون فقولا إنا رسولا ربك الذى أنشأك ورباك وأكملك، قولا له أنت مخطيء يا فرعون فى ادّعاك الربوبية، وإنّ معنا آية وشاهدا من ربك على صدقنا. وبعد مشاهدة فرعون آيات الله مع موسى كابرّه وحاججه وقال: إن كنتما لا تقبلان ربوبيتى، وتقولان إن الربوبية لغيرى وعلينا أن نأخذ نظام الحياة منه، فمن هو هذا الرب؟
(فمن ربكما يا موسى) (طه / 49).

أورد القرآن هنا بإيجاز جواب موسى (ع) لفرعون وقال:
(قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (طه / 50).
أى أتم خلق كل شىء وفصل تمام خلق الشىء فى سورة الاعلى حيث قال تعالى: (فسوى)، أى هيّاه لقبول الهداية (ثم قدر) حياته (فهدى) كل صنف من الخلق بما يتناسب وفطرته، وهدى صنف الانسان من الخلق بواسطة الرسل.

وأراد فرعون أن يلقى الشبهة فى استدلال موسى (ع) هذا، وقال: (فما بال القرون الأولى) (طه 51)، أى إذا كان الرب يهدى الناس إلى النظام الذى شرع لهم بواسطة الرسل فكيف هدى الرب القرون الأولى؟ ومن هم الذين أرسلهم اليهم وكيف كانت شرائعهم؟

قال موسى (ع): (علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) (طه / 52).
إن علم أولئك القرون عند الرب مكتوب فى كتاب لا يضل ولا ينسى، وفصل موسى (ع) شرح صفات الرب وقال: (الذى جعل لكم الارض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء

فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى (طه) / 53 - 54).

فى هذا المقطع ذكر القرآن احتجاج موسى (ع) فى مقابل قول فرعون (أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) (الزخرف 51)، وإنه قال له وللملا من حوله: إن ربكم هو الخالق الذى خلق الارض وجعلها بمقتضى ربوبيته مهذا للانسان وشق فيها طرقا للسير، ومنها أرض مصر، وأنزل من السماء المطر الذى يتكون منه الانهار، ومنها نهر النيل، وأنه أخرج من الارض بسبب الماء نبات الارض متاعا للانسان والحيوان.

وأفحيم فرعون بهذا المنطق وتبلد وأراد أن يلقي شبهة فى حجج موسى البيّنات كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن موقفه وقال: (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا) (طه 56) - الكونية العامة وما جاء بها موسى (ع) من آيات خاصة - فَكَذَّبَ - فِرْعَوْنُ - وأبى وقال: (أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى) (طه 57 - 58).

إن موسى كان من بنى إسرائيل وهم غرباء فى أرض مصر مستعبدون لاهلها، وأراد فرعون بقوله (أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا) أن يهيج الملا من حوله على موسى الغريب، وأيضا ألقى الشبهة فى آتى العصا واليد بقوله (بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) وقد كان السحر منتشرًا فى أرض مصر، وفيها العدد الكثير من أتباع فرعون، والسحر تخيل لا حقيقة له، وخداع للبصر والحواس، وقد يصل إلى خداع الاحساس عندما يشاهد الانسان أشياء لا وجود لها، وكانت آية موسى من صنع قدرة الله سبحانه وتعالى التى جعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم (ع)، ولكن أنى للعامة من الناس قوّة تمييز الحق من الباطل والتخيل من الحقيقة، ثم إن الكثرة قد تغلب، ولهذا كله اقترح فرعون من موقع القوّة على موسى (ع) وقال: (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى) (طه 58).

إن فرعون تحدّى موسى باستعلاء، وجعل لموسى (ع) تعيين الموعد، وقبل موسى (ع) التحدى واختار الموعد يوم عيد من الاعياد الجامعة حيث يأخذ الناس فيه زينتهم، ويتجمعون فى الميادين المكشوفة وقال: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) (طه 59). والضحى أنسب الاوقات فى النهار (فتولّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ) (طه 60).

وجاء ذكر جانب آخر من مُواجهة الكليم مع فرعون فى سورة الشعراء، حيث أخبر الله سبحانه عن ارسال موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون ونتيجة المواجهة وقال: (فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ... قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِى أَرْسَلَ إِلَيْكُمُ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (الشعراء 16 - 28).

وبعد طلب فرعون آية من موسى (ع) ورؤيته آتت العصا واليد، (قَالَ لِلْمَلَآءِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَإِنِّعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا لَاجِرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) (الشعراء 34 - 44).

وفى سورة الاعراف:

(فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرًا أَعْيَنَ النَّاسَ وَاسْتَغْفَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ *... وَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الايات 116 - 126).

وفى سورة الشعراء:

(قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) (الاية 48).
فى هذه الايات جاء عن لسان موسى أنه قال لفرعون: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ، جئناكَ بآية من ربِّكَ.
وفى الايات الماضية حكى القرآن عن فرعون أنه قال لاهل مصر: (أَنَا رَبُّكُمْ الاعلى).
وأن موسى (ع) أوحى إليه أن يقول لفرعون:
(إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ، جئناكَ بآية من ربِّكَ).

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ قَالَ:

(فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)!

وَأَنَّ مُوسَى (ع) قَالَ لَهُ:

(رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى).

وَأَنَّهُ أَجَابَ عَنْ عِلْمِ الْقُرُونِ الْأُولَى أَنَّهُ:

(عِنْدَ رَبِّي الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا).

وَفِي مَوْرَدٍ آخَرَ فَقَوْلًا لَهُ: (إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ قَالَ: (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟).

وَأَنَّ مُوسَى (ع) قَالَ: (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا).

(رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ).

(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا).

وَأَنَّ السَّحْرَةَ لَمَّا رَأَوْا آيَةَ الْعَصَا تَلَقَّفُوا مَا يَأْفِكُونَ قَالُوا:

(آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ).

وَأَنَّهُمْ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ لَمَّا قَالَ لَهُمْ لَا تُقِطْعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ....:

(لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا

صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ).

يَتَضَحَّ جَلِيلًا مِمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: أَنَّ مُوَاجَهَةَ الرُّسُولِينَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَعَ

فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ قَدْ تَعَدَّدَتْ وَتَعَدَّدَتِ الْمَحَاوِرَاتُ بَيْنَ الرُّسُولِينَ وَبَيْنَهُ، كَمَا تَعَدَّدَتِ الْآيَاتُ: الطُّوفَانُ،

وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، وَأَنَّ الْمَحَاوِرَاتِ كُلَّهَا كَانَتْ تَدُورُ حَوْلَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ الرُّسُولِينَ

كَانُوا يَقُولُونَ: رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْقُرُونِ الْأُولَى،

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، وَأَنَّ رَبَّ الْجَمِيعِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ

شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، وَأَنَّ السَّحْرَةَ ادْرَكُوا أَنَّ سِحْرَهُمْ كَانَ تَخْيِيلًا لَا حَقِيقَةَ فِيهِ، وَأَنَّ أَثَرَ السَّحْرِ

يَنْتَهِي، وَأَنَّ الْعَصَى وَالْحَبَالَ - مِثْلًا - الَّتِي كَانَتْ تَمُوجُ فِي السَّاحَةِ كَالْحَيَاتِ كَانَتْ تَعُودُ إِلَى حَالَتِهَا

الْأُولَى عَصِيًّا وَحَبَالًا، وَلَكِنْ آيَةُ الْعَصَا ابْتَلَعَتْهَا جَمِيعًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ

قدرة غير خالقها رب العالمين فقالوا: آمنا برب العالمين، ربّ الرسولين موسى وهارون (عليهما السلام) الذى أرسلهما لهداية الناس.

معارك إبراهيم (ع) حول توحيد الالهية الربوبية:

قبل عصر موسى الكليم (ع) بدهر، جاهد إبراهيم الخليل أنواعا من الشرك فى عصره منها:

أ - جهاده فى توحيد الالهية:

حكى الله خبر جهاد إبراهيم مع قومه فى توحيد الالهية فى سورة الانبياء والشعراء والصفّات؛ فى كلّ منها حكى عن جانب من خبر جهاده وكيف حاججهم فى ما يعتقدون، وأنّه انتهى الامر بكسرهم آلهتهم وإلقائهم إياه فى النار، وكيف جعل الله النار عليه بردا وسلاما، وترك الحديث حوله لندرس فى ما يأتى ما فعله فى شأن توحيد الربوبية باذنه تعالى:

(قالوا أنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ).

أى فعله كبيرهم فاسألوهم إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. ولما كانت الاصنام لا تنطق فإنّ كبيرهم لم يكسرها. هاهنا كلّ الخليل قومه.

أخبر الله عن محاجة إبراهيم (ع) مع من اتخذوا الكواكب أربابا، ولم يخبرنا بأى معنى اتخذوها أربابا، وقد وجدنا فى أخبار المشركين أنّ منهم من كان لا يفرّق بين الربّ والاله، وأنّ الانبياء والرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يجاهدون مشركى أممهم فى توحيد الربوبية كما بيّناه سابقا.

وقد أخبر الله عمّا جرى لإبراهيم (ع) مع عبدة الكواكب فى سورة الانعام، وقال:

(وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتَنِي يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (الايات 75 - 80).

كَلَّمَ الخليل هنا عِبَادَ الكواكب من قومه بلغتهم فى معنى الربّ، وكان قوله (هذا ربّى) للكواكب والقمر والشمس على سبيل التورية والاستفهام، أى أهذا ربّى؟ مثل قوله لعباد الاصنام عندما كسر أصنامهم وسألوه.

ب - جهاد إبراهيم (ع) فى توحيد الربوبية بمعنى تربية الاجسام:

كان كثير من البشر فى العصور القديمة يعتقدون بتأثير الكواكب على عالمنا هذا وما فيه من إنسان وحيوان ونبات بإنزال المطر وحبسه، ونشر السعادة والشقاء للإنسان، والجذب والرخاء والصحة والمرض فى مجتمعه، وكثرة الموت وقلته للإنسان والحيوان والنبات، ونشر المحبة أو النفور بين الاثنين، أو إلقاء محبة انسان فى نفوس الآخرين، وما شاكل كل هذه الأمور، ومن ثمّ يجرون بعض الطقوس العبادية مع تبخير العود ذى الرائحة الطيبة وسائر الروائح العطرة، ويتلون أورادا وأدعية ويطلبون منها الخير ودفع الشرّ، وقد قرأت شيئاً ذلك فى مخطوط منسوب للسكاكى (ت 626 هـ): فيه أنواع من الطلاسم وأدعية ومناجاة لبعض الكواكب مثل الزهرة والمريخ وغيرهما، وأحياناً فى الخطاب لبعضهم يخاطب باسم الربّ، ولم يثبت عندى أنّ الكتاب من تأليف السكاكى. وذكر ابن النديم - أيضاً - فى أخبار الصائبة من المقالة التاسعة من الفهرست عن بعض فرق الصائبة أنهم يعبدون بعض الكواكب ولهم طقوس خاصة بهم (13).

ج - جهاد إبراهيم (ع) فى أمر توحيد الربّ المشرّع للنظام:

أخبر الله عن ذلك وقال فى سورة البقرة:
(الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ... (الاية 258).
إنّ منطق الخليل فى هذه الاية هو منطق القرآن فى سورة الاعلى، وأنّ الربّ هو الله الذى خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وأنّ مثل جميع الخلق فى ذلك مثل المرعى الذى أخرجه الربّ ثمّ جعله يابساً أحوى؛ أى أنشأ الحياة للموجودات ثمّ أماتها.
كان استدلال إبراهيم قوياً وواضحاً، وأراد طاغوت عصره أن يغشى هذا الاستدلال بغطاء من التضليل، فقال:

إنَّ كانت الربوبية لمن يحيى ويميت فأئني أحيى وأميت، وأمر بسجين محكوم بالاعدام فأطلق سراحه، وبإنسان برىء عابر طريق فأعدم، وبذلك ألقى الشبهة في نفوس الملا حوله.

ولم يسترسل إبراهيم (ع) في الجدل معه في معنى الاحياء والاماتة بل احتج على الطاغوت بأمر محسوس واضح الدلالة على زيف دعوى الطاغوت، وقال: فَإِنَّ رَبِّيَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَإِنْ كُنْتَ رَبًّا فَغَيِّرْ هَذَا النِّظَامَ وَأَتِ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ، فبهت الذي كفر.

كان شرك طاغوت عصر إبراهيم (ع) من نوع شرك طاغوت عصر موسى (ع)؛ كلاهما ادعيا الربوبية بمعنى أن لهما حق تشريع نظام الحياة للإنسان؛ تشابهت دعواهما وتشابه جواب الرسولين (عليهما السلام) لهما وقالوا: إِنَّ رَبَّ الْإِنْسَانِ الَّذِي شَرَعَ لَهُ نِظَامَ الْحَيَاةِ هُوَ رَبُّ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَالَّذِي أَنْشَأَ حَيَاةَ الْمَوْجُودَاتِ وَسَنَّ لَهَا نِظَامًا لِادَامَةِ وُجُودِهَا فِي الْحَيَاةِ، وهداها كيف تديم حياتها وفق ما سنَّ لها من نظام، وهو الذي يميت كلَّ الاحياء.

كان هذا منطق إبراهيم (ع) في دعوته للتوحيد مع المشركين كما أخبر الله عنه في سورة الشعراء، وقال:

(فَأَنَّهُمْ عُدُوُّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) إذا قال موسى (ع) لفرعون: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (كما قال جدّه إبراهيم (ع) لقومه (رَبُّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) (الآيات 79 - 82).

ثم شرح إبراهيم ربوبية الله وقال:

(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي * وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِي * وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) (الشعراء 79).

والقرآن حين يكرّر أخبار محاججات الرسل مع أقوامهم الرسل مع أقوامهم يذكر في كل مرة جانبا من احتجاجهم وفق مناسبة ما جاء في السورة من توجيه فكري وإرشاد لمن كان حول الرسول من مسلمين ومشركين ويهود ونصارى. وليس القرآن كتاب تاريخ كي يورد الخبر مسلسلا كما وقع.

بعد دراستنا معارك الانبياء ومعرفتنا أن جلّ معاركهم كانت حول ربوبية رب العالمين؛ أي أن رب العالمين هو رب الإنسان الذي يقدر حياته ويشرّع له نظاما يتناسب وفطرته، وأن اسمه دين الاسلام الذي أوحى به إلى جميع رسله وقاموا بتبليغه إلى الناس، يتجّه إلينا السؤال عن معنى نسخ

شريعة بعض الرسل بشريعة رسول آخر، وهذا ما نحاول درسه في بحث النسخ في مسيرة الانبياء
الاتي بحوله تعالى.

-
- (1) مجمع البيان في تفسير القرآن 3 / 252.
 - (2) نقلته بايجاز من مغازي الواقدي (1 / 606 - 607).
 - (3) البحار (11 / 73 - 74) عن أمالي الصدوق (55 - 57) وطبعة أخرى (90 - 92)، وعيون الاخبار (108 - 108).
 - (4) تفسير الاية بتفسير مجمع البيان ونور الثقلين وتنزيه الانبياء للشريف المرتضى ص92.
 - (5) تفسير الاية بتفسير الخازن (4 / 35) والفخر الرازي (25 / 192) ونور الثقلين (4 / 446).
 - (6) البحار (14 / 24) وراجع تفسير نور الثقلين (4 / 446) نقلا عن عيون الاخبار.
 - (7) البحار (14 / 20 - 23) عن تفسير القمي (562 - 565)، والتتمة في كتاب الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ط. بيروت الأولى ص233.
 - (8) راجع معالم المدرستين (3 / 268).
 - (9) البحار (14 / 200).
 - (10) راجع بحث الروايات المنتقلة في (ج 2) من القرآن الكريم وروايات المدرستين.
 - (11) راجع تفسير الاية في تفسير الطبري، والقرطبي وابن كثير والسيوطي.
 - (12) في سيرة ابن هشام ط. مصر عام 1356 (4 / 275) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في خطبته في حجة الوداع (... عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعا في بني ليث فقتله هذيل، فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية.
 - (13) الفهرست ص 386 - 390.

(9)

النسخ فى

مسيرة الرسل أصحاب الشرائع

1 - وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

2 - مصطلحا النسخ والاية ومعناهما.

3 - تفسير آية (ما نَنسَخْ مِنْ آية...) وآية (وَإِذَا بَدَلْنَا آيةَ مَكَانَ آيةٍ...).

4 - شريعة موسى كانت خاصة لبنى إسرائيل.

5 - إنتهاء أمد شريعة موسى ببعثة خاتم الانبياء.

فى هذا البحث ندرس من مسيرة الرسل أصحاب الشرائع ما يوضح لنا أمر النسخ فى شرائعهم من خلال أخبارهم فى القرآن الكريم ومصادر الدراسات الاسلامية، ومن ثمّ لا نذكر أمر من بادت أممهم، مثل هود، وصالح وشعيب (ع)، بل نخصّ بالذكر من بقيت شرائعهم من بعدهم، وهم كلُّ من: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، حسب تسلسلهم الزمنى كما يأتى بيانه:

1 - وحدة شرايع آدم ونوح وإبراهيم ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

أولاً - أبو البشر آدم (ع):

جاء فى الروايات ما موجزه: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يوم الجمعة سيّد الايام وأعظمها عند الله، خلق الله فيه آدم، وفيه أُدخل الجنة، وأُهبط فيه إلى الارض (1) وأنزل معه بالحجر الاسود» (2).

وفى روايات أخرى: «خلق الله الانبياء والائمة - الاوصياء - يوم الجمعة» (3).

وفى الروايات الصحيحة:

إنّ جبرئيل أخذ آدم (ع) إلى الحجّ، وعلمه كيف يقضى مناسكه، وفى بعضها: إنّ غمامة ظلّت مكان البيت، فطاف جبرائيل بآدم (ع) حوله أسبوعاً، ثمّ أخذه إلى الصّفا، والمروة، وسعى بينهما أسبوعاً، ثمّ أخذه إلى عرفات فى التاسع من ذى الحجة، وتضرّع إلى الله فى عصره فتاب الله عليه،

ثم ذهب به ليلة العاشر إلى المشعر فناجى فيه ربه إلى الصباح، ثم ذهب به صباح العاشر إلى منى، وحلق هناك رأسه علامة لقبول توبته، ثم ذهب به ثانية إلى مكة، وطاف به حول البيت أسبوعا وصلى لله بعده، ثم ذهب إلى الصفا، والمروة، وسعى بينهما أسبوعا، وجمع الله بينه وبين زوجته حواء بعد قبول توبتهما، واصطفاه لرسالته (4) .

ثانيا - أبو الانبياء نوح:

قال سبحانه في سورة نوح:

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ... قَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا... وَقَالُوا: لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا...) (الاية 1 - 23).

ومما يتعلّق ببحثنا من أخبار نوح في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الشورى:
(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...) (الاية 13).

شرح الكلمات

أ - ودّ، وسواع، ويعوث، ويعوق، ونسر:

في البحار عن الامام الصادق (ع) وورد - أيضا - في كتاب الاصنام لابن الكلبي، وموجزا في تفسير الاية بصحيح البخارى، واللفظ للاول موجزا:

إنّ ودّا، وسواعا، ويعوث، ويعوق، ونسرا كانوا بررة مؤمنين يعبدون الله عزّ وجلّ فماتوا فضجّ قومهم وشقّ ذلك عليهم، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم: اتّخذ لكم أصناما على صورهم فتنتظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله، فأعدّ لهم أصناما على مثالهم فكانوا يعبدون الله عزّ وجلّ، وينظرون إلى تلك الاصنام، فلما جاءهم الشتاء والامطار أدخلوا الاصنام البيوت فلم يزلوا يعبدون الله عزّ وجلّ حتّى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم، فقالوا: إنّ آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء، فعبدوهم من دون الله عزّ وجلّ، فذلك قول الله تبارك وتعالى: (وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا) (الاية 5)

ب - وصّى الرجل غيره توصية بأن يفعل كذا: رغب إليه فى أن يفعله لما يرى فيه خيرا وصلاحا.

ووصّى الله بكذا: أمر به، وفرضه على عباده(6) .

تفسير الايات بإيجاز

فى الايات الاولى أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أرسل نوحا إلى قومه أن أنذرهم فقال لهم أنى لكم نذير أبين لكم ما أرسلت به أن اتقوا الله، وابدوه، وأطيعونى فى ما أبلغكم من أوامر الله ونواهيه، فأبى قومه، وقالوا: لا تذروا عبادة أصنامكم.

وفى الايات الاخيرة أخبر الله سبحانه وتعالى وقال:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كتبه وشرعه لنوح (والذى أوحينا إليك)، أى وهو الذى أوحينا إليك يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو ما (وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى) ثم بين ذلك بقوله تعالى: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (7) .

ويدل على ذلك قوله تعالى فى سورة الصافات:

(سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقُلُوبٍ سَالِمَةٍ) (الايات 79 - 84).

شيعة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره (8) ، والشيعة: الجماعة الثابتة لرئيس لهم (9) ويكون المعنى وإن من شيعة نوح إبراهيم(10) .

وسنورد مزيد بيان له فى ما يأتى إن شاء الله تعالى:

ثالثا - خليل الله إبراهيم (ع):

ويتعلّق ببحثنا من أخبار إبراهيم فى القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى:

أ - فى سورة الحج:

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) (الايات 26 - 28).

ب - فى سورة البقرة:

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ*... وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (الايات 125 - 128).

ج - فى سورة البقرة:

(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (الاياتان 135 - 136).

د - فى سورة آل عمران:

(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الاية 67).
هـ - وفيها أيضا:

(قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الاية 95).

و - فى سورة الانعام:

(قُلْ إِنِّى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينَا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الاية 161).

ح - فى سورة النحل:

(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الاية 123).

شرح الكلمات

أ - بَوَّأنا:

بَوَّأْتُ المنزلَ لفلان: هَيَّأْتُ المنزلَ له.

وبَوَّأته فيه: مكنت له فيه، وبَوَّأته منزلاً: انزلته فيه.

ب - أَذَّنَ بالشىء تأذينا: أعلم به أو أكثر الاعلام ونادى به، والاذان اسم التأذين كالسلام اسم التسليم.

ج - رجالا:

رَجُلٌ يَرْجُلُ رَجَلًا: لم يكن له ما يركبه فهو رجل وراجل، والجمع رجال.
د - الْبَهِيمَةُ: كل ذات أربع قوائم.

هـ - ضامر:

جمل ضامر وناقة ضامر وضامرة: قليل اللحم لطيف الجسم.

و - فَجَّ:

الفَجَّ: الطريق الواسع بين جبلين، أو فى جبل.

ز - مَثَابَةٌ:

المثابة: الموضع الذى يرجع الناس إليه (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) أى مرجعا يرجع إليه
الحجاج أفواجا بعد أفواج، أو أَنَّ المَثَابَةَ موضع ثواب يُثَابُونَ بحجّه واعتماره، وموضع أمنٍ لهم.

ح - مَنَاسِكُنَا:

النسك: العبادة، ونسك نسكا: تطوَّع لله بعبادة، وعمل يتقرب به إلى الله مثل ذبح الهدى فى
الحج، ويقال للذبيحة: النسيكة، والمنسك:

موضع العبادة، والمناسك: أعمال الحجّ وزمانها، وأماكنها فى عرفات، والمشعر، ومنى، وما
عداها.

ط - السَّعَى: المراد من السعى: العمل أو الاستعداد للعمل.

ى - مقام إبراهيم (ع):

صخرة على الارض اتّجاه الكعبة عليها أثر قدمى إبراهيم (ع).

ك - حَنِيفًا:

الحنف: ميل عن الضلال إلى الاستقامة.

والجنف: ميل عن الاستقامة إلى الضلال، والحنيف: هو المائل عن الضلالة إلى الاستقامة،

والحنيفيّة: شريعة إبراهيم (ع).

ل - قِيمًا:

القيم والقيّم: الثابت المستقيم لا عوج فيه.

م - مِلَّةً:

المِلَّة: الدّين حقّا كان أو باطلا، فإذا أضيف إلى الله ورسله والمسلمين قصد به الدين الحقّ.

تفسير الايات بإيجاز

أذكر أيها النبيُّ إذْ مكَّنَّا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ لبينيه، وإذْ كانَ إبراهيمُ وإسماعيلُ يبنيان البيت ويدعوان ربَّهما ويقولان: ربَّنَا تقبَّل مِنَّا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكَ الحجِّ، فتقبَّلَ اللهُ سبحانه وتعالى دعاءَهما، ورأى إبراهيمُ في المنام أنَّه يذبح ابنه إسماعيلَ (ع) في سبيل الله، وما يراه النبي في المنام نوع من أنواع الوحي، وكان إسماعيلَ (ع) قد بلغ سنَّ العمل وعمل مع أبيه في بناء البيت، فأخبر إبراهيمَ (ع) ابنه إسماعيلَ (ع) بذلك، فقال: يا أبتِ افعل ما تُؤمِّر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلمَّا أسلما لأمر الله وألقى إبراهيمُ ابنه إسماعيلَ (ع) على جبينه ليضحى به في سبيل الله ناداه الله: يا إبراهيمُ قد صدقت الرؤيا، فإنَّه بدأ بذبحه وهذا ما رآه في المنام ولم ير أنَّه ذبحه، وفداه الله بكبش رآه أمامه، فضحى به في منى.

أمر الله تعالى إبراهيمَ أن يعلن الدعوة للحج وأخبر أنَّ الناس سيأتون إلى الحجِّ مشاة وركبانا من كلِّ فجٍ عميق، وأنَّ الله قد جعل البيت مكان آمن وتحصيل ثواب للناس، وأمر أن يتخذ الناس من مقام إبراهيمَ (ع) مصلًى.

وأخبر الله سبحانه وتعالى في آيات أخرى عن ملة إبراهيمَ (ع) ودينه وقال: إنَّ إبراهيمَ كان حنيفا مسلما، ولم يكن من المشركين ولم يكن يهوديا، ولا نصرانيا، كما يزعم ذلك بعض أهل الكتاب(11)، وأمرنا أن نتبع ملة إبراهيمَ (ع)، وخصَّ رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الامر، وأوصى إليه بقوله: قل إنني هدانى ربى إلى صراطٍ مستقيم، وهو الدين القيم، وملة إبراهيمَ الحنيف عن الشرك إلى الاسلام، ومما اتبع خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، من شريعة جدِّه إتيان مناسك الحجِّ كما أمر به إبراهيمُ وكذلك فعلت أمته، وأدَّت مناسك الحجِّ كما أدَّاه خليل الرحمن إبراهيمَ (ع).

نتيجة البحث

كان يوم الجمعة مباركا على آدم ومن كان في عصره، ومباركا لخاتم الانبياء، وأمته إلى أبد الدهر.

وحجَّ البيت آدم وإبراهيم وخاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن تبعهم حتى اليوم وكذلك يفعلون إلى أبد الدهر، وكذلك شرع لامة خاتم الانبياء من الدين ما وصَّى به نوحا، وكان

إبراهيم من شيعة نوح ومتابعيه في الشريعة، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) وأُمَّته أن يتبعوا ملة إبراهيم ودينه القيم.

ولا اختلاف بين شرايع هؤلاء الانبياء من لدن آدم إلى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما كانت الشريعة اللاحقة تجديدا للشريعة السابقة، وأحيانا إكمالا لها. وقد مر بنا أن آدم (ع) حج، وأن إبراهيم جدّد بعض معالم الحجّ ببناء البيت، وأكمله النبي الخاتم بتعيين مواقيت الاحرام واتخاذ مقام إبراهيم (ع) مصلى، وتبيين سائر معالم الحجّ.

أنزل الله من أحكام الاسلام إلى آدم ما يحتاجه الانسان الذي يعيش في الريف على الزرع والضرع(12).

ولما كثر نسل بنى آدم، وبنوا القرى في عصر نوح (ع)، وسكنوا المدن الكبيرة احتاجوا إلى تشريع موسّع لانسان حضريّ له حاجات متعدّدة في أمر التجارة والاجتماع، ومشاكل مختلفة لسكان المدن الكبيرة، فأنزل الله على نوح من أحكام الشرع الاسلامي ما يسدّ حاجاتهم مثل ما أنزل على خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) من تلك الاحكام.

وكانت الامم تتحرف بعد أنبيائها عن التوحيد إلى الشرك كما انتهى إليه أمر بنى آدم في عصر نوح إلى عبادة الاصنام، فيبدأ النبي عندئذ بدعوتهم إلى توحيد الله الخالق، وترك عبادة الاصنام كما كان شأن نوح، وإبراهيم، وسائر الانبياء إلى خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي كان يتجول في أسواق العرب ومضارب الحجيج ويقول: قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا.

وفي بعض الأمم يدعى طاغيتهم الربويّة كما كان شأن الطاغية نمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربّه.

وشأن الطاغية فرعون الذي تجبر وقال أنا ربكم الاعلى، وفي مثل هذه الحال يبدأ النبي بالدعوة إلى توحيد الربويّة ويقول إبراهيم (ع) (رَبِّى الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ).

ويقول موسى (ع): (رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) وجأ شرح قول موسى لفرعون في قوله سبحانه وتعالى في سورة الاعلى: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِى خَلَقَ فَسْوَى* وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى* وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعى* فَجَعَلْهُ غُثَاءً أَحْوَى) (الاية 1 - 5).

وقوله تعالى:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) (الاعراف 54).

إذا فإن بعض الامم تنحرف في أصل العقيدة بالتوحيد.

وينحرف بعض الأمم عن الاسلام في أعمالها: كما كان شأن قوم لوط، وشعيب.

وإذا درسنا ما جاء في القرآن الكريم، وروايات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما بقي من آثار الانبياء، وما جاء من أخبارهم في مصادر الدراسات الاسلامية، أدركنا أن كل رسول لاحق كان يجدد شريعة الله التي نزلت على من سبقه من الانبياء بعد اندراسها، وتحريفها من قبل أمم الانبياء أنفسهم، ولذلك أمرنا الله أن نقول:

(آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة 136).

وإذا كان أمر شرايع الانبياء كما أوضحناه فللسائل أن يسأل:

إذا ما معنى النسخ في شرايع الانبياء (ع) كما جاء ذكره في قوله تعالى في سورة البقرة:

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الاية 106)؟

وما معنى التبديل في قوله تعالى في سورة النحل:

(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الاية 101)؟

ونقول في مقام الجواب: إن البحث هنا يدور حول أمرين:

حول مصطلحي النسخ والاية، ومعنى الايتين مورد البحث كما سندرسهما في ما يأتي بإذنه تعالى وتقدّس:

2 - مصطلحا النسخ والاية ومعناهما

أ - النسخ في اللغة:

إزالة شيء بشيء يتعقبه، يقال: نسخت الشمس الظلّ.

وفي المصطلح الاسلامي: نسخ أحكام في شريعة بأحكام في شريعة أخرى، مثل نسخ بعض أحكام الشرايع السابقة بأحكام في شريعة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك نسخ حكم مؤقت بحكم أبدي في شريعة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، مثل نسخ حكم

توارث المتأخيين من المهاجرين والانصار فى المدينة قبل فتح مكة بحكم توارث ذوى الارحام بعد فتح مكة (13) .

ب - آية:

الاية مشتركة فى المصطلح الاسلامى بين ثلاثة معان:

1 - معجزات الانبياء كما جاء فى قوله سبحانه وتعالى فى سورة النمل فى خطابه لموسى بن عمران:

(وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) (الاية 12).

2 - جملة من ألفاظ قرآنية مشخصة بالعدد كما جاء فى سورة يوسف، والرعد، ويونس، والنمل (الر * تلك آيات الكتاب...).

3 - فصل أو فصول من كتاب الله يُبينُ حكما من أحكام شريعة الله كما فصلنا القول فيه فى بحث المصطلحات من الجزء الاول من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

وقد لوحظ فى تسمية بعض القرآن (آية) مدلوله وهو الحكم المذكور فى ذلك البعض من القرآن، وإنّ النسخ يتعلّق بذلك الحكم، وليس بلفظ القرآن الذى دلّ على ذلك الحكم. ويشخص المعنى فى اللفظ المشترك بالقرينة الدالة على المقصود فى الكلام.

كان ذلك معنى الاية فى المصطلح الاسلامى أما تفسير اليتين فكالآتى:

أولا - آية النسخ:

وردت آية النسخ ضمن آيات (40 - 152) من سورة البقرة، ونورد منها ما يخص البحث فى ما يأتى:

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِياىَ فَارْهَبُون * وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِياىَ فَاتَّقُون * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * ... يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا

يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَئِنْ لَمْ يُؤْخَذْ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ*... وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ...*

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرِّسْلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ* وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ* وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ* بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِثْنَا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ*... وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ*... وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ*... مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*

... وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ*... وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*... وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ*... يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ* وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ).

ثمَّ يبيِّنُ مورد النسخ بعد تمهيد مقدِّمة أوردنا بعضها في ما سبق في ما أخبر الله سبحانه وتعالى عن قيام إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ببناء الكعبة وقال:

أ - (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ).

ب - (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا).

ج - (وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ).
 (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ
 قِبْلَتَهُمْ*... الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ).

وأخبر الله قبله عن جدالهم مع المسلمين في تحويل القبلة وقال تعالى:
 (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي
 مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ
 يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
 بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ).

ثانيا - آية التبديل:

جاءت آية التبديل ضمن مجموعة آيات سورة النحل (14) ونذكر منها ما يخصُّ البحث في ما
 يأتي:

قال سبحانه وتعالى:

(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ* قُلِ
 نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ*... إِنَّمَا يُفْتَرِي
 الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ*... فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
 وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِغَيْرِ
 اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا
 حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ* وَعَلَى
 الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ...*... ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ...) (الآيات 101 - 124).

والذي قصه الله على نبيه من قبل قوله تعالى:

أ - في سورة آل عمران:

(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ) (الاية 93).

ب - فى سورة الانعام:

(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (الاية 146).

أولاً - شرح الكلمات:

أ - مُصَدِّقًا لما معكم:

أى إن صفات القرآن وصفات الرسول يصدّق لما ورد فى التوراة من الاخبار ببعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وانزال القرآن عليه، مثل ما ورد فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية ط. رجارى واطس بلندن عام 1831 م والآتى نصّه:

الاصحاح الثالث والثلاثون

1 فهذه البركة التى بارك موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته 2 * وقال جا الرب من سينا واشرق لنا من ساعير استعلن من جبل 3 فاران ومعه الوف الاطهار فى يمينه سنة من نار * احب الشعوب 4 جميع الاطهار بيده والذين يقتربون من رجله يقبلون من تعليمه * 5 موسى امرنا بسنة: ميراثا لجماعة يعقوب وجاء هذا النص فى ط. رجارى واطس بلندن سنة 1839 م باللغة الفارسية كالآتى:

باب سى وسيوم

1 واينست دعاى خير كه موسى مرد خدا قبل از مردن بر بنى اسرائيل خواند 2 وگفت كه خداوند از سيناى برآمد واز سعيّر نمودار گشت واز كوه فاران نور افشان شد وبا ده هزار مقربان ورود نمود واز دست راستش شريعتى آتسين براى ايشان رسيد 3 بلكه قبائل را دوست داشت وهمكى مقدّساتش در قبضه تو هستند ومقربان پاى تو بوده تعليم ترا خواهند پذيرفت 4 موسى مارا بشريعتى امر كرد كه ميراث جماعت بنى يعقوب باشد وجاء هذا النص فى طبعة (15) جامعة اكسفورد بلندن، دون تاريخ، ص 184:

chapter 33

wherewith ,blessing the is this and blessed god of man the moses his
before Israel of children the death.

from came lord the ,said he and 2'them unto seir from up rose and ,sinai
paran mount from forth shined he of thousands ten wlth came he and
awcnt hand right his from:saints them for iaw fiery his all'people the
ioved he ,yes 3 sat they and:hand the in are saints -re shall one
every'feet thy at down.words thy of ceive even ,law a us commanded
moses 4 of congregation the of inheritance the jacob.

وترجمة النصين إلى العربية كالآتي:

(وهذا دعاء الخير الذي تلاه موسى رَجُلُ اللَّهِ قبل موته على بنى اسرائيل وقال: إِنَّ اللَّهَ استعلى
من سيناء، وظهر من ساعير ونشر النور من فاران، وجاء مع عشرة آلاف من المقربين، وجاءهم من
يمينه شريعة نارِيَّة.

أحبّ القبائل، وجميع مقدّساته في يمينك ومقربون إلى رجلك ويتقبّلون تعاليمك.
موسى أمرنا بشريعة هي ميراث لجماعة بنى يعقوب).

في هذا النص (وجاء مع عشرة آلاف من المقربين) مع تعيين عدد الألوف وفي النص الاول
(ومعه الوف الاطهار) مع عدم تعيين عدد الألوف لأنّ الذي ظهر من غار حراء بفاران ثمّ جاء إلى
أرض فاران مكّة - مع عشرة آلاف هو خاتم الانبياء محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبادروا إلى
تحريف هذا النص في عصرنا الحاضر كي يكتبوا ما جاء فيه من بشارات ببعثة خاتم الانبياء كما
شرحنا ذلك في البحث التمهيدي الخامس من الجزء الثاني من كتاب (خمسون ومائة صحابي
مختلق).

نتيجة البحث في تفسير (مصدقاً لِمَا مَعَكُمْ):

يتّضح بجلاء أنّ هذا الاصحاح ينصّ على أنّ موسى بن عمران (ع) ذكر في وصيّته لبنى اسرائيل
قبل موته:

أنّ الله الربّ أنزل التوراة في جبل سينا والانجيل في جبل سعيير والقرآن في جبل فاران - مكّة
- ثمّ توسّع في ذكر خصوصيات الشريعة الثالثة وقال: وجاء ومعه عشرة آلاف من المقربين وهم

عشرة آلاف من الجنود فى فتح مكّة، وأنّ شريعة الثالث شريعة القتال، وأنّ أمّته يقبلون تعاليمه، وفى هذا التصريح تعريض بمواقف بنى إسرائيل فى انحرافاتهم وعبادتهم العجل ومجادلاتهم مع نبيهم موسى وسائر أنبيائهم والتي جاء ذكرها فى القرآن والتوراة.

وكذلك صّرح بأنّ شريعة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) نزلت لجميع القبائل بينا شريعة موسى بن عمران نزلت لجماعة يعقوب أى لبنى إسرائيل.

ويطول بنا البحث إذا أردنا أن نستعرض جميع البشارات ببعثة خاتم الانبياء والتي بقيت إلى عصرنا الحاضر مع التحريف الذى أجروه عليها فى ما بقى من الكتب السماوية بأيدينا اليوم، وكانت موجودة بأيدي أهل الكتاب فى عصر خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولذلك قال سبحانه بعيد هذا فى الآية (146) منها:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

وبناء على ذلك فإنّ فى بعثة خاتم الانبياء بالقرآن وما يتّصف به هو وأمّته تصديق لما عند أهل الكتاب فى التوراة والانجيل، والحمد لله ربّ العالمين.

ب - لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ:

أى لا تخلطوا الحقّ بالباطل لتخفوا الحقّ، أو لا تستروا الحقّ بالباطل لتجعلوه مشكوكا.

ج - عَدَلْ: عدل: أى فدية.

د - قَفَيْنَا:

قفى من بعد الشيء بالآخر: أتى بالآخر بعد الاول أو جعله يتبعه.

هـ - غُلْفٌ:

غُلْفُ الشيء: جعل له غلافا، وغلف جمع الاغلف وهو الموضوع فى الغلاف.

و - يَسْتَفْتِحُونَ:

أى يطلبون النصر على خصومهم فى القتال بذكر اسمه ويستشفعون به إلى الله لينصرهم (16) .

ز - نُنْسِهَا:

لا بدّ أن تكون (ننسيها) مخفّفة من (ننسيها)، ونسأ الشيء أو الامر وأنساه آخره، ويكون المعنى ما ننسخ من آية - من أحكام - أو نُوجِّلها نأت بخير منها أو مثلها، كما سيأتى بيانها وبيان الحكمة فيها فى ما يأتى إن شاء الله تعالى.

ولا يصحّ أن تكون من (ننسيها)، ويكون المعنى لا ننسى الناس قراءة (آية) من القرآن كما فسّروها (17)، وذلك:

أولاً: لقوله تعالى فى سورة الاعلى: (سُنُقِرْكَ فَلَا تَنْسَى)، إذا فقد ضمن الله حفظ القرآن من النسيان.

وثانياً: لعدم وجود مصلحة لانساء الله الناس قراءة آية أو آيات أنزلها ليقرأها الناس.

ح - هادُوا وهُودا:

هاد: دان باليهودية فهو هائد وجمعه هودا، مثل عائذ وعوذا، ونازل ونزلا.

ط - فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ:

أى فضّلهم فى عصرهم على العالمين من قوم فرعون بمصر والعمالقة وأمثالهم فى الشام.

ى - شَطْر: شطر الشيء: من معانيه جهة الشيء، وهو المقصود هنا.

ك - ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ:

أى ما كان الله ليضيع صلاتكم التى صليتموها مستقبلين بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة.

ل - بَدَّلْنَا:

بدّل الشيء بالشيء وبدّل شيئاً مكانَ شيء آخر: جعل الشيء الثانى مكان الشيء الاول.

والفرق بين العوض والبدل: أنّ العوض ما تعقّب به الشيء على جهة الثامنة، تقول: هذا الدرهم

عوض من خاتمك، والبدل ما يقام مقامه ويوقع موقعه على جهة التعاقب دون الثامنة (18) .

م - رُوحُ الْقُدُس:

هو الملك الذى أنزل الله القرآن وتفسيره وأحكام الاسلام معه إلى الرسول.

ن - ذِي ظُفُر:

الظفر فى اللغة ظفر الانسان وغيره، والمقصود هنا والله اعلم كلّ حيوان ليس بمنفرج الاصابع

كالابل والنعام والاوز والبط.

س - الحوايا:

الحوايا: الامعاء والمباعر.

ع - ما اختَلَطَ بِعَظْمٍ:

اختلط الشيء بالشيء: امتزج، والمقصود هنا شحم الجنب والالية لأنه على العصعص وهو عظم.

ثانيا: تفسير الايات:

أ - آية التبديل التي جاءت ضمن آيات سورة النحل المكيّة:

فى هذه الايات قال الله تعالى:

وإذا بدلنا آية أى بعض أحكام من شرع سابق بأحكام أخرى نزلت فى القرآن قالوا للرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم): إنما أنت مفتر.

لا. ليس الامر كذلك: بل أكثرهم جهال لا يعلمون!

بارسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! قل: نزل الأحكام فى القرآن الملك من عند ربك

بالحق كى يثبت المؤمنين على الايمان وليكون هدى وبشرى للمسلمين، ولست أنت المفترى، وإنما

يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - أى المشركون أنفسهم - وأولئك هم الكاذبون.

ثم شرح الله سبحانه بعد هذا مورد النزاع وقال: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا مثل لحم

الجمال وبعض شحوم الحيوان ونظائرهما مما حرّمها على بنى إسرائيل، فإنّ الله لم يحرّمها عليكم

وإنّما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله، أى ما هتف عند ذبحه باسم غير

الله مثل اللات والعزى ونظائرها، إلّا لمن اضطرّ إلى أكلها، هذه مما حرّمت عليكم ولا تصفوا

الاشياء بألستكم بأنّ هذا حلال وذاك حرام، كما أخبر الله عن قول المشركين فى الايات 138 -

140 من سورة الانعام، كان ذلكم شأن المشركين، أمّا اليهود فقد حرّم الله عليهم خاصّة ما قصّه

على الرسول قبل هذه السورة - أيضا - فى الاية 146 من سورة الانعام، وكان ذلك التحريم لليهود.

أمّا أنت أيّها الرسول فقد أوحينا إليك أن أتبع فى أمر الحلال والحرام ملّة إبراهيم، وكان من

جملة ما فى ملّة إبراهيم اتخاذ يوم الجمعة يوم استراحة فى الاسبوع، أمّا السبت فقد جعل يومه

عطلة على بنى اسرائيل خاصّة تحرّم عليهم العمل فيه، كما ورد ذكره فى الاية 163 من سورة

الاعراف.

وبناء على ما أوردناه فإن معنى تبديل آية هنا إنما هو تبديل بعض أحكام جاءت في تورا
موسى بن عمران (ع) بأحكام نزلت في القرآن على خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم)،
وعودة الامر إلى ما كان عليه في شريعة إبراهيم الخليل (ع).
ويؤكد ما ذكرنا قوله تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ... قُلْ نَزَّلَهُ
رُوحُ الْقُدُسِ).

وإعادة الضمير في (نزله) إلى معنى (آية) وهو الحكم، ولو كان الجدل حول تبديل الآية التي
هي جزء من السورة لكان ينبغي ان يقول سبحانه: (قل نزلها روح القدس) ويبعد الضمير مؤنثا.

ب - الايات التي وردت في ضمنها آية النسخ في سورة البقرة المدنية:

في هذه الايات قال الله سبحانه:

يا بنى إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم وأوفوا بعهده حين أنزل لكم التوراة وقال لكم: خذوا ما
آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه، وفيه البشارة ببعثة خاتم الانبياء، يوف الله بعهده اليكم، فيصدق نعمه
عليكم في الدنيا والاخرة، وآمنوا بما أنزل على خاتم الانبياء وهو يصدق لما معكم من كتب الله،
ولا تكتنموا الحق ولا تلبسوا الحق بالباطل وأنتم تعلمون. ولقد أتى الله موسى الكتاب ووفى بعده
بالرسل ومنهم عيسى بن مريم الذى أيدّه بالادلة الواضحة وأيده بروح القدس. أفكلما جاءكم رسول
بأحكام لا تهواها أنفسكم استكبرتم وكذبتم فريقا منهم وفريقا تقتلونهم، وقتلتم قلوبنا مغلفة عن
دركها، وأخيرا لما جاءكم القرآن من عند الله وهو يصدق ما عندكم من الاخبار كفرتم به، فى حين
أنكم كنتم قبل ذلك تستشفعون فى طلب الفتح على الكفار باسمه، وعندما جاءكم النبى وعرفتموه
كفرتم به وبما أنزل الله معه من الوحي، بئسما اشتريتم لانفسكم ان تكفروا بما أنزل الله، لانه أنزله
ذرية إسماعيل دون ذرية يعقوب فبوءوا بغضب من الله وللکافرين عذاب مهين.

وإذا قيل لليهود آمنوا بما أنزل الله على خاتم أنبيائه قالوا: نؤمن بما أنزل علينا معشر بنى
إسرائيل، ونكفر بما أنزل على غيرنا، وهو حق يصدق ما معهم فى كتب الانبياء من الاخبار ببعثته.
قل لهم يا رسول الله: إن كنتم تزعمون أنكم مؤمنين بالله فلم قتلتم أنبياء الله الذين جاءوكم
قبل هذا؟! كيف تقولون إنكم تؤمنون بما أنزل اليكم، ولقد جاءكم موسى بالايات البيّنات فعبدتم
العجل بدل الايمان بالله، وكما أنزل الله على موسى آيات بيّنات أنزل - أيضا - آيات بيّنات على
خاتم أنبيائه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يكفر بها إلا الفاسقون.

ولو أن اليهود آمنوا واتَّقوا الله لاثابهم الله، ولكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بمكة لا يحبون أن ينزل عليكم ايها المسلمون خبر وكتاب من ربكم فى حين أن الله يختص برحمته من يشاء.

وما ينسخ الله من آية أو ينسها يأت بخير منها أو بمثلها، أى ما ينسخ الله من أحكام أو يؤجلها يأت بخير منها أو بمثلها، إن الله على كل شىء قدير.

أحب كثير من أهل الكتاب أن يردوكم عن إيمانكم بخاتم الانبياء إلى الكفر حسدا أن ينزل الوحي على غير بنى إسرائيل، بعد أن تبين لهم أنه الحق وقالوا لكم لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود أو النصارى، أى إنكم بإسلامكم لن تدخلوا الجنة، قل هاتوا برهانكم. بلى من أسلم وعمل الصالحات فله أجره عند ربه، ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم.

ثم ذكر موضع النزاع سبب الخصومة وكيف وقعا بين الرسول واليهود، وقال سبحانه: نرى تقلب وجهك نحو السماء انتظارا لتحويل القبلة من بيت المقدس فلنولينك قبلة ترضاها اينما كنت انت والمسلمين ول وجهك نحو المسجد الحرام، وإن الذين أوتوا الكتاب اليهود منهم الذين يخاصمونك والنصارى ليعلمون أن تحويل القبلة إلى الكعبة حق من ربهم، وإنك مهما تأتهم بآية لا يقبلون قولك ولا يتبعون قبلتك.

وسيقول السفهاء ما ولاهم عن بيت المقدس قبلتهم السابقة. قل إن الامر لله والمشرق والمغرب له يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وكان جعل القبلة بيت المقدس وتحويلها إلى الكعبة لامتحان الناس فى مكة حيث جعل قبلتهم إلى بيت المقدس دون الكعبة، وفى المدينة - أيضا - تحويل القبلة إلى الكعبة امتحانا لليهود، فى أنهم هل يتركون العصبية الاسرائيلية ويتركون استقبال بيت المقدس ويستقبلون الكعبة بعد أن عرفوا أنه الحق من ربهم. إمتحانا لهؤلاء وأولئك ليعلم من يتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ممن ينقلب على عقبيه.

أما صلاتهم التى استقبلوا بها بيت المقدس قبل ذلك فلا تضيع عند الله.

وهكذا يتبين أن المقصود من (آية) فى ذكر مجادلة قريش فى مكة عند تبديلها بآية أخرى:

تبديل الله حكما بآخر، كما جاء تفصيل ذلك الجدل قبل هذه السورة فى سورة الانعام؛ وأيضا تبين أن المقصود من نسخ آية أو تأجيلها فى خبر اليهود فى المدينة: نسخ حكم فى شريعته (ع) أو تأجيل حكم شريعة لحكمة يعلمها الله.

إنَّ الراغب قد أصاب في تفسيره آية: (وكلَّ جملة دالّة على حكم آية، سورة كانت أو فصولا أو فصلا من سورة) أى باعتبار معنى الآية في السورة.

كان ذلك المقصود من تبديل آية مكان آية أخرى ونسخ آية وإنسائها في الايتين الكريمتين، وسندرس في ما يأتي شأن النسخ وحكمته في شريعة موسى ابن عمران (ع) بإذنه تعالى.

-
- (1) صحيح مسلم (5 / 5) كتاب الجمعة باب فضل الجمعة، وطبقات ابن سعد ط. أوروبا (1 / 8)، ومسند أحمد (2 / 232 و 327 و 540).
 - (2) اختيار مكة للزرقى (ت 223 هـ). ط مدينة غتنفة عام 1275 هـ ص 31.
 - (3) مادة الجمعة من سفينة البحار.
 - (4) طبقات ابن سعد ط - أوروبا (ج 1 ق 1 / 12 و 15 و 26)، ومسند أحمد (5 / 178 و 179 و 265)، ومسند الطيالسي الحديث 479، وفي البحار (11 / 167 - 197) روايات متعددة مع اختلاف وزيادة ونقيصة في كيفية حج آدم (ع).
 - (5) البحار (3 / 248 - 252) وصحيح البخاري (3 / 139) بتفسير سورة نوح.
 - (6) معجم الفاظ القرآن الكريم، مادة وصى.
 - (7) تفسير الآية في التبيان (2 / 553)، ومجمع البيان (9 / 24).
 - (8) لسان العرب، مادة شيع.
 - (9) تفسير الآية في التبيان (2 / 492) ط. الحجر في إيران 1365 هـ.
 - (10) وكذلك تعدد تفسيره في تفسير الآية في التبيان ومجمع البيان وتفسير الطبري وابن كثير والدر المنثور للسيوطي.
 - (11) البقرة الآية 140.
 - (12) الصرع: مدر اللين، يقال: ماله زرع ولا صرع.
 - (13) راجع تفسير الايتين الكريمتين: 72 و 75 في سورة الانفال بتفسير الطبري (10 / 26 - 27)، وتفسير ابن كثير (2 / 328، 221) وتفسير الدر المنثور (2 / 207).
 - (14) راجع تفصيل البحث ومصادره في بحث مصطلحات اسلامية من المجلد الاول من القرآن الكريم وروايات المدرستين.
 - (15) امتازت بطبع اللون الاحمر مع الاسود للكلمات - في العهد الجديد فقط - وسميت ب: edition letter red.
 - (16) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري.
 - (17) راجع رواية القرطبي والطبري عن سعد بن أبي وقاص في تفسير الآية.
 - (18) مادة بدل من كتاب التحقيق في مفردات القرآن نقلا عن الاوائل للعسكري.

3 - شريعة موسى كانت تخصّ بنى إسرائيل

إنّ شريعة موسى التي جاءت فى التوراة كانت تخصّ بنى إسرائيل كما جاء فى العدد الرابع من الاصحاح الثالث والثلاثين فى سفر التثنية ما نصّه: (موسى أمرنا بسنة ميراثا لجماعة يعقوب).
أى أنّ موسى أمرنا بشريعة تخصّ جماعة يعقوب وهم بنو إسرائيل، وكذلك مرّ فى الايات التي درسناها آنفا بيان ذلك. وفى ما يأتى ندرس أمر النسخ بتفصيل أوفى باذنه تعالى.

حقيقة النسخ فى شريعة موسى (ع):

نبدأ بذكر أخبار بنى إسرائيل فى القرآن حسب التسلسل الزمنى ثمّ ندرس أمر النسخ فى شريعتهم:

أولاً - تذكير بنى إسرائيل بما أنعم الله عليهم:

أ - فى سورة البقرة:

(يا بنى إسرائيل اذكروا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ*... وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ* وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ* وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) (الايات 47 و 49 و 50 و 51).

ب - فى سورة الاعراف:

(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (الاية 138).

ج - فى سورة طه:

(وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ*... فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى...).

(وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي* قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) (الايات 85 - 91).

د - فى سورة البقرة:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (الاية 54).

ثانيا - التَّوْرَةُ وَبَعْضُ أَحْكَامِهَا:

أ - فى سورة البقرة:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الاية 63).

وقريب منه فى الاية 93 منها والاية 171 من سورة الاعراف.

ب - فى سورة الاسراء:

(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ...) (الاية 2).

ج - فى سورة آل عمران:

(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ...) (الاية 93).

د - فى سورة الانعام:

(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (الاية 146).

هـ - فى سورة النحل:

(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (الاية 118).

و - فى سورة النساء:

(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً... فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ... وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ... وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا* فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ... وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا* فَبِظَلَمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا* وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) (الايات 153 - 161).

ز - فى سورة الاعراف:

(وَسَلَّهْمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (الاية 163).
والبقرة (65) والنساء (47 و154).

ح - وفي سورة النحل:
(إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ...) (الاية 124).

ثالثا - نعم الله على بنى إسرائيل وطغيانهم وتمردهم:

أ - فى سورة الاعراف:
(وَقَطَّعْنَاهُمْ أَثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ* وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ) (الايات 160 - 162).

ب - فى سورة المائدة:
(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ* يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ* قَالَ فَإِنَّهَا مَحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (الايات 20 - 26).

شرح الكلمات

أ - إسرائيل:

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لقبه إسرائيل وبنو إسرائيل ذريته من أبنائه الاثنى عشر.

ب - يَسُومُونَكُمْ:

سام الانسان يسومه ذلاً أو خَسْفاً أو هواناً: أولاهُ إِيَّاه وأراداه عليه.

ج - يَسْتَحْيُونَ:

استحيا الاسير: تركه حيّاً فلم يقتله.

د - يَعْكِفُونَ:

عكف فى المسجد عكوفاً: أقام للعبادة، وعكف عليه يعبده: أقبل عليه يعظّمه وواظب على عبادته لا يصرف وجهه عنه.

هـ - خُوار:

الخُوار: صوت البقر والغنم.

و - يَبْرَح:

برح المكان براحاً: فارقه.

ز - فتنتم:

الْفِتْنَةُ من الله لعباده امتحان، ومن ابليس والناس للناس: إضلال وإيقاع فى المكروه، فمن ابليس للناس كما قال الله تعالى: «يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان» الاعراف / 27. ومن الناس للناس، كما قال سبحانه وتعالى: «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق» البروج / 10.

ح - بارىء:

ى - أسباطا:

الاسباط هنا بمعنى القبيلة.

ك - فَأَنْبَجَسَتْ:

بَجَسَ وَانْبَجَسَ وَتَبَجَّسَ: انفجر وتفجّر.

ل - المنّ والسَّلوى:

1 - المنّ: ندى يُشبه العسل جامد ينزل من السماء وقيل غير ذلك.

2 - السَّلوى: واحدته سَلَوَة: طائر يشبه السّمانى، أو هو السّمانى، والسّمانى: طائر صغير من

الدجاجيات جسمه ممتلىء يستوطن حوض البحر الابيض ويهاجر شتاء إلى مصر والسودان(1) .

م - حِطَّةٌ:

حِطَّ اللَّهُ وزره: اى وضع الله عن ظهره ما يحمله من آثام، وحِطَّةٌ مثل مغفرة: اى حِطَّ عَنَّا ذنوبنا.

ن - رَفَعْنَا:

رفع الشيء فوق الشيء: اعلاه عليه.

س - ميثاقُكُمْ:

الميثاق:

العهد وما يشد به العهد ويوثق كأنه عهد على الالتزام بالعهد.

ع - الرَّجْزُ:

العذاب، ورجز الشيطان وساوسه.

ف - يَتِيَهُونَ:

تاهَ تَيَّها فى الارض: ضلَّ الطريق وتحيّر.

ص - لا تَأْسَ:

اسى وآسى عليه أَسَى: حزن عليه.

ق - تَعْدُو:

عَدَا عَدُوا وَعُدُّوا وَعُدُّوا وَعَدَاءُ وَاَعْتَدَى: ظلم وتجاوز الحق.

ر - ميثاقا غَلِيظًا:

وَبَقِيَ بِهِ ثِقَةً وَمَوْثِقًا: ائتمنه وسكن إليه، والموثق: الائتمان والعهد المؤكّد.

ش - الْحَوَايَا:

الحَوَايَا: الامعاء، واحدها: حويّة.

ت - شُرْعًا:

شُرْعَ شُرْعًا: دنا وأشرف وظهر فهو شارع وهم شُرْع.

ث - جَعَلَ لَهُم:

جَعَلَ شُرْعًا: شرّع وحكم وقرّر.

تفسير الايات

خاطب الله بنى إسرائيل وقال لهم: أذكروا نعمتى عليكم إذا جعلت فيكم الانبياء والملوك وآتيتكم النعم كالمن والسلوى ما لم يؤت أحدٌ من العالمين.

وإنه سبحانه نجاهم من ذلّ عبودية فرعون وقتله ابناهم واستحيائه نسأهم وأغرق فرعون وجنوده وجاوز بهم البحر فأتوا على قوم يعبدون الاصنام فقالوا لموسى اجعل لنا صنما كصنمهم نعبده، وإنهم عبدوا العجل عندما ذهب موسى لتسلم التوراة من الله فى الطور، وأمرهم أن يدخلوا الارض المقدسة التى قدرها الله يومذاك لهم، فقالوا: يا موسى إن فيها قوما جبّارين - العمالقة - وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها.

قال يشوع - اليسع - ورجل آخر منهم: ادخلوا المدينة فإنكم ستغلبونهم، فأبوا ذلك وقالوا: يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا العمالقة، إنا ها هنا قاعدون. قال موسى: ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخى هارون وفرق بينى وبين القوم الفاسقين، قال الله سبحانه: فإن الارض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى هذه المدة فى صحراء سيناء فلا تحزن على الفاسقين.

وأخبر عنهم سبحانه فى سورة الاعراف، وقال تعالى: وقسمنا بنى إسرائيل اثنتى عشرة قبيلة وأوحينا إلى موسى عندما استسقى قومه أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل قبيلة من بنى إسرائيل عين، وظلل عليهم الغمام وقاية لحرّ الشمس عنهم وأطعمهم حلاوة كالعسل ولحم الطير، وقيل لهم بعد طول السفر اسكنوا مدينة كانت أمامهم، وكلوا مما فيها من رزق، وادخلوا باب المدينة شاكرين لله ساجدين له، وقولوا حطة أى ربنا اغفر لنا خطايانا، فبدل الظالمون قولاً غير ما أمروا بقوله، وقالوا: حنطة، أى نطلب الحنطة (2) ، فأنزل الله عليهم العذاب من السماء بسبب عملهم.

وأخبر الله سبحانه عنهم فى سورة النساء، وقال تعالى: يسألك - يا رسول الله - أهل الكتاب أى اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، وقد سبق لهم أن سألو موسى أكبر من ذلك حين قالوا له: أرنا الله جهاراً لنُبصره بعيوننا، فففوننا عن ذنبهم، ورفعنا فوقهم الطور، وإذ أخذنا الميثاق على العمل بعهدكم فى العمل بما جاء فى التوراة.

كان أحبّ الطعام والشراب إلى اسرائيل ألبان الابل ولحومها وإنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه لحوم الابل وألبانها شكراً لله.

وحرّم على نفسه زائدتى الكبد والكليتين والشحم إلّا ما كان على الظهر فإنّ ذلك كان يقربّ للقربان فتأكله النار(3) .

وكان ممّا عاهدوا الله عليه فى العقائد: الايمان بمن بشرّ ببعثته موسى بن عمران (ع) من بعثة عيسى (ع) وبعده بعثة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) كما مرّ بنا فى ما نقلناه عن سفر التثنية.

وفى الاحكام عاهدوا أن لا يتعدّوا فى يوم السبت ولا يعملوا فيه وأخذ الله منهم فى ذلك ميثاقا شديدا أكيدا.

وبسبب نقضهم - أى بنى إسرائيل - ميثاقهم مع ربّهم وكفرهم بآيات الله وقولهم فى مريم بهتانا عظيما ورميهم الطاهرة مريم بهتانا عظيما وبظلمهم حرّما عليهم - تأديبا لهم - طيّبات أحلّت لهم كما أنّهم بظلمهم وعبادتهم العجل أمروا بقتل أنفسهم - أى بقتل من لم يؤمن بالعجل من عبد العجل منهم - وبمنعهم عن الايمان بالله وأخذهم الربّا فى المعاملات وأكلهم الربّا مع أنّهم مُنعوا عن الربّا، حرّمت طيّبات لهم.

وممّا خالفوا ما واثقوا به ربّهم صيدهم يوم السبت الحيتان من البحر؛ لأنّها كانت تدنو منهم يوم السبت وتظهر لهم ولا تأتى الحيتان غير يوم السبت كذلك. وكان ذلك امتحانا لهم خاصّة، وأنّما جعل لهم السبت أى شرّع العطلة يوم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم بنو إسرائيل. وقال تعالى فى سورة النساء:

يسألك اليهود من أهل الكتاب أن تُنزلَ عليهم كتابا من السماء، وقد سألوا نبيّهم موسى أكبر من ذلك وقالوا: أرنا الله جهارا لبصيرة بعيوننا... فعفّونا عن ذلك ورفعنا فوقهم الطور، وأخذنا منهم العهود والمواثيق أن يعملوا بما جاء به موسى بن عمران، وكان منه الايمان بأنبياء الله وخاصة عيسى بن مريم (ع) ومحمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفترّوا على مريم (ع)، والاحكام التى فيها، فكفروا بآيات الله وقتلوا الانبياء، وصدّوا عن سبيله وأخذوا الربّا وأكلوا أموال الناس، وبسبب ظلمهم حرّما عليهم طيّبات كان قبل ذلك حلالا عليهم، وممّا حرّم الله عليهم صيد الاسماك يوم السبت لاهل القرية التى كانت حيتان البحر تدنو إليهم يوم السبت.

حصيلة البحث

فَضَّلَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُعَاَصِرِهِمْ مِنْ أَقْبَاطِ مِصْرَ وَعَمَالِقَةَ الشَّامِ وَسَائِرِ الْأُمَمِ، وَبَعَثَ اللَّهُ فِيهِمُ النَّبِيِّينَ كَمُوسَى وَهَارُونَ وَعِيسَى وَأَوْصِيَائِهِمْ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا التَّوْرَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِيقَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْمَنْ وَالسَّلَوى وَإِسَالَةِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ وَغَيْرِهَا، وَفِي مُقَابِلِ كُلِّ تِلْكَ النَّعْمِ جَحَدُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَبَدُوا الْعَجَلَ وَأَخَذُوا الرِّبَا وَأَكَلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ وَعَمَلُوا أَمْوَارًا أَمْثَالَهَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّمَرِّدِ عَلَى اللَّهِ، فَكَانُوا بِحَاجَةٍ لِتَرْبِيَةِ نَفُوسِهِمْ إِلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ نَفُوسِهِمْ وَتَرْكِ الْعَمَلِ لِلدُّنْيَا يَوْمَ السَّبْتِ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي تَرْكِ الْعَمَلِ يَوْمَ السَّبْتِ كَفَعَلَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى سَاحِرِ الْبَحْرِ (4) ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَكْلِ الشَّحْمِ وَلَحْمِ الْجَمَلِ وَأَمْثَالِهِمَا تَرْوِيضًا لِنَفُوسِهِمْ، وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَمَاسُكِ قِبَلِي بَيْنَ أَسْبَاطِهَا لِمُقَابَلَةِ الْأُمَمِ الطَّاعِيَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ مِنْ عَمَالِقَةَ وَأَقْبَاطِ، فَشَرَعَ اللَّهُ لَهُمْ اسْتِقْبَالَ خِيَمَةِ الْجَمَاعَةِ لِلْعِبَادَةِ، قَبْلَ بِنَاءِ سَلِيمَانَ الْمَسْجِدِ الْمُسَمَّى بِهَيْكَلِ سَلِيمَانَ، وَاجْرَاءِ الطَّقُوسِ الدِّينِيَّةِ بِإِشْرَافِ أَبْنَاءِ هَارُونَ، وَكَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ مِنْ سُلَالَةِ دَاوُدَ مِنْ سُبُطِ يَهُودَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ أَحَلَّ لَهُمْ بَعْضَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ عِيسَى (ع) فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ:

(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ.. وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) (الآية 49 - 50).

وَبِنَاءِ عَلَى مَا أوردناه تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ (ع) إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (ع) أُرْسِلُوا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّ بَعْضَ الْأَحْكَامِ فِي شَرِيعَةِ التَّوْرَةِ أُنْزِلَتْ لِمَصْلَحَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. إِذَا فَإِنَّ تِلْكَ الْأَحْكَامَ مِنْ قِبَلِ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَمَدُهَا مُؤَقَّتًا وَانْتَهَى أَمَدُ بَعْضِهَا بِبَعْثَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (ع)، وَأَحَلَّ لَهُمْ بَعْضَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَدُ الْبَعْضِ كَانَ إِلَى بَعْثَةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فَجَاءَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ بِبَيَانِ انْتِهَاءِ أَمَدِهَا جَمِيعًا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْإِغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...) (الآية 157).

إِصْرَهُمْ: أَيِ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ عَلَيْهِمْ.



كان ذلكم شأن النسخ في شريعة موسى (ع) بالنسبة إلى الشرائع السابقة عليها ونسخ بعض ما في شريعة موسى (ع) في شريعة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم).
ونوع آخر من النسخ ما يقع في شريعة نبي واحد كالآتي بيانه:

4 - معنى النسخ في شريعة نبي واحد

لمعرفة معنى النسخ في شريعة نبي واحد نذكر مثالا واحدا منه في شريعة خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) كالآتي بيانه:

من أمثلة النسخ في شريعة نبي واحد نسخ وجوب دفع الصدقة على من يريد أن يناجي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء في قوله تعالى في سورة المجادلة:
(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) * أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الآيات 12 - 13).

وجاء تفصيل الخبر في التفاسير كالآتي:

إنَّ البعض من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يكثرون مناجاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يظهر من ذلك نوعا من التقرب إليه والاختصاص به، وكان من مكارم أخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لم يكن يردّ طلب ذي حاجة إليه، وكان ذلك يضايق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويصبر عليه، فنزل حكم أداء الصدقة لمن يريد أن يناجي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فترك أولئك نجوى الرسول وصرفَ على بن أبي طالب دينارا بعشرة دراهم، وتصدّق بها عشر مرّات، وناجي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ما كان يهّمه، ولما تحقّقت الغاية في تربية أولئك بهذا الحكم، وانتهى أمد الحكم، رُفِعَ الْحُكْمُ (5).

خلاصة بحث النسخ ونتيجته

كان يوم الجمعة يوما مباركا ويوم راحة لبني آدم منذ عصر آدم (ع) إلى عصر أنبياء بني إسرائيل: موسى بن عمران إلى عيسى بن مريم (عليهما السلام).

وأيضاً أجرى آدم ومن جاء بعده من الانبياء إلى عصر إبراهيم (ع) مناسك الحجّ في عرفات والمشعر ومنى وطافوا سبعا حول مكان البيت، ثمّ بنى إبراهيم وإسماعيل البيت وطافا بعد ذلك مع من تبعهما في الحجّ حول البيت.

ثمّ جدّد نوح شريعة آدم وجاء بشريعة كشرية خاتم الانبياء، وتبعه الانبياء من بعده لقوله تعالى:

1 - (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ).

2 - (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) - أى من شيعة نوح -

3 - قوله تعالى لخاتم أنبيائه ولأمته:

أ - (اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا).

ب - (فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا).

إذا فإنّ شرايع الانبياء واحدة منذ اصطفاء الصّفى آدم (ع) إلى اجتباء النّبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، عدا ما كان من أمر الشريعة التي أرسل الله بها أنبياء بنى إسرائيل من موسى بن عمران إلى عيسى بن مريم حيث لوحظ فيها مصلحة بنى إسرائيل لقوله تعالى:

أ - (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ).

ب - (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ). - أى على اليهود -

ج - (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ). - أى جعلَ فرضَ تعطيل يوم السبت على الذين اختلفوا فيه، وهم بنو إسرائيل -

وكما جاء التصريح بذلك فى العدد الرابع من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية:

(بناموسٍ أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب). (موسى أمرنا بسنة ميراثا لجماعة يعقوب).

وفى نسخة (بشريعة).

والحكمة فى ذلك أنّ بنى إسرائيل كانوا قوما معاندين لانبيائهم مشاكسين (6) متابعين لاهواء

نفوسهم الامارة بالسوء والضعيفة امام اعدائهم يتخذون العجلَ إلها لهم بعد أن فلق الله البحر لهم ونجّاهم من ذلّ عبودية فرعون وأبوا أن يدخلوا الارض المقدسة التي جعلها الله لهم خوفا وهلعا من قوم العمالقة الذين كانوا فيها، وكان تهذيب نفوسهم واصلاحها فى تشديد الشرع لهم من جانب؛ بأمر المؤمنين الذين لم يعبدوا العجلَ المرتدين منهم بقتل الذين عبدوا العجلَ، وتحريم العمل يوم السبت عليهم وابتلائهم بالثيه فى صحراء سيناء أربعين سنة.

ومن جانب آخر لما كانوا الأمة المؤمنة الوحيدة في عصرهم وهي محاطة بأمم كافرة معتدية قووية من حولهم، احتاجوا إلى رباط قوى يشد بعضهم إلى بعض ويكون منهم أمة متميزة عن الآخرين، متماسكة فيما بينها، لذلك كله شرع لهم قبله خاصة بهم فيها التابوت الذي حوى الواح التوراة الكتاب الذي أنزله الله تشريعا لهم وتشريعا يناسب ظروفهم (وَبَقِيَّةَ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ) (البقرة 248)، إلى غير ذلك من التشريعات المناسبة لظروف بني إسرائيل يومذاك.

في عصر عيسى بن مريم (ع) انتهى أمدُ بعض تلك التشريعات بانتهاء بعض تلك الظروف، فأحلَّ عيسى (ع) بعض تلك المحرمات بأمر من الله.

وعلى عهد خاتم الانبياء انتشر بنو اسرائيل في البلاد وحشروا بين الناس، وكان يضيرهم ويضير الأمم التي يعيشون بينهم أن يشعر بنو إسرائيل أنهم ليسوا من الأمة التي يعيشون معها، وأنهم جسم غريب عن جيرانهم وأهل بلدهم، وكذلك يكون شعور أهل البلد مع الاسرائيلي بأنه غريب عنهم، ومبعث قلق ومشاكل للمجتمع الواحد الذي يعيش الجميع فيه، ولذلك أصبحت الاحكام التي تفصلهم عن الامم غلا في أعناقهم، مثل تحريم العمل عليهم يوم السبت خلافا لسائر الأمم التي تتخذ غير يوم السبت يومَ راحةٍ عن العمل، وإصرار عليهم، كما ورد شرحها وتفصيلها في سفر التثنية من الترواة، فأحلَّ لهم خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) وبأمر من الله ما حرَّم عليهم في العصور السابقة، وقال تعالى في سورة الاعراف:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...) (الاية 157).

وهكذا رفع الله عنهم الاحكام التي كانت تصلح لهم في العصور السابقة وأصبحت غلا عليهم حين عايشوا الناس كلَّ الناس في كلِّ مكان، أمَّا الاحكام التي وردت في شريعة موسى بلحاظ أن بني اسرائيل من الناس فلم ترفع ولم تنسخ مثل حكم القصاص، كما يخبر الله عنه ويقول في سورة المائدة:

(أَنَا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا... وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الاياتان 44 - 45).

فَإِنَّ حُكْمَ الْقَصَاصِ هَذَا كَانَ جَارِيًا قَبْلَ التَّوْرَةِ وَبَعْدَهَا إِلَى الْيَوْمِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَحْكَامِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ بِلِحَازِ كَوْنِهِ إِنْسَانًا لَمْ تَتَغَيَّرْ وَلَمْ تَتَبَدَّلْ فِي عَصْرِ مِنَ الْعَصُورِ، وَفِي شَرِيعَةٍ مِنَ شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَلَمَّا بَدَّلَ اللَّهُ بَعْضَ أَحْكَامِ شَرِيعَةِ مُوسَى بِأَحْكَامٍ أُخْرَى فِي شَرِيعَةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا شَرَحْنَاهُ، اعْتَرَضَتْ قَرِيشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَقَالَ (وَقَالُوا لَهُ إِنَّمَا أَنْتَ تُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ) فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ وَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ... إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ... فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) مِثْلَ لَحْمِ الْجَمَلِ وَشُحُومِ لَحْمِ الْحَيَوَانَاتِ فَهِيَ غَيْرُ مُحَرَّمَةٍ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِنَعِيرِ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ، وَاللَّاتِي كَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي مَكَّةَ يَعْمَلُونَ بِهَا مِثْلَ تَقْدِيمِهِمُ الْقَرَابِينَ لِأَصْنَامِهِمْ، ثُمَّ نَهَاهُمْ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ وَيَقُولُوا هَذَا حَلَالٌ وَذَاكَ حَرَامٌ كَمَا شَرَحَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَقَالَ سُبْحَانَهُ:

(وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ... وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ...) (الأنعام 138 - 139).

وَأَشَارَ إِلَيْهَا فِي سُورَةِ يُوسُفَ وَقَالَ سُبْحَانَهُ:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَلَالًا وَحَرَامًا قُلِ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُ عَلَى اللَّهِ تَفَتُّرُونَ) (الآية 59).

وَهَكَذَا كَانَتْ مَسْأَلَةُ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ مَوْرَدَ جِدَالٍ بَيْنَ مُشْرِكِي قَرِيشٍ وَرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سِوَا مَا كَانَ مِنْهَا مَا هُمْ شَرَعُوهُ وَخَالَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، أَوْ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى وَبَدَّلَهَا اللَّهُ بِأُخْرَى بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ فِي شَرِيعَةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

هَكَذَا كَانَتْ قَرِيشٌ فِي مَكَّةَ تَخَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي مَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ، مُخَالَفًا لِلْمَأْلُوفِ عِنْدَهُمْ فِي مَا اتَّخَذُوهُ دِينًا لَهُمْ وَفِي مَا عَرَفُوهُ مِنْ شَرِيعَةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَوَقَعَتْ نَفْسُ الْخُصُومَةِ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الْيَهُودِ مَعَ النَّبِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ الَّتِي نَسَخَ بِهَا بَعْضَ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ، كَمَا شَرَحَهَا اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطِبًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ:

(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) (الاية 87).
(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَحْنُ نَزَّلَ اللَّهُ قَالُوا نَوْمٌ بَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ...) (الاية 91).
(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...) (الاية 106).
(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...) (الاية 120).
وإنما كانت مجادلة بنى إسرائيل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول ما نسخ من أحكام التوراة وأهمها نسخ القبلة إلى البيت الذى أخبر الله عنه فى سورة البقرة وقال تعالى ما
موجزه:

(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ شَطْرَ
المسجد الحرام وَإِنَّ الَّذِينَ أوتوا الكتاب سواء اليهود منهم أو النصارى يعلمون أنه الحق من ربهم
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ قِبْلَتَكَ مَهْمَا تَأْتِهِمْ بآيَةٍ مِنَ اللَّهِ لَا يَقْبَلُونَ مِنْكَ.
إذا فإنَّ المقصود من نسخ الاية فى هذا المورد نسخ هذا الحكم، كما انَّ المقصود من تبديل آية
بأخرى فى مجادلة قريش بشأنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تبديل بعض أحكام الحلال
والحرام بمكة عند قريش وغير قريش.
وبناء على هذا تبيَّن أنَّ المقصود من (آية) فى قوله تعالى (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ): وإذا بدلنا
حكما مكان حكم.

وفى قوله تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا): مانسخ من حكم أو نؤجله نأت بخير منه أو مثله.
ومثال تأجيل الحكم تأجيل حكم استقبال الكعبة فى شريعة موسى وتبديله بحكم استقبال بيت
المقدس الذى كان فيه الخير يومذاك لنبي إسرائيل.

ومثال نسخ حكم وتبديله بحكم خير منه نسخ حكم استقبال بيت المقدس فى شريعة خاتم
الانبياء بحكم استقبال الكعبة للناس كل الناس أبد الدهر.

وكذلك الامر فى تبديل آية مكان آية، المقصود حكم مكان حكم.
وكذلك تبيَّن أنَّ الاحكام التى يشرعها الله للناس قد يلاحظ فيها مصلحة الانسان من حيث هو
إنسان، فتلك التى لا تبديل فيها كما أخبر الله عنه فى قوله تعالى فى سورة الروم:
(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الاية 30).

لا تبديل لما شرّع الله للناس متناسبا مع فطرتهم مثل قوله تعالى فى سورة البقرة:
(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) (الاية 233).
سواء كانت الوالدة حواء زوجة آدم (ع) وترضع ولدها من آدم فى ظل شجرة أو كهف، أو من
نسلت من بعدها من مختلف العصور من سكّان الكهوف أو الخيم أو القصور.
وكذلك لا يتغيّر حكم الصوم لبنى آدم والقصاص وحرمة الربا كما قال سبحانه وتعالى فى سورة
البقرة:

أ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (الاية 183).

ب - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ...) (الاية 178).

ج - (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...) (الاية 275).

إلى غيرها ممّا شرّعه الله للانسان متناسبا مع فطرته التى فطره عليها، فإنّ أحكامها لا تتبدّل فى
شريعة عن شريعة أخرى من شرايع الانبياء ويعبر عن تلكم الاحكام فى القرآن بلفظ (وصّى الله
ويوصيكم وصيّته) و(كتب كتابه).

وما شرّع الله لبعض الناس متناسبا مع ظروفهم الخاصة بهم فتلك ينتهى أمدّها بانتهاء تلك
الظروف، مثل ما ذكرنا من الاحكام التى شرّعت لبنى اسرائيل متناسبا مع ظروفهم الخاصّة لهم، وما
شرع الله للمهاجرين مع النبىّ من مكّة إلى المدينة من التوارث بينهم وبين من تأخى معهم من
الانصار فى بدء الهجرة، ثمّ انتهى أمدّه بعد فتح مكّة، ونسخ الحكم كما أخبر الله عنه فى الايات
(72 - 75) من سورة الانفال بقوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا... - مِنْ مَكَّةَ - وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا - وَهُمْ الْإِنصَارُ فِي الْمَدِينَةِ -

أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ - وَلَايَةُ الْإِرْثِ وَالنَّصْرَةِ - وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ
مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...).

ثمّ أخبر الله بنسخ هذا الحكم بقوله تعالى:

(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) أى فى ما كتب الله وشرّع للناس كل

الناس (7).

وفى سورة آل عمران قال تعالى:

(وَقَتَلَهُمُ الْآبِیَاءُ بِغَیْرِ حَقٍّ... قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِی بِالْبَیِّنَاتِ... فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ فَإِن کَذَّبُوكَ فَقَدْ کُذِّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ) (الایات 180 - 184).

لَمَّا جَاءَ الْیَهُودَ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ صِفَاتُ الْقُرْآنِ تَصَدِّقُ الْإِخْبَارَ الَّتِیْ عَنْدهُمْ عَنْ بَعْثَةِ الرَّسُولِ الْخَاتَمِ بِالْقُرْآنِ كَفَرُوا بِهِ وَقَالُوا نَوْمٌ بِالتَّوْرَةِ الَّتِیْ أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا وَیَكْفُرُونَ بِغَیْرِهَا مِنَ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ إِلَیْهِ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ فِی الْقُرْآنِ وَمَا أُوتِیَ مِنْ مُّعْجَزَاتٍ وَأَحْكَامٍ فِی الْقُرْآنِ وَمَا یَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ وَقَالَ سُبْحَانَهُ: مَا نَنْسَخُ مِنْ أَحْكَامٍ شَرِیْعَةٍ مِّثْلَ نَسْخِ اسْتِقْبَالِ بَیْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ نُنَسِّهَا وَنَوْجِلُ بَیَانِهَا نَأْتِ بِأَحْكَامٍ خَیْرٍ مِنْهَا لِلنَّاسِ أَوْ بِمِثْلِهَا، وَاللَّهُ هُوَ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ یَفْعَلُ مَا یَشَاءُ، وَإِنَّ الْیَهُودَ وَالنَّصَارَى لَنْ تَرْضَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى یَتْرَكَ مَا نَزَلَ عَلَیْهِ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِیْعَةِ وَیَتَّبِعَ أَحْكَامَ شَرِیْعَتِهِمْ.

وكرر الله سبحانه هذا المفهوم بلفظ آخر في سورة الاسراء وقال:

(وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ)، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِیْ هِیَ أَقْوَمُ) مِمَّا فِی كِتَابِ مُوسَى (ع).

إِلَى هُنَا ذَكَرْنَا فِی بَحْثِ الرِّبَوِیَّةِ كَیْفَ شَرَعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِیْنَ لِلْإِنْسَانِ نِظَامًا یَتَنَاسَبُ وَفُطْرَتُهُ، ثُمَّ هَدَاهُ لِلْعَمَلِ بِمَا شَرَعَ لَهُ، وَفِی الْبَحْثِ الْآتِی نَدْرُسُ بِإِذْنِهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الرِّبَوِیَّةِ كَیْفَ یَجْزِی رَبُّ الْعَالَمِیْنَ الْإِنْسَانَ بِآثَارِ عَمَلِهِ فِی الدُّنْیَا وَالْآخِرَةِ.

(10)

ربّ العالمين يَجْزِي الانسان بآثار عمله

أ و ب - فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

ج - عند الممات.

د - فى القبر.

هـ - فى المحشر.

و - فى الجنة والنار.

ز - جزاء الصبر.

ح - توارث الاعمال.

1 - كيف يُجْزَى الانسان بآثار عمله فى الدنيا

نحن نرى من آثار أعمالنا فى الحياة الدنيا أن من زرع قمحا حصد قمحا، ومن زرع شعيرا حصد شعيرا، وكذلك يرتزق كل انسان ما يعمل.

كان ذلكم مثلا مما نعلمه من آثار اعمالنا المادية فى الحياة الدنيا، وإنّ لأعمالنا فى الحياة الدنيا آثارا معنوية كثيرة مثل ما لصلة الرّحم من الآثار، كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك وقال:

«صلة الرّحم تزيد فى العمر وتنفي الفقر».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«صلة الرّحم تزيد فى العمر، وصدقة السرّ تطفيء غضب الربّ، وإنّ قطيعة الرّحم واليمين

الكاذبة لتذران الديار بلاقع من أهلها ويثقلان الرّحم، وإنّ تثقل الرّحم انقطاع النسل» (8).

المقصود من تطفيء غضب الربّ: إن الانسان إذا كان قد استحقّ بعمله سخط ربّه فى الدنيا، وأنّ تصيبه لذلك مصيبة فى نفسه أو ماله وما شابههما، فإنّ صدقة السرّ تدفع ذلك عنه.

البلاقع جمع البلقع وبلقعة: هى الارض الفقيرة التى لا شىء بها (9).

ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع):

«وصلة الرحم فانها مثرأة في المال منسأة في الاجل، وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة» (10).

وقال (ع): «... وصلة الرحم منما للعدد» (11).

ومن ثم ندرك أن الله شاء بحكمته أن يجعل إدرار الرزق وتكثير النسل في صلة الرحم، والاعسار وقطع النسل في قطع الرحم.

ولهذا السبب قد يعرض تاجران نوعا واحدا من السلعة، فتبور عند أحدهما وتتفق عند الآخر، فيقال للثاني: حسن الحظ، وللأول سيء الحظ، ويكون منشأهما قطع الرحم عند الأول وصلة الرحم عند الثاني، جزاء وفاقا من الله لعملهما.

ولا يترتب جزاء الاعمال هذا على الايمان بالله ولا على عدمه، وإنما جعل الله لعمل الانسان آثارا في الحياة الدنيا - إذا بدرت منه بادرة في حالة وعي وتنبه وعن قصد - وآثارا في الحياة الآخرة.

كذلك جعل الله لاعمال الانسان تجاه الخالق جزاء وفاقا وتجاه الخلق جزاء وفاقا، إنسانا كان ذلك الخلق أو حيوانا أو نعمة أنعم الله عليه من متاع الدنيا، جعل الله كل ذلك بمشيئته وحكمته، وأخبر أن ليس للانسان إلا جزاء عمله، وقال:

(وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (النجم 39).

وكذلك أخبر جل ذكره أن من عمل للدنيا أراه الله سبحانه جزاء عمله في الدنيا، ومن عمل للآخرة أراه جزاء عمله في الآخرة، وقال عز اسمه:

(وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل

عمران 45).

وقال سبحانه:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...) (هود 15 - 16).

وقال تبارك وتعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا... * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (الاسراء 18 - 20).

شرح الكلمات

نُوفٌ إِلَيْهِمْ:

وفى إليه: أعطاه حقه وافيا تامًا.

لا يبخسون:

بخس الكيل والميزان: نقصه، وبخس فلانا حقه: لم يوفّه إياه.

محظورا:

حظر الشيء: منعه، ومحظورا: ممنوعا.

الجزاء فى الدنيا والاخرة:

إذا فمن الاعمال ما يتلقى الانسان جزاءه فى الدنيا، ومنها ما ينحصر جزاؤه باليوم الآخر، فى مثل الشهيد الذى قاتل فى سبيل الله حتى استشهد، فإنه لا يبقى له مجال لتلقى الجزاء فى الدنيا، بل يؤتيه الله جزاءه فى الاخرة، كما قال عزّ من قائل:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران 169 - 171).

وكذلك شأن الانسان المتسلط الذى قتل نفسا مؤمنة ظلما وعدوانا، فإنه - أيضا - ينال جزاءه فى الاخرة، كما قال سبحانه:

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء 93).

وكذلك الذى يولد مصابا بعاهة جسمية مثل: العمى والصمم والعرج، وكان مؤمنا بالله واليوم الآخر مواليا لاولياء الله صابرا محتسبا، فإن الله سوف يجزيه فى حياة الخلد ما لا يُقاس بما أُصيب به من عاهة فى الحياة الدنيا، أو ما عاناه وتحمل من أذى فى سبيل الله فى الدنيا (12) .

وبناء على ما ذكرناه فإن العدل الالهى لن يتحقق دون أخذ جزأ الاعمال بعد الحياة الدنيا، وقد جعل الله أخذ جزاء الاعمال بعد الحياة الدنيا فى مراحل متعددة نذكرها تباعا فى ما يأتى إن شاء الله تعالى، بدءا بذكر جزاء الاعمال بعد الحياة الدنيا:

2 - كيف يُجزى الانسان بآثار عمله فى الحياة الاخرة

إنَّ الانسان يزرع القمح والذُّرة والخضار فى الشتاء أو الربيع فيحصده فى صيف تلك السنة. ويغرس الاعناب والتين والزيتون والحمضيات فيجنى ثمارها بعد ثلاث سنوات أو أربع من غرسها.

ويغرس النخل والجوز ويجنى ثمارها بعد ثمانى سنوات من غرسها أو أكثر. وكذلك يرتزق الانسان نتيجة عمله الدائب ويرزق منها أهله ومن شاء من الخلق إنسانا أو حيوانا، ومع كل ذلك يقول الله سبحانه:

أ - فى سورة الذاريات:

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الاية 58).

ب - فى سورة الروم:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ) (الاية 40).

ج - فى سورة الانعام:

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) (الاية 151).

د - فى سورة العنكبوت:

(وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) (الاية 60).

هـ - فى سورة النحل:

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...) (الاية 71).

إنَّ الانسان يحرق الارض ويزرع الحب ويغرس الشجر ثم يسقيهما، ثم يكافح الافات عنهما ويربيهما حتى يحصد الحب ويجنى الثمر ويرتق منهما ويرزق من شاء، ويقول الله سبحانه: (نحنُ نرزقكم وإيَّاهم)، وصدق الله العظيم فإنَّ الذى جعل من خواص الماء والارض إنبات النبات وعلمنا كيف نزرع ونغرس هو الذى رزقنا، ومثل ارتزاق الانسان كذلك مثل ارتزاق الضيف فى مطعم (سلف سرويس) إخدم نفسك بنفسك، فإنَّ المضيف فى مثل هذا المطعم يطعم ضيوفه ويرزقهم من أنواع الطعام ما يختاره الضيف من الطعام لنفسه بكامل حريته، وإنَّ الضيف الذى يدخل هذا النوع من المطعم لا يأكل شيئا إن لم يتخذ لنفسه ممَّا أعدّه المضيف ماعونا وشوكة وملقعة، ثم يتقدّم بإنائه إلى الموائد المعدة ويأخذ منها بيده ما يشتهى، ومع ذلك فإنَّ صاحب المطعم هو الذى أطعم ضيوفه،

وفى مثل هذه الحالة تقع التبعة على الضيف فى ما إذا تناول من المآكل ما يضره ولا ينفعه، وصدق الله العظيم حيث يقول:

أ - فى سورة إبراهيم:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (الايتان 32 و33).

ب - فى سورة النحل:

(وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الايات 65 - 69).

شرح الكلمات

أ - دائبين:

دأب الشيء: لازمه واعتاده من غير فتور، والدأب: العادة المستمرة والشأن، ودائبين: دأبهما وشأنهما السير باستمرار.

ب - فرث:

الفرث ما فى الكرش.

ج - يعرشون:

عرش الكرم: رفع أغصانه على الخشب، ويقال: لسقف يتخذ على نخلات العرش.

(1) المعجم الوسيط مادة (سلوى).

(2) هكذا ورد فى تفسير الاية فى البحار فى أخبار موسى وهارون وتفسير المجمع.

(3) سيرة ابن هشام ط. الحجازي بالقاهرة (2 / 168 - 169) وكان ما ذكرناه فى المتن جاء فى تفسير الطبري والسيوطي، ونرى أن ما جاء فى سيرة ابن هشام أصح مما أثبتناه فى المتن.

(4) راجع مادة السبت فى قاموس الكتاب المقدس وتفسير الاية فى تفسير الطبري وابن كثير والسيوطي.

(5) راجع تفسير الاية بتفسير الطبري وسائر التفاسير التي تعتمد الروايات فى تفسير الايات.

- (6) مشاكسين: سيئو الخلق عسرو المعاملة، والهلع: الجزع الشديد.
- (7) تفسير الآية في مجمع البيان والطبري وسائر التفاسير بالمأثور.
- (8) مادة (الرحم) من سفينة البحار.
- (9) مادة (بلقع) من نهاية اللغة.
- (10) نهج البلاغة الخطبة 108.
- (11) العدد 252 من الحكم في نهج البلاغة.
- (12) راجع ثواب الاعمال للشيخ الصدوق، باب ثواب من لقي الله مكفوفا محتسبا، الحديث: 21. وراجع معالم المدرستين: الجزء الاول، بحث الشفاعة، خبر الضرير الذي أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلب منه أن يدعو الله ليغافيه.

عود على بدء

إِنَّ الرَّبَّ الرَّزَّاقُ عَلَّمَ بوساطة الانبياء والاوصياء والعلماء ضيفه الانسان فى هذا العالم كيف يتناول من النعم التى أعدّها الله؛ ما ينفعه ولا يضرّه، عاجلاً فى هذه الدنيا وآجلاً فى الآخرة، قال سبحانه:

أ - فى سورة البقرة:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ) (الاية 172).

ب - فى سورة المائدة:

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ) (الاية 4).

ج - فى سورة الاعراف فى وصف خاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله وسلم):

(وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ) (الاية 157).

إذا فإنّ الربّ خلقنا وسَخَّرَ لنا ما خلق من حولنا وَرَزَقَنَا فى الدنيا من الطيّبات نتيجة زرعنا وغرسنا.

وكذلك يرزقنا نتيجة أعمالنا آجلاً فى الآخرة، كما قال سبحانه:

أ - فى سورة الحج:

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا) (الاية 58).

ب - فى سورة مريم:

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (الايات 60 - 63).

إذا فإنّ الربّ الحكيم يجزى الانسان بعمله عاجلاً فى الدنيا وآجلاً فى الآخرة، كما أخبر

سبحانه عن ذلك فى عدّة سور، منها قوله تعالى:

أ - فى سورة الزلزلة:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الاياتان 7 و8).

ب - فى سورة يس:

(فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (الاية 54).

أجل إنَّ الانسان الذى يزرع الحنظل فى الدنيا يجنى الحنظل، والذى يغرسُ الاشجار المثمرة يجنى أطايب الثمر، كما قال سبحانه فى سورة النجم:

(وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى) (الایتان 40 و 41).

ولا يقتصر تلقى الانسان جزاء عمله بالحياة الدنيا، بل يتلقى جزاءه فى عوالم خمسة وهى:

أ - عند الممات.

ب - فى القبر.

ج - فى المحشر.

د - فى الجنة والنار.

هـ - يورث جزاء عمله لخلفه فى الدنيا.

لقد ذكرنا مثالا من تلقى الانسان جزاء عمله فى الدنيا، وفى ما يأتى ندرس بإذنه تعالى كيف يُجزى الانسان بآثار عمله عند الممات.

3 - كيف يُجزى الانسان بآثار عمله عند الممات

إنَّ أوَّلَ مرحلة من مراحل الآخرة هو الموت، وقد قال سبحانه فى وصفه:

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (ق / 19).

أى جاءت غشية الموت وشدته التى تغلب على عقل الانسان، ذلك الموت الذى كنت تهرب منه.

وقال تعالى:

(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (السجدة / 11).

ولا منافاة بين قوله تعالى هذا وقوله: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْإِنْسَانَ) (الزمر 42)، وقوله تعالى: (تَتَوَفَّاهُم

الملائكة) (النحل 28 و 32)، و (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) (الانعام 61).

فإنَّ الملائكة هم رسل الله وهم أعوان ملك الموت فى قبض الارواح، وكلهم يقبضون الروح

بأمر الله. إذا فإنَّ الله هو يتوفى النفس حين يأمر الملائكة بذلك (1).

إبتداءً من هذه المرحلة من مراحل الآخرة ينتهى تمكن الانسان من العمل الذى كان ميسراً له فى الحياة الدنيا ويبدأ بتلقى جزاء عمله، ومما يجرى فى بدء هذه المرحلة ما رواه الصدوق بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «صوم رجب يهون سكرات الموت» (2) .

وتنقسم حال الانسان فى هذه المرحلة بحسب عمله إلى صنفين، كما أخبر سبحانه وقال:

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ) (الواقعة 88 - 94).

وأخبر تعالى عما يتلقاه الصنف الاول وقال:

(يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر 27 - 30).

وأخبر عن الصنف الثانى وهم الذين ظلموا أنفسهم فى الحياة الدنيا وقال تبارك وتعالى:

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هَوَاقِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون 99 - 100).

شرح الكلمات

أ - يتوفى:

وفاه حقه: أعطاه إياه كاملاً، وتوفاه: أخذه كاملاً، وتوفى الله أو ملك الموت الانسان إذا قبض روحه بإماتته، وتوفاه الله وقت النوم بسلبه تمييزه وبعض حواسه فكانما يتوفى روحه.

ب - حميم:

الحميم: الماء الشديد الحرارة.

ج - تصلية:

صلى الشيء: ألقاه فى النار، وصلاه النار: احرقه وأصلاه النار وصلاه بها وفيها وعليها: شواه بالنار، وتصلية جحيم أى إحراق بالحميم.

د - برزخ:

البرزخ: الحاجز والحد بين الشيئين.

يدرك الانسان من هذه المرحلة ما فيها نهاية الحياة الدنيا وهو موات جميع أعضاء الانسان، وليست له وسيلة لفهم ما بعد ذلك إلا بما أخبرت به الانبياء، فإن كان ممّن صدّق الانبياء وآمن بهم في ما أخبروا به عن صفات الله وما جاءوا به من شريعة إلهية، آمن بما أخبروا به عن عالم الآخرة مرحلة بعد أخرى، ولا يمكن قياس ما أخبرت به الانبياء عن الآخرة بما رآه وعرفه في الحياة الدنيا، فإنّ ما وهبه الله من وسائل المعرفة خاصّة بهذه الحياة، ولا مجال لعملها في ما أخبرت عنه الانبياء عن الآخرة وكما ذكرناه سابقاً، ومن الأحاديث التي وردت عن آثار الأعمال عند الممات ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال:

«صوم رجب يهوّن سكرات الموت» (3).

وعن أبي عبد الله الصادق أنّه قال:

«من مات ولم يحجّ حجة الاسلام دونما مانع يمنعه فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانياً» (4).

4 - كيف يُجزى الانسان بآثار عمله في القبر؟

قد حفلت كتب الحديث بما يلقاه الميت في قبره من سؤال الملكين عن عقائده (5) وما يتلقاه من آثار سوء خلقه وحسن خلقه وسائر أعماله، وأنّ القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النار (6).

وأنّه يعذب من كان يمشى بالنميمة ولا يستتر عن البول (7).

ويثاب من حسنت أخلاقه بدءاً من القبر حتى سائر مراحل يوم القيامة (8).

ومن أتمّ ركوعه لم يدخله وحشة في قبره (9).

5 - كيف يُجزى الانسان بآثار عمله في المحشر

أ - عند نفخ الصور:

يبدأ يوم المحشر بنفخ الصور للمحشر للحساب، والصور في اللغة العربية شيء كالقرن يُنفخ فيه فيكون له صوت، قال سبحانه:

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (الزمر / 68).

الصعق هنا صوت أثره الموت، وجاء في الحديث ما موزجه: انّ النفخ مرتان: الأولى: ينفخ الملك إسرافيل في الصور، فيموت جميع من في السموات والارض إلا من شاء الله وهم حملة العرش وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، فيقول الله لملك الموت: من بقى؟ وهو أعلم! فيقول: يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل! فيقول عز اسمه: قل لجبرائيل وميكائيل: فليموتا، فيقبض روحيهما فيقول الله لملك الموت: من بقى؟ وهو أعلم! فيقول: يارب! لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش! فيقول: قل لحملة العرش فليموتا فيقبض أرواحهم فيقول له: يا ملك الموت من بقى؟ فيقول: لم يبق إلا ملك الموت، فيقول: مت يا ملك الموت! فيموت ثم ينادى الجليل: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك ينادى الجبار جلّ جلاله مجيبا لنفسه: «لله الواحد الاحد». ثم ينفخ حين يشاء في الصور ثانية كما قال سبحانه: ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون(10) .

وقال سبحانه عن النفخة الثانية:

أ - (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) (الكهف / 99).

ب - (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ) (النحل / 87).

ج - (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ* إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ* فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (يس / 51 - 54).

أتوه داخرين: أى أذلاء. والاجداث: القبور. وينسلون: ينفصلون، يجمعهم ويحشرهم جميعا كما قال سبحانه:

أ - (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) (الكهف / 47).

ب - (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا) (طه / 102).

ج - (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) (مريم / 85).

شرح الكلمات

زُرْقًا لونه: صار إلى لون بين السواد والبياض فهو أزرق وجمعه: زرق. والمعنى هنا: زرق الابدان بمكابدة الشدائد أو عميا أو عطاشا.

وفدا:

وفد وفدا على الملك ونحوه: قدم عليه قاصدا اعطاءه، أو فى طلب حاجة فهو وفد، والجمع: وفد ووفود.

ب - مشاهد يوم القيامة:

أخبر الله سبحانه عن مشاهد يوم القيامة وقال تعالى:

أ - فى سورة المطففين:

(...مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الآيات 4 - 6).

ب - فى سورة النبأ:

(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (الآية 38).

ج - فى سورة الجاثية:

(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (الآية 22).

د - فى سورة الاسراء:

(وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) (الآيتان 13 و14).

هـ - فى سورة الجاثية:

...كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * ... وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَّا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ * ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (الآيات 28 - 29 و33 - 35).

و - فى سورة الحاقة:

(فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ * ... * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ) (الآيات 19 - 26).

ز - فى سورة الانشقاق:

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ * فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا *...*) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (الآيات 7 - 11).

ح - فى سورة آل عمران:

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الآية 180).

ط - فى سورة غافر:

(وَيَوْمَ يَقُومُ الشَّهَاد... (الآية 51).

ى - فى سورة النحل:

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) (الآية 89).

ك - فى سورة فصلت:

(... حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ... (الآيتان 20 - 21).

شرح الكلمات

أ - طَائِرُهُ: كناية عن عمله من خير أو شر.

ب - ثُبُورًا:

ثبر فلان: هلك، ودعوة الثبور: ما ينادى به الواقع فى شدة ويطلب الموت ويقول: واثبورا!

ج - سَيُطَوَّقُونَ:

طوقه: جعل فى عنقه طوقا من ذهب وما شابهه، ويطوقون ما بخلوا به معناه: تجسيد لبخله فى أداء الحقوق فى المال على صورة حية فى رقبتة كما فى مفردات الراغب.

د - الشهيد والشهاد:

شهد على كذا: أخبر به خبرا قاطعا فهو شهيد، والشهاد جمع الشاهد مثل الاصحاب جمع
الصاحب، وهم الانبياء ومن معهم حين يشهدون على أممهم وكل ما يشهد بما صدر من الانسان من
عمل.

وورد فى الآثار عن آثار الاعمال فى يوم القيامة:

أ - عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

«أطولكم قنوتا في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف» (11) .

ب - عن الوصى أنه قال:

«إذا سجد أحدكم فليباشر بكفيه الارض لعلَّ يصرف عنه الغلَّ يوم القيامة» (12) .

ج - عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من بغى على فقير أو تطاول عليه واستحقره حشره الله يوم القيامة مثل الذرة على صورة رجل

يدخل النار» (13) .

د - عن أبي عبد الله (ع):

«إنَّ المتكبرين يجعلون في صورة الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب» (14) .

الذر: صغار النمل وواحدة: الذرة.

6 - كيف يُجزى الانسان بآثار عمله فى الجنة والنار

إنَّ اللهَ يَجْزِي الْإِنْسَانَ فِي الْآخِرَةِ حَسَبَ عَمَلِهِ بِالنَّعِيمِ، وَيَجْزِيهِ كَذَلِكَ بِالْعَذَابِ بِتَجْسِيدِ أَعْمَالِهِ
التي صدرت منه فى الحياة الدنيا، وأخبر الله عن ذلك فى قوله تعالى:

أ - فى سورة الحج:

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...) (الاية 23).

ب - فى سورة غافر:

(... وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بغير

حساب) (الاية 40).

ج - فى سورة النساء:

(... مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) (الايتان 123 - 124).

د - فى سورة الزمر:

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْمُتَكَبِّرِينَ*...* وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ*...* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...) (الايات

60 و 70 - 73).

هـ - فى سورة الزخرف:

(الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ* ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) (الايتان 69 -

70).

(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*... إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ*..

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) (الايات 72 و 74 و 76).

و - فى سورة التوبة:

(... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمَى

عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

تَكْنِزُونَ) (الايتان 34 - 35).

روى الصدوق بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال:

أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى ينادون بالويل والثبور:
رجل عليه تابوت من حجر فأنه مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء ولا
مخلصا.

ورجل يجرّ أمعاءه، فأنه كان لا يبالي أين أصاب البول جسده.
ورجل يسيل فوه قيحا ودما، فأنه كان يحاكي فينظر كل كلمة خبيثة فيفسد بها ويحاكي بها.
ورجل يأكل لحمه، فأنه كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشى بالنميمة (15).
وأخبر الله سبحانه أن لكل من الجنة وجنات جهنم أبوابا وقال سبحانه:
أ - في سورة (صلى الله عليه وآله وسلم):
(... وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٥٠﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّمَّتَةٍ مَفْتُوحَاتٍ لَهُمْ فِيهَا الْأَبْوَابُ) (الآيتان 49 و50).
ب - في سورة الحجر مخاطبا إبليس - لعنه الله :-
(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٥٠﴾... ﴿٥١﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ
مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) (الآيتان 42 - 44).

شرح الكلمات

أ - تقيرا:

التقير: النقطة التي في وسط نواة التمر ومنها تنبت النخلة، ويضرب بها المثل في الشيء الذي لا
قيمة له.

ب - مَثْوًى:

ثوى ثواء، الثواء: الإقامة مع الاستقرار، ومثوى: اسم مكان من الثواء.

ج - زُمْرًا:

الزمرة: الفوج والجماعة، والجمع: الزُمُر.

د - مآب:

آب إليه أو با ومآبا: رجع رجوعا.

هـ - جنات عدن:

عدن بمكان كذا: استقر، وجنات عدن: أى جنات استقرار وثبات.

تفسير الايات بالروايات

ورد في تفسير الآية ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«ثمانية للجنة أبواب، وللنار سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض» (16).

وعن الامام علي (ع) أنه قال:

أتدرون كيف أبواب جهنم؟ قلنا كنعو هذه الابواب، قال: لا ولكنها هكذا: ووضع يده فوق يده وبسط يده فوق يده. وفي تفسير القرطبي بعده: بعضها فوق بعض وروى عن رسول الله: «أهل كل طبقة فيها» (17).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال في تفسير جزء مقسوم:

«لكل باب منهم - من أهل النار - جزء مقسوم يعذب كل جزء على قدر أعمالهم» (18).

وفي الختام نذكر بعض الاحاديث التي تشرح الايات السابقة وتبين آثار الاعمال جملة

وتفصيلاً:

أ - في أصول الكافي بسنده عن الامام جعفر الصادق (ع)، أنه قال:

«من أدخل على مؤمن سرورا خلق الله عز وجل من ذلك السرور خلقا فيلقاه عند موته، فيقول له: أبشِر يا ولي الله بكرامة من الله ورضوان، ثم لا يزال معه حتى يدخله قبره [يلقاه]، فيقول له مثل ذلك، فإذا بُعثَ يلقاه فيقول له مثل ذلك، ثم لا يزال معه عند كل هول يبشّره ويقول له مثل ذلك، فيقول له: من أنت رحمك الله؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلته على فلان» (19).

ب - في البحار نقلا عن معاني الاخبار للصدوق، بسنده عن أبي عبد الله الصادق، أنه قال:

«من نفّسَ عن مؤمن كربة نفّسَ الله عنه كربَ الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم» (20).

ج - في أصول الكافي عن الامام أبي الحسن (ع)، أنه قال:

«إن لله عبادا في الارض يسعون في حوائج الناس، هم الامنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سرورا فرّح الله قلبه يوم القيامة» (21).

د - في أصول الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق (ع)، أنه قال:

«ما قضى مسلمٌ لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى: على ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة» (22).

هـ - في ثواب الاعمال ما موجزه:

عن الامام جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (ع) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«وفي ثواب الاعمال، عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول: ما من مؤمن يصاب بمصيبة في الدنيا فيسترجع عند مصيبتة حين تفجأه المصيبة، إلا غفر الله له ما مضى من ذنوبه إلا الكبائر التي أوجب الله عليها النار، قال: وكلما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها وحمد الله، غفر الله له كل ذنب اكتسبه فيما بين الاسترجاع الاول إلى الاسترجاع الثاني إلا من الكبائر من الذنوب» (23).

استرجع: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي البحار عن الامام أبي عبد الله (ع)، قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قال الله تعالى: ما من عبد أريد أن أدخله الجنة إلا ابتليته في جسده، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا سلطت عليه سلطانا، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا ضيقت عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا شددت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا ذنب له حتى أدخله الجنة...» الحديث (24).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياهما كما تحات ورق الشجر» (25).

وفي رواية أخرى:

«ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» (26).

وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ما من مسلم يصيبه أذى شوكه فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» (27).

وفي صحيح البخاري ومسلم أحمد، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها

إلا كفر الله بها من خطاياها» (28).

كما إنَّ الله جعل لكلَّ عملٍ يصدر من الإنسان جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة، كذلك جعل الله لصبر الإنسان على المكاره والمصائب جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة، وقد أخبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّ الصبر يكون على ثلاثة أنواع، كما روى ذلك عنه وصيَّه الامام على، وقال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الصَّبْرُ ثلاثةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ المَصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ المَعْصِيَةِ» (29).

وقد أخبر الله في سورة الاعراف أنَّه جزي بنى إسرائيل بما صبروا في الحياة الدنيا، وقال تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) (الاية 137).

وأخبر عن جزاء الانواع الثلاثة من الصبر في سورة البقرة، وقال:

أ - (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (الايات 155 - 157).

ب - (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (الاية 177).

في هاتين الايتين من سورة البقرة: إنَّ المتقين هم الذين يعملون الصالحات ويتصفون بالانواع الثلاثة من الصبر.

ومن أنواع الصبر على الطاعة والمصيبة صبر المؤمنين على الاذى والسخرية لايمانهم بالله، كما أخبر الله تعالى عنه وقال:

أ - في سورة المؤمنون:

(إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ* فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ* إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) (الآيات 109 - 111).

ب - فى سورة القصص:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ* أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (الآيات 52 - 55).

وفى سورة الرعد بشرّ الذين صبروا وأقاموا الصلاة وقال سبحانه:

(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (الآيات 22 - 24).

شرح الكلمات

أ - يعرّشون:

المعنى هنا ما يدعمون به ملكهم.

ب - البأس والبأساء: الشدة والمكروه والحرب، والمقصود من البأساء هنا الشدة والمكروه، ومن البأس ساعة الحرب.

ج - يدرأون:

دراً: دفع، ودراً عنه الشر: دفعه.

أجر الصابرين وجزاؤهم فى الروايات:

فى البحار بسنده عن الصادق (ع)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا نُشِرَت الدّواوين، ونُصِبَت الموازين، لم يُنْصَبْ لاهل البلاء ميزان، ولم يُنْشَرْ لهم ديوان، وتلا هذه الآية (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (30).

وفى البحار بسنده عن الامام زين العابدين (ع)، قال:

«إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادى مناد أين الصّابرون ليدخلوا الجنة جميعا بغير حساب، قال: فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين يا بنى آدم؟ فيقولون إلى الجنة، فيقولون: وقبل الحساب؟ فقالوا: نعم، قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصّابرون، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله، حتّى توفّانا الله عزّ وجلّ، قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين» (31).

وفى ثواب الاعمال بسنده عن الامام أبى جعفر الباقر (ع)، أنّه قال:
«من لقي الله مكفّوا محتسبا مواليا لال محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقي الله ولا حساب عليه» (32).

مكفّوا: كفّ بصره وكفّ: ذهب فهو مكفوف.

كان لكم أمثلة ممّا يتلقّاه الانسان جزاء لعمله أو لصبره على المكاره. وفى ما يأتى ندرس بحوله تعالى توارث جزاء الاعمال.

8 - توارث جزاء العمل

أخبر الله سبحانه عن توريث الانسان جزاء عمله لعقبه، وقال سبحانه:
أ - فى سورة النساء:

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (الايتان 9 و10).

ب - سورة الكهف:

(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا *... * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ ...) (الايتان 77 - 82).

شرح الكلمات

أ - سديدا:

سدّ سدادا، السدّاد: الصواب من القول، وقولا سديدا أى صوابا موافقا للعدل والشرع.

ب - سعيرا:

سَعَرَ النار والحرب: أوقدهما وهيجهما، ونار سعير: موقدة مهيجة، والمراد بالسعير جهنم.

ج - ينقضّ:

نقض البناء: هدمه، ويريد أن ينقضّ: يريد أن ينهدم.

د - أشدّهما:

شدّ: قوى، ويبلغا أشدّهما أى يبلغا قوّتهما.

أعمال يبقى أثرها بعد حياة المتوفّى:

من الاعمال ما يبقى أثرها للانسان المتوفّى ويلحقه ضررها أو نفعها بعد حياته، كما جاء فى الخصال عن الامام أبى عبد الله الصادق (ع)، أنّه قال:

«ليس يتبع الرجل بعد موته من الاجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها فى حياته فهى تجرى بعد موته إلى يوم القيامة، صدقة موقوفة لا تورث، أو سنّة هدى سنّها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره، أو ولدٌ صالحٌ يستغفر له».

وشرحه فى حديث آخر، وقال (ع):

«ست خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولدٌ صالحٌ يستغفر له ومصحف يقرأ فيه، وقلبٌ يحفره، وعرسٌ يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنّة حسنة يؤخذ بها بعده» (33).

ذكرنا آثار العمل فى الدنيا والاخرة وتوارث آثار العمل، ومن آثار العمل منح ربّ العالمين لعبده حقّ الشفاعة كما سندرسه فى البحث الاتى بحوله تعالى.

(1) سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، آية 27.

(2) ثواب الاعمال، باب ثواب صوم رجب الحديث / 334.

(3) ثواب الاعمال للصدوق (131 - 132).

(4) ثواب الاعمال (537).

(5) راجع مادة نكر من سفينة البحار.

(6) راجع مادة قبر من سفينة البحار.

(7) ثواب الاعمال: ص 515، الحديث 1، وصحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ص 240 - 241، سنن الدارمي: كتاب الطهارة، باب الاتقاء من البول (1 / 188)، وسنن ابى

داود: كتاب الطهارة، باب الاستبراء من البول (1 / 34 - 35)، وسنن ابن ماجه: كتاب الطهارة، باب التشديد في البول 1 / 124 - 125، ومسند أحمد (1 / 225، 5 / 266، 417، 419)، وصحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (1 / 64)، وكتاب الادب، باب الغيبة (8 / 20)، وباب النميمة من الكبائر منه (8 / 21).

(8) ثواب الاعمال (/ 334)، باب ثواب ادخال السرور على الاخ المؤمن.

(9) سفينة البحار (1 / 524)، مادة ركع.

(10) تفسير الآية في الدر المنثور (5 / 336 - 337)، والبحار نقلا عن الكافي وغيره (6 / 326)

وقد أوردنا موجز الروايات.

(11) ثواب الاعمال ص 55.

(12) ثواب الاعمال ص 55 - 56.

(13) ثواب الاعمال، ص 655.

(14) ثواب الاعمال، ص 502، ح: 10.

(15) عذاب الاعمال ص 295 - 296.

(16) تفسير السيوطي (4 / 99 / 100).

(17) تفسير الآية في تفسير مجمع البيان والقرطبي والسيوطي.

(18) راجع المصدر رقم 21.

(19) أصول الكافي (2 / 191 - 192)، الحديث 12.

(20) البحار (6 / 355).

(21) أصول الكافي (2 / 197)، الحديث 2.

(22) أصول الكافي (2 / 194)، الحديث 7.

(23) البحار (82 / 127 - 128)، عن ثواب الاعمال ص 179.

(24) البحار (6 / 172)، عن كتاب التمهيد.

(25) صحيح البخاري (3 / 2 - 3)، كتاب المرضى باب شدة المرض.

(26) صحيح البخاري: كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض.

(27) صحيح البخاري (3 / 3)، كتاب المرضى، باب شدة المرض، صحيح مسلم، كتاب البر

والصلة والادب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه.

(28) صحيح البخاري (3 / 2)، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ومسند أحمد 3 /

180.

(29) البحار (82 / 139) نقلا عن مسكن الفؤاد، وراجع ص 136 منه.

(30) في البحار (82 / 145).

(31) في البحار (82 / 138).

(32) ثواب الاعمال ص 92 وص 464، واللفظ في الصفحة السابقة.

(33) الخصال للصدوق (1 / 73 و 157)، كما نقله المجلسي في البحار (6 / 293) عنه.

(11)

استحقاق الشفاعة جزاء لبعض الاعمال

شَفَعَ الشَّيْءُ شَفْعًا: ضَمَّ مثله إليه، وشفع له عند آخر شفاعة: طلب التجاوز عن سَيِّئَتِهِ كَأَنَّهُ ضَمَّ نفسه إليه معينا له فهو شافع وشفيع، والشفاعة أيضا كلام الشفيع فى هذا المقام، وقد قال الله سبحانه:

أ - فى سورة طه:

(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ...*...* يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) (الآيتان 102 و109).

ب - فى سورة مريم:

(لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) (الآية 87).

ج - فى سورة الاسراء:

(... عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) (الآية 79).

د - فى سورة الانبياء:

(... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى...) (الآية 28).

هـ - فى سورة الاعراف:

(الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا...*)
يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا... (الآيات 51 و53).

تفسير الآيات

يوم ينفخ فى الصور لا تنفع شفاعة أحد إلا من أذن الله له فى أن يشفع ورضى قوله من عباده الصالحين، وإنه لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا من الانبياء والاوصياء ومن دونهم من عباد الله الصالحين، وإن الشفاعة هى المقام المحمود الذى وعد الله خاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله وسلم).

وإنّ الانبياء لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله أن يشفعوا له، وفي ذلك اليوم يقول الذين غرّتهم الحياة الدنيا: (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا) وليس لهم من شفيع.

الشفاعة في الروايات

في البحار نقلا عن عيون الاخبار للصدوق؛ أنّ الامام الرضا (ع) روى عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع)، أنّه قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من لم يؤمن بحوضي - الحوض: الكوثر - فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي...» الحديث. وفي آخره سأل الراوى الامام الرضا (ع) وقال: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما معنى قول الله عزّ وجلّ: (ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى)؟ قال: «لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه» (1).

إنّ رسول الله قال (صلى الله عليه وآله وسلم):
«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى ربّ منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى (2) فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان».
وروى عن الامام على (ع) - أيضا - أنّه قال:
«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ثلاثة يشفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشفعون: الانبياء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء» (3).

وفي سنن ابن ماجة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
«يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء» (4).
وروى عن الامام أبى عبد الله الصادق (ع) حديث عن شفاعته رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم القيامة، جاء في آخره:
«... أنّ رسول الله يومئذ يخرُّ ساجدا فيمكث ما شاء الله، فيقول الله عزّ وجلّ: إرفع رأسك واشفع تُشَفِّعْ، وسلّ تُعْطَ. وذلك قوله تعالى:
(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)» (5).

وجاء تفصيل الخبر في تفسير ابن كثير وتفسير الطبرى وغيرهما بلفظ آخر (6).
وروى الترمذى، عن الامام الصادق (ع) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (7) .

نتيجة البحث

يفهم من مجموع الايات والاحاديث فى شأن الشّفاعة أنّ الشّفاعة يوم القيامة ليست لمن شاء كما شاء، بل تجرى وفق مشيئة الله الحكيم جزاء لاعمال جعلها الله أسبابا للشّفاعة، مثل أن يُقَصِّرَ العبدُ المسلم فى فريضة من فرائض الله، وفى مقابل ذلك كان فى حياته قد والى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وأخلص لهم الودّ فى قلبه لأنّهم أولياء الله، أو كان قد أكرم عالما لعلمه بالاسلام، أو أحسن إلى مؤمن صالح استشهد بعد ذلك، فيجازيه بعمل قلبه فى الحالة الاولى، وبعمل جوارحه فى الحالة الثانية، ما يكافأ به نقص عمله فى أداء تلك الفريضة. ومن آثار الاعمال السيئة حبط أجر الاعمال الحسنة كما سندرسها فى البحث الاتى بحوله تعالى.

(12)

حِطُّ الاعمال جزاء لبعض الاعمال

حِطُّ العمل أو الصنع يحِطُّ: بطل ولم يحقق ثمرته، ويحِطُّ عمل الانسان في الآخرة للأسباب الآتية:

أ - أن يصدر العمل من الانسان بقصد النفع الدنيوي فهو عندئذ يأخذ جزاء عمله في الدنيا كما أراد.

ومن هذا الصنف من لا يؤمن بالله والحياة الآخرة كما أخبر الله عنهم وقال سبحانه:
أ - في سورة الاعراف:

(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الآية 147).

ب - في سورة التوبة:

(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ) * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهْدِينَ) (الآيتان 17 و18).

ج - في سورة البقرة:

(... وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الآية 217).

د - في سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (الآيتان 32 و33).

ولا يقتصر حِطُّ الاعمال على الكافرين بل يشمل المسلمين - أيضا - للأسباب التي ذكرها الله وقال سبحانه:

أ - في سورة الحجرات:

(يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الاية 2).

ب - فى سورة البقرة:

(يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ...) (الاية 264).

وجاء فى الاحاديث ذكر كثير من أسباب حبط الاعمال، مثل ما رواه الصدوق فى ثواب الاعمال عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال:

«مَنْ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ) غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ) غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَجَرَنَا فِي الْجَنَّةِ لَكَثِيرٌ، قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ إِيَّاكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا عَلَيْهَا نِيرَانًا فَتُحْرِقُوهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)» (8) .

وروى مسلم وغيره واللفظ لمسلم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال: أ - «إِنَّ فِرْطَكُم عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَ، وَلِيرِدَنَّ عَلَى أَقْوَامٍ أَعْرَفَهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يَحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».

وفى رواية فيقول - الرسول - : «إِنَّهُمْ مَنِي، فيقال: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ». وفى رواية أخرى أنه قال:

«لِيرِدَنَّ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحِبْنِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَلَا قَوْلَ لِي أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فيقالنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» (9) .

وفى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«إِنَّ الْمُرَائِيَّ يُدْعَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءَ: يَا كَافِرًا! يَا فَاجِرًا! يَا غَادِرًا! يَا خَاسِرًا! حَبَطَ عَمَلُكَ، وَبُطِلَ أَجْرُكَ وَلَا خَلَقَ لَكَ الْيَوْمَ، فَالْتَمَسَ أَجْرَكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ» (10) .

الخلاص: الحظ والنصيب من الخير.

خلاصة البحث:

ذكرنا إلى هنا أمثلة مما يجزى ربّ العالمين صنف الانسان من الخلق بآثار عمله. وفي ما يأتي نذكر بحوله تعالى مشاركة الجنّ للانس في ما يتلقاه من ربّ العالمين في جزاء عمله.

(13)

مشاركة الجنّ للانس في جزاء الاعمال يوم القيامة

الجنّ

قد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عمّا جزى الشيطان بتمرّده على أمره وعدم سجوده لادم في الدنيا، وأخبرنا عن مآل أمرهم يوم القيامة:

أ - في سورة الانعام بقوله تعالى:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ...).

(يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) (الايات 128 - 130).

ب - في سورة الجنّ في حكاية وصف الجنّ لقومهم: بقوله تعالى:

(وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا* وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (الاياتان 14 و15).

ج - في سورة الاعراف بقوله تعالى:

(قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ* وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لَأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) (الاياتان 38 و39).

د - فى سورة هود:

(... وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (الاية 119).
كان ذلكم ما جاء فى القرآن الكريم من أمر مجازاة الله للجنّ بأعمالهم فى الدنيا والاخرة، ولم يأتِ تفصيل شأنهم يوم القيامة كما جاء شأن الانس يوم الجزاء.
خلاصة البحث:

كما أنّ الانسان يحصد ما عمله فى زرع القمح والشعير وسائر الحبوب والخضروات بعد شهور، ويجنى ثمر عمله فى غرس أنواع الاشجار بعد سنوات ثمّ يتناول رزقه من نتائج أعماله تلك مع ذلك بقوله تعالى:

أ - (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...) (المائدة 88، والنحل 114).

ب - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ...) (البقرة 72).

ج - (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَأَيَّاكُمْ...) (الاسراء 31).

وذلك لانّ مثل الانسان فى ذلك كلّه مثل إنسان يدخل مطعم (سلف سروييس) إخدم نفسه بنفسك، فإنّ المضيف فى مثل هذا المطعم يطعم ضيفه ويرزقه من أنواع الطعام ما يختاره الضيف لنفسه بكامل حرّيته وإنّ الضيف لا يأكل شيئاً مالم يتّخذ لنفسه ممّا أعدّه المضيف من الاوانى والملاعق ولم يتقدّم بنفسه إلى الموائد ولم يأخذ منها ما يشتهيهِ وتقع التبعة عليه إذا أضرّ نفسه بالاسراف فى الاكل أو أكل ما يضرّه، وكذلك شأن الانسان فى ما يجتنيه من آثار عمله المعنوية، فإنّه يستوفى آثار عمله عاجلاً فى الحياة الدنيا دون الاخرة؛ مثل آثار صلة الرّحم للانسان الكافر، أو آجلاً بعد الموت؛ مثل آثار الاستشهاد للمؤمن، أو يستوفىها عاجلاً وآجلاً معاً؛ مثل آثار عمل صلة الرّحم التى يستوفى الانسان المؤمن آثارها فى الدنيا والاخرة.

وبناء على ما ذكرنا يستوفى الانسان قيمة عمله الحسن المعنوى كما يستوفى قيمة عمله الحسن المادى عاجلاً أو آجلاً أو عاجلاً وآجلاً معاً، وكذلك الشأن فى أخذ الانسان قيمة عمله السيّء.

وإن استحقاق بعض الاناسى للشفاعة يوم القيامة، وإذن الربّ لآخرين بالشفاعة - أيضا -
تحصّلات لكلّ منهما نتيجة لعمل قام به كل منهما فى الدنيا.
وكذلك حبط بعض أعمال الاناسى يوم القيامة تكون نتيجة لبعض أعمالهم فى الدنيا وصدق الله
العظيم حيث يقول: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى).
وقد أخبر القرآن أنّ صنف الجن - أيضا - كالانس يستوفون جزاء عملهم فى الحياة الاخرة.
وإنّ كلّ ما ذكرناه يجرى وفق تقدير حكيم لربّ العالمين، وهى جميعا بعض صفات ربّ
العالمين، وسندرس بحوله تعالى صفات أخرى لربّ العالمين.

(14)

من صفات ربّ العالمين وأسمائه

أوّلا - ذو العرش وربّ العرش.
ثانيا - الرّحمن.
ثالثا - الرّحيم.
رابعا - الاسم.
صفات ربّ العالمين وأسماءه
فى القرآن الكريم صفات خاصّة بالله منها ما تظهر آثارها فى الدنيا، ومنها ما تظهر آثارها فى
الاخرة، ومنها ما تظهر آثارها فيهما معا، وندرس منها فى ما يأتى: ربّ العرش = ذو العرش
والرّحمن والرّحيم بإذنه تعالى ونقول:

أوّلا - ذو العرش وربّ العرش

مما جاء فيه ذكر عرش الله فى القرآن الكريم المواضع التالية:
أ - فى سورة هود:
(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا...) (الاية 7).
ب - فى سورة يونس:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ...)
(الاية 3).

ج - فى سورة الفرقان:

(الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمان فُسئل بهِ
خبيرا)(11) (الاية 59).

د - فى سورة غافر:

(... الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبُّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) (الاية
7).

هـ - فى سورة الزمر:

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الاية 75).

و - فى سورة الحاقة:

(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) (الاية 17).

ثانيا - الرحمن

قال سبحانه:

أ - فى سورة طه:

(وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ) (الاية 90).

ب - فى سورة الانبياء:

(وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ) (الاية 112).

ج - فى سورة النبأ:

(رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ) (الاية 37).

ثالثا - الرحيم

أ - قال سبحانه فى سورة (يس):

(سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) (الاية 58).

ب - فى سورة الشعراء:

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الايات 9 و68 و104 و122 و140 و159 و175 و191).

ج - وجاء الاسمان كلاهما جميعا فى سورة الفاتحة فى قوله تعالى:

(... رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الاياتان 2 و3).

شرح الكلمات

أ - العَرْشُ:

العرش، فى اللغة شىء مُسْتَقْفٌ، وجمعه عروش، وسمى مجلس السلطان: عَرْشًا، اعتبارًا بعلوه،

وكنى به عن العِزِّ، والسُّلْطَانِ، والمملكة، فى لسان العرب: ثلَّ اللَّهُ عَرْشَهُمْ أى هَدَمَ مُلْكَهُمْ (12) .

وفى هذا المعنى قال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلَّتْ عروشهم وأودتْ كما أودتْ إيادُ وحِميرُ أراد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم
وبادوا (13) .

ب - استوى:

جاء فى مادة (سوى) بكلِّ من:

أ) كتاب (التحقيق فى كلمات القرآن) (14) :

الاستواء يختلف باختلاف المواضع، ففى كل موضع بحسبه وعلى ما يقتضيه.

ب) مفردات الراغب:

استوى فلان على عمالته، واستوى أمر فلان، ومتى عُدِّيَ بعلَى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله:

(الرحمنُ عَلَى العَرْشِ استَوَى) (طه / 5).

ج) المعجم الوسيط:

يقال استوى على سرير المُلك، أو على العرش: تولى المُلك.

كما قال الاخلط فى مدح بشر بن مروان الاموى:

قد استوى بِشْرٌ عَلَى العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق (15) .

ثانيا وثالثا - الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

جاء فى معاجم اللغة: رَحِمَهُ رَحْمًا ورُحْمًا ورَحْمَةً ومَرَحْمَةً: رَقَّ له قلبه.

قال الراغب ما موجزه:

الرَّحْمَةُ: رَقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الرَّقَّةِ الْمَجْرَدَةِ وَتَارَةً فِي الْإِحْسَانِ الْمَجْرَدِ عَنِ الرَّقَّةِ نَحْوَ رَحِمَ اللَّهُ فَلَانَا.

وإذا وصف به البارى فليس يراد به إلاّ الاحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا رؤى أنّ الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الادميين رقة وتعطف... والرحمن والرحيم مثل ندمان ونديم. ولا يطلق الرحمن إلاّ على الله تعالى من حيث أنّ معناه لا يصحّ إلاّ له، إذ هو الذى وسع كلّ شيء رحمةً.

والرحيم يستعمل فيه وفى غيره، وهو الذى كثرت رحمته، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وقال فى صفة النبىّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فى سورة التوبة: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الاية 128).

وقيل إنّ الله تعالى هو رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَرَحِيمُ الْآخِرَةِ، وذلك أنّ إِحْسَانَهُ فِي الدُّنْيَا يَعْمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَفِي الْآخِرَةِ يَخْتَصُّ بِالْمُؤْمِنِينَ، وعلى هذا قال فى سورة الاعراف: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...) (الاية 156).

تنبيهها أنّها فى الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ وَفِي الْآخِرَةِ مَخْتَصَةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

وفى تاج العروس ما موجزه:

الرَّحْمَنُ اسم خاصّ بالله لا يسمّى به غيره، لأنّ رحمته تشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرّزق والنّفع، والرّحيم اسم عام لجميع من اتّصف بالرحمة. قال: (وهذا معنى قول جعفر الصادق (ع): الرَّحْمَنُ اسم خاصّ لصفة عامّة، والرّحيم اسم عامّ لصفة خاصّة) وَيُؤَيِّدُ مَا ذَكَرُوا مَجِئَ الرّحيم فى القرآن الكريم قرينا بالغفور وبالبرّ والرؤوف والودود والتّوابع فى سبعة وأربعين موردا (16) .

وجاء الرّحمن فى سورة الرّحمن اسما وصفة لمن أنعم على الانسان بعد خلقه وتعليمه البيان بنعمة الهداية بالقرآن، وخلق الارض لمنفعته مع ما فيها من فاكهة ونخل وحبّ وريحان ثمّ قال مخاطبا الثقلين: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، وبعد الاشارة إلى بعض آلائه فى الدنيا ذكر بعض آلائه

فى الآخرة بقوله: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) إلى آخر السورة حيث ختم السورة بقوله تعالى:
(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).

تفسير الايات

بعد أن عرفنا أن (العرش) كُنِيَ به فى لغة العرب عن السلطان والمملكة وأن (استوى) متى عُذِّيَ
بعلی اقتضى معنى الاستيلاء، وأنه يقال: استوى على سرير الملك أو على العرش تولى الملك،
وراجعنا الموارد السبعة التى جاء فيها ذكر الاستواء على العرش عُذِّيَ جميعها بعلی وأنه جاء فى
سورة يونس الآية (3): (استوى على العرش يدبر الامر)، وفى سورة السجدة الآية 4 و 5 (ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ... يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)، وفى سورة الرعد الآية (2) (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ... يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)
حيث جاء التصريح فيها بأنه استوى على العرش يدبر الامر فى ملكه، وفى سورة الاعراف الآية
(54) ذكر فعل التدبير فى قوله تعالى: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ)، وفى سورة الحديد
الآية (4) كُنِيَ عن ذلك بقوله تعالى: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ...) فهو عالم بكل
ما يجرى فى ملكه.

ومن هنا نعرف أن معنى قوله تعالى فى سورة الفرقان الآية (59) (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
الرَّحْمَنُ) أنه يعامل مَنْ فى ملكه بما تقتضيه رحمته، وأكد ذلك فى قوله تعالى فى سورة طه الآية
(5): (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى).

وبناء على ذلك يكون معنى قوله تعالى فى سورة هود الآية (7) (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) أنه لم يكن فى ملكه قبل خلق السموات والارض غير الماء الذى
هو أعلم بحقيقته.

ويكون المقصود من قوله تعالى (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) فى سورة غافر الآية (7) الملائكة الذين
جعل منهم رسلا (17) وجعل منهم من يمد بهم الانبياء، ومن ينزلون بالعذاب على من استحقوا
العذاب من الامم (18)، مثل قوم لوط، ومنهم من يتوفون الانفس، إلى غير ذلك من أعمال تقتضيها
ربوبية الله تعالى فى عالمنا هذا.

ويكون المقصود مَنْ قوله تعالى فى سورة الحاقة الآية (17): (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ
ثَمَانِيَةَ) أن الملائكة الذين يُنْفَذُونَ أوامر الربوبية يوم القيامة ثمانية أصناف.

رابعاً - الاسم

جاء الاسم فى المصطلح القرآنى بمعنى صفات الشئ وخواصه المبيّنة لحقيقته.
وبناء على ذلك فإن قوله تعالى: (عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أى عَلَّمَهُ خَوَاصَّ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا والعلوم كُلَّهَا ما عدا علم الغيب الذى لا يشارك الله فيه أحدٌ إِلَّا مَنْ خَصَّهَ اللَّهُ بتعليمه ما شاء من أنباء الغيب.

ومعنى: (وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ) (النحل 14) أَنَّهُ سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا لِنَنْتَفِعَ مِنْهُ وَهُوَ مِنْ مَوَاضِعِ تَعْلِيمِ آدَمَ (ع)، كما أَنَّ معنى ما ذكره الله قبل هذه وقال:

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً...) (الآيات 5 - 8).
أَنَّهُ سَخَّرَهَا لَنَا وَعَلَّمَنَا كَيْفَ نَنْتَفِعُ مِنْهَا لِلْأَكْلِ وَالْدَفِّ وَالرُّكُوبِ وَحَمْلِ الْأَثْقَالِ.

وقال فى سورة الزخرف:

(وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) (الآيتان 12 - 13).

فكما أَنَّهُ هُوَ الَّذِى عَلَّمَنَا أَنَّ نَنْتَفِعُ مِمَّا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَسَخَّرَهُ لَنَا بِمَقْتَضَى رَبوبيته، كذلك فَأَنَّهُ هُوَ الَّذِى أَوْحَى إِلَى النَّحْلِ - أَى أَلْهَمَهَا - أَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الْجِبَالِ بَيُوتًا وَتَجْرُسَ مِنَ الزَّهْرِ النُّورَ وتعمل العسل، وهو الذى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِلْأَسْمَاكِ وَعَلَّمَهَا غَرِيزًا كَيْفَ تَنْتَفِعُ مِنْهُ، وهكذا سَخَّرَ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ خَلْقِهِ مَا يَحْتَاجُ مِنْ سَائِرِ مَا خَلَقَ، وَعَلَّمَهُ خَوَاصَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِى يَحْتَاجُهَا، وبعبارة أُخْرَى عَلَّمَ النَّحْلَ أَسْمَاءَ مَا يَحْتَاجُهُ لِأَدَامَةِ حَيَاتِهِ، وَعَلَّمَ الْحَيْتَانَ أَسْمَاءَ مَا تَحْتَاجُهُ لِأَدَامَةِ حَيَاتِهَا وَسَخَّرَهُ لَهَا.

أَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عِنْدَمَا أَتَمَّ خَلْقَهُ: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) فَقَدْ عَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (الآية 13).

وقال في سورة لقمان:

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (الاية 20).

وبناء على ذلك فإنَّ الربَّ الرحمن قد هدى كل صنف من خلقه إلى الانتفاع بما يحتاجه من سائر الخلق، وجعل الخلق الذي يحتاجه هذا الصنف سخرىاً له وذلك بتعليمه تكوينياً بما وهبه من عقل خواصَّ جميع الاشياء إذا سعى وجاهد في تعلُّمها، وسخَّرَ له جميع المخلوقات ليتَّخذها سخرىاً له، فإذا سعى جاهدا لتعلُّم خواصِّ الذرَّة، تعلَّم خواصَّها، ولمَّا كانت ممَّا سُخِّرَ للانسان فقد استطاع أن يفلقها ويستعملها في تحقيق أهدافه. كما علَّمه خواصَّ النار والكهرباء وغيرهما من العلوم الفيزيائية والكيميائية، وسخَّرها له ليصنع من اصناف الفلزات سفينةً فضائيةً يمتطيها من جانب من الارض إلى جانب آخر.

ولمَّا كان هذا الانسان بحاجة إلى من يهديه كيف ينتفع بما سَخَّرَ له من الخلق ولا يستعمل ما علَّمه وما سَخَّرَ له في ما يضرُّ به نفسه ويهلك به الحرث والنسل فقد أرسل الربُّ الرحمنُ الانبياء كي يهدوه كيف يعمل في ما علَّمه وسخَّرَ له.

وبناء على ذلك فإنَّ من آثار رحمة الربِّ الرَّحْمَان إرسال الانبياء وإنزال الكتب وتعليم الناس، وجأ بيان ذلك في سورة الرحمن مع تفسير لفظ الرحمن وجملته: (الرحمنُ على العرشِ استوى) حيث قال سبحانه وتعالى في سورة الرحمن:

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ).

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ).

إذا فإنَّ من آثار رحمة الرحمن للانسان تعليمه القرآن خاصّة والبيان عامة.

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (مريم 93).

(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ).

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا - رَبُّ الرَّحْمَنُ - وَوَضَعَ الْمِيزَانَ).

(... وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْإِنْسَانِ).

(فيها فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الاكمام * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلى

قوله في آخر السورة (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).

وإنَّ الربَّ هو الذي:

(يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (سبأ 36 و 39).

وكلّ ما ذكر من آثار رحمة الرب في الدنيا تعمُّ الناس أجمعين مؤمنين وكافرين. وبناء على ما ذكرناه فالرحمن من صفات الرب في الدنيا، وهي تعمُّ الخلائق أجمعين، ثمّ الناس مؤمنين وكافرين. ولَمَّا كان الربُّ يَهْدِي الناس بوسيلة الوحي إلى الرسل فإنّ القرآن يسند الوحي إلى الربِّ ويقول:

(... ذلكَ ممَّا أوحى إليك ربُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) (الاسراء 39).

(اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) (الانعام 106).

وكذلك يسند إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الرب، كما أخبر عن هود (ع) أنّه قال لقومه:
(يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي...) (الاعراف 67 - 68).

وعن نوح أنّه قال لقومه:

(يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي...) (الاعراف 60 - 61).

وعن موسى (ع) أنّه قال لفرعون:

(يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الاعراف 104).

وفي إنزال الكتب يقول:

(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ) (الكهف 27).

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (السجدة 2).

(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * ... تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الواقعة 77 و 80).

ويسند الامر إلى الربِّ، قال تعالى:

(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ، وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (الاعراف 29).

ومن ثمّ تكون الطاعة لاوامر الرب.

كما أخبر الله تعالى عن خاتم الانبياء والمؤمنين وقال:

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ... قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا...) (البقرة

.(285)

ولمّا كانت الرسل هي التي تبليّغ أوامر الربّ فقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعتهم وقال:
(أطيعوا الرّسولَ ولا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (محمّد 33).

وكذلك تكون المعصية معصية لاوامر الربّ كما قال سبحانه:
(فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) (الكهف 50).
وقال عزّ من قائل:

(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) (الاعراف 77).
وأحيانا يسقط لفظ الامر كما قال سبحانه وتعالى:
(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه 121).

ولمّا كانت الرسل تبليّغ أوامر الربّ فإنّ معصيتهم تعتبر معصية للربّ كما أخبر الله عن فرعون
وقومه ومن كان قبلهم، وقال:
(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) (الحاقة 10).

وبعد المعصية قد يتوب العبد ويستغفر ربّه فيتوب عليه كما أخبر عن ذلك سبحانه وقال:
(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) (آل عمران 16).
(وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) (آل عمران 147).
(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) (آل عمران 193).
وقال في سورة القصص يحكى عن موسى أنّه قال:
(... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ) (الاية 16).

ومن ثمّ فإنّ من صفات الربّ: الغفور والغفار كما قال سبحانه وتعالى في سورة الاعراف:
(وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الاية 153).
وحكى في سورة نوح (ع) أنّه قال لقومه:
(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (الاية 10).

وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة:
(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (الاية 37).
أمّا من لم يستدرک المعصية بالتوبة فإنّ الربّ سيجازيه على عمله كما قال سبحانه وتعالى في
سورة البينة:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... فِي نَارِ جَهَنَّمَ... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ... ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (الآيات 6 - 8).

وجزاء الربّ للأعمال قد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة، وقد يكون في كليهما، ويسند القرآن جميعها إلى الرب، كما قال الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ:

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ يَبْدُلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) (الآيات 15 - 17).

وأما الجزاء فيكون بعد الحشر والحساب يوم القيامة، ويسند القرآن الحشر والحساب إلى الربّ ويقول في سورة الحجر:

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) (الآية 25).

وقال سبحانه في سورة الأنعام:

(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الآية 38).

وقال سبحانه وتعالى في سورة الشعراء:

(إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) (الآية 113).

وبعد الحساب إمّا ان يكون من المؤمنين الذين تتداركهم رحمة الله، كما قال سبحانه وتعالى في

سورة مريم:

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) (الآية 85).

وتختص رحمة الربّ يومئذٍ بالمؤمنين ولذلك يسمّى: (الرحيم) ويأتى (الرحيم) في الذكر بعد

(الرحمن) كما قال سبحانه:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة 2 - 3).

لأنّ فعل الرحمن يعمُّ مَنْ في هذا العالم وما فيه وفعل الرحيم يخصُّ المؤمنين يوم القيامة. وإن لم يكن من المؤمنين وحقّت عليه كلمة العذاب يوم القيامة؛ فقد أخبر الله سبحانه عن امره في سورة النبأ فقال:

(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَأْبَا * ... جَزَاءُ وِفَاقًا * ... إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ

وَأَعْنَابًا * ... جَزَاءُ مَنْ رَبَّكَ عَطَاءَ حِسَابًا) (الآيات 21 - 36).

ومن ثمَّ يسمَّى الربُّ: (مالكِ يومِ الدِّينِ) كما قال سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (الآيات 2 - 4).

وبناء على ما ذكرنا فإنَّ الربَّ هو الرحمن وهو الرحيم وهو التَّوَّابُّ وهو الغَفَّار وهو الرِّزَّاق.

نتيجة البحث:

في سورة الاعلى بيّن القرآن أنَّ ربَّ الخلق هو الذى خلقهم ثمَّ سَوَّاهم أى هيَّاهم لقبول الهداية ثمَّ قَدَّرَ حياة كل واحد من الخلق ثمَّ هداهم، وأخيرا ضرب مثلا بمرعى الحيوان ممَّا خلق وقال ما معناه أنَّ الربَّ هو الذى أخرج مرعى الحيوانات وربَّاه حتى بلغ درجة كماله حيث جعله غنَّاء أحوى نباتا يابساً بعد أن كان شديد الخضرة، وفي سورة الرَّحْمَنِ التى جاءت آياتها كلّها فى وصف الربوبية بدأ بذكر جانب من صفة الربوبية مع صنف الانسان، حيث قال تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ عُلْمَهُ الْبَيِّنَ) أى هيَّاه لقبول الهداية بوسيلة البيان.

في سورة العلق بيّن جانباً من صفات الربوبية مع صنف الانسان، حيث قال: خلق الانسان وعلمه بالقلم أى هيَّاه لقبول الهداية بوسيلة القلم.

وكلتاهما شرح لكلمة (فسوى) فى سورة الاعلى.

وفى سورة الشورى والنساء وآل عمران فصل كيفية هداية الربَّ للانسان، وقال شرَّع للانسان الدِّين وأوحى به فى كتبه إلى أنبيائه.

وفى سورة يونس والاعراف قال أنَّ ربَّكم هو الله الذى خلق السماوات والارض وهداهما تسخييراً.

وفى سورة الانعام بعد ذكره أنواع الخلق فى الآيات: (95 - 101) قال فى آية (102): (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ...).

(1) البحار (8 / 34).

(2) مسند أحمد 2 / 174، وما جاء فى النص فيشفعني خطأ.

(3) البحار (8 / 34).

(4) سنن ابن ماجة فى باب ذكر الشفاعة، الحديث (4313).

(5) البحار (8 / 36).

(6) راجع تفسير الآية فى تفسير الطبري (15 / 97 - 99)، وتفسير القرطبي (10 / 209 - 312)، وابن كثير (3 / 55 - 58)، والبخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة الاسراء، باب قوله: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)، (3 / 102).

وفى سنن ابن ماجة: الحديث (4312)، وسنن الترمذي (9 / 267)، كتاب صفة القيامة، باب (فى الشفاعة).

(7) كتاب صفة يوم القيامة.

- (8) ثواب الاعمال للشيخ الصدوق (ت 381) ط. طهران، ترجمة غفاري ص 32، والاية 33 من سورة (محمد).
- (9) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، الحديث 26 و27 و28 و32 و40.
- (10) البحار (72 / 295) عن أمالي الصدوق 346.
- (11) ورد نظيرها في سورة الاعراف (54)، والحديد (4)، والسجدة (5).
- (12) مادة (العرش) من مفردات الراغب، والمعجم الوسيط ومادة تَلَل من لسان العرب.
- (13) البحار (58 / 7).
- (14) كتاب التحقيق في كلمات القرآن: تأليف الأستاذ حسن المصطفوي، ط. طهران 1400 هـ.
- (15) بشر بن مروان، أخو الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان، وواليه على العراق سنة: 74 هجرية، توفي في البصرة.
- راجع ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر.
- وذكر شعره: القاضي عبد الجبار في كتاب: تنزيه القرآن، ط. القاهرة 1329 هـ، ص: 157 و159.
- وعبد الرحمن الايجي (ت: 756 هـ) في كتابه: المواقف، ط. القاهرة 1357 هـ، ص: 297، وفيه ورد: عمرو بدل بشر.
- (16) راجع المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة (رحم).
- (17) راجع سورة الحج الاية (75) وسورة فاطر الاية (1).
- (18) راجع سورة الانفال (9) وينزل معهم العذاب على الكافرين.

صفات الربّ وأفعاله

للربّ في المصطلح القرآني صفات خاصّة به، ومنها ما تظهر آثارها في الدنيا ومنها ما تظهر آثارها في الآخرة، ومنها ما تظهر آثارها في الدنيا والآخرة، ومن تلك الصفات: الرَّحْمَنُ، قال الله تعالى في سورة طه: (إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ...).
والرَّحْمَنُ مشتقٌّ من الرحمة.

وقد وصف الله آثاره في الدنيا وقال في سورة طه:

(... خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (الآيتان 4 - 5).

وقال تعالى في سورة الفرقان:

(الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ) (الآية

59).

إذا فإنَّ الرَّحْمَنُ هو الذي استولى على عرش القدرة يربّ العالمين أجمعين برحمته الواسعة، ومن آثار رحمته هداية الخلق أجمعين إلى ما يبلغهم إلى درجة الكمال في وجودهم تسخيرياً أو إلهامياً للحيوان وبواسطة العقل والوحي إلى الأنبياء وبيانه بحاجة إلى دراسة موسّعة لمعنى (الاسم) و(التسخير) في ما جاء منها في القرآن الكريم.

سَخَّرَهُ يَسْخَرُهُ تسخييراً: فهو مسخَّر.

سَخَّرَهُ: ذلّله وأخضعه وساقه إلى غرض معيّن قهراً، والسُّخْرَى: الذي يقهر فيتسخر.

ب - الاسم:

جاء الاسم في هذا الباب بمعنى صفات الشيء وخواصّه المبيّنة لحقيقته.

وبناء على ذلك فإنّ قوله تعالى علّم آدم الاسماً كلّها أى علّمه خواص الأشياء كلّها والعلوم كلّها ما عدا علم الغيب الذي لا يشارك الله فيها أحد إلاّ من خصّه الله بتعليمه ما شاء من أنباء الغيب.

ومعنى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى

الْفُلُكَ مَوَاحِرَ فِيهِ) (النحل 14)، أى سَخَّرَ البحر لنا لننتفع منه وهو من مواضع تعليم آدم (ع) كما أنّ

ما ذكره الله قبل هذه وقال: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ

حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ

لَرَوْفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً... (الآيات 5 - 9)، أى سخرها لنا وعلمنا كيف ننتفع منها للاكل والدَّفء والركوب وحمل الاثقال.

وقال فى سورة الزخرف الايتان / 12 و13:

(وَالَّذِى خَلَقَ الْاَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْاَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لَتَسْتَبۡشِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ اِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ).

وكما علمنا أن ننتفع ممّا ذكرها فى هذه الآيات وسخرها لنا بمقتضى ربوبيّته كذلك ربنا هو الذى أوحى إلى النحل - ألهمها - أن تتخذ من الجبال بيوتا وتجرس من الزهر النور وتعمل العسل، وكذلك سخر الربّ الرحمن البحر للأسماك وعلمها غريزيا كيف تنتفع، وهكذا سخر برحمته الواسعة لكل واحد من خلقه ما يحتاج من سائر ما خلق وعلمه خواص الأشياء التى يحتاجها، وبعبارة أخرى علّم النحل أسماء ما يحتاجه لادامة حياته وعلم الحيتان أسماء ما تحتاجها لادامة حياتها وسخرها لها.

أمّا الانسان الذى قال تعالى عندما أتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين فقد علّمه الاسماء كلّها، وقال تعالى:

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا) (الجاثية 13).

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ) (لقمان 20).

وبناء على ذلك فإنّ الربّ الرحمن هدى كل صنف من خلقه إلى الانتفاع ممّا يحتاجه من سائر الخلق وجعل الخلق الذى يحتاجه هذا الصنف سخرىّا له.

أمّا الانسان فقد علّمه تكوينيّاً بما وهبه من عقل، خواصّ جميع الأشياء إذا سعى وجاهد فى تعلّمها وسخر له جميع الخلق ليتخذها سخرىّا له فإذا سعى جاهدا لتعلّم خواصّ الذرّة تعلّم خواصّها ولما كانت ممّا سخرها للانسان استطاع أن يفلقها ويستعملها فى تحقيق أهدافه، كما علّمه خواص النار والكهرباء وغيرها من العلوم الفيزيائية والكيميائية وسخرها له ليصنع من أصناف الفلزّات سفينة فضائية يمتطيها من جانب من الارض إلى جانب آخر ولما كان هذا الانسان بحاجة إلى من يهديه كيف ينتفع ممّا سخر الله له من الخلق ولا يستعمل ما علّمه وما سخره له فى ما يضرّ به نفسه ويهلك به الحرث والنسل، أرسل الربّ الرحمن الانبياء كي يهدوه كيف يعمل فى ما علّمه وسخره له.

وبناء على ذلك فإن من آثار رحمة الربّ الرحمن إرسال الانبياء وإنزال الكتب وتعليم الناس،
وورد بيان ذلك في سورة الرحمن مع تفسير لفظ الرحمن: (الرحمن على العرش استوى)
و(الرحمن * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)، إذا فإن من آثار رحمة الرحمن للانسان
تعليمه القرآن خاصة والبيان عامة وخلق ما ينتفع به كما قال بعده:

(الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسما رفعها - الربّ الرحمن - ووضع
الميزان... والارض وضعها للانام للانسان - فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام * والحب ذو العصف
والريحان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * - إلى آخر السورة - تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام).
إن الربّ هو الذى (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (سبا 36 و39).

وكل ما ذكر من آثار رحمة الربّ فى الدنيا تعمّ الناس أجمعين مؤمنين وكافرين، وبناء على ما
ذكرناه فالرحمن من صفات الربّ فى الدنيا، وهى تعمّ الخلاق أجمعين ثمّ الناس مؤمنين وكافرين.
ولما كان الربّ يهدى الناس بوسيلة الوحي إلى الرسل فإنّ القرآن أسند الوحي إلى الربّ ويقول:
(... ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...) (الاسراء 39).

(... اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...) (الانعام 106).

وكذلك يسند إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الربّ كما أخبر فى سورة الاعراف عن نوح أنّه
قال لقومه:

(قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبْلُغُكُمْ رِسَالَاتُ رَبِّي) (الاياتان
و68).

وعن موسى (ع) أنّه قال لفرعون:

(قَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الاية 104).

وفى إنزال الكتب يقول:

فى سورة الكهف:

(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ) (الاية 27).

وفى سورة السجدة:

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الاية 2).

وفى سورة الواقعة:

(إِنَّهٗ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ... تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) (الاية 77 و 80).

وأُسند الامر إلى الربّ وقال تعالى:

(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (الاعراف 29).

ومن ثمّ تكون الطاعة لأوامر الربّ.

كما أخبر الله سبحانه في سورة البقرة / 284 عن خاتم الانبياء، والمؤمنين وقال: (آمَنَ الرَّسُولُ

بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ... قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا...).

ولمّا كانت الرسل هي التي تبليّغ أوامر الربّ أمر الله بطاعتهم وقال سبحانه وتعالى: (أَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (محمد 33).

وكذلك تكون المعصية معصية لأوامر الربّ، قال سبحانه:

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) (الكهف 50).

وقال عزّ من قائل:

(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) (الاعراف 77).

وأحيانا يسقط لفظ الامر، كما قال سبحانه:

(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه 121).

ولمّا كانت الرسل تبليّغ أوامر الربّ تكون معصيتهم معصية الربّ كما أخبر الله عن فرعون وقومه

ومن كان قبلهم وقال في سورة الحاقة.

(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ...) (الاية 69).

وبعد المعصية قد يتوب العبد ويستغفر ربّه فيتوب عليه، كما أخبر عن ذلك سبحانه وقال:

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا).

(وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا).

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) (آل عمران 16 و 147 و 193).

وقال في سورة القصص حكى عن موسى (ع) أنّه قال:

(... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ) (الاية 116).

ومن ثمّ فإنّ من صفات الربّ الغفور والغفار كما قال سبحانه:

(وَالَّذِينَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ بَعْدَهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الاعراف 153).

وحكى فى سورة نوح (ع) إِنَّهُ قَالَ لقومه:

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (الاية 10).

وقال فى سورة البقرة:

(فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (الاية 37).

أما من لم يستدرک المعصية بالتوبة فإنَّ الربَّ سيجازيه على عمله كما قال سبحانه:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... فِي نَارٍ جَهَنَّمَ... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ

عَدْنٍ... ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (البينة 6 - 8).

وجزاء الربَّ للأعمال قد يكون فى الدنيا وقد يكون فى الآخرة وقد يكون فى كليهما، ويسند

القرآن جميعها إلى الربَّ كما قال الله سبحانه وتعالى فى سورة سبأ (15 - 17):

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ).

وأما الجزاء فيكون بعد الحشر والحساب يوم القيامة، ويسند القرآن الحشر والحساب إلى الربَّ

ويقول:

(وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ) (الحجر 25).

(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الانعام 38).

ويقول:

(إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) (الشعراء 113).

وبعد الحساب إما أن يكون من المؤمنين الذين تتداركهم رحمة الله كما قال سبحانه وتعالى فى

سورة مريم:

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) (الاية 85).

وتختص رحمة الربَّ ويؤمئذ بالمؤمنين، ولذلك يسمَّى (الرحيم)، ويأتى الرحيم فى الذكر بعد

الرحمن، كما قال سبحانه: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لأنَّ فعل الرحمن يعمُّ مَنْ فى

هذا العالم وما فيه، وفعل الرحيم يخصُّ المؤمنين يوم القيامة، وإن لم يكن من المؤمنين، وحقَّت

عليه كلمة العذاب يوم القيامة، فقد أخبر الله عن أمره وقال سبحانه فى سورة النبأ (21 - 37):

(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَابَا... جَزَاءً وَفَاقًا... إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا...
جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)، ومن ثمَّ يسمَّى الربُّ (مَالِكِ يَوْمِ
الدِّينِ) كما قال سبحانه في سورة الحمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ
الدِّينِ).

وبناء على ما ذكرنا فإنَّ الربَّ هو الرَّحْمَن وهو الرَّزَّاق وهو الرَّحِيم وهو التَّوَّاب وهو الغفور، إلى
غيرها من الاسماء الحسنی.

كلَّ ما ذكرناه إلى هنا في بحوث الألوهية من صفات الاله وأفعاله، وفي بحوث الربوبية من
صفات الربِّ وأسمائه، من صفات الله وأسمائه، كما سنذكره بالاضافة إلى أسماء أخرى لله في
بحث (ولله الاسماء الحسنی) الاتي إن شاء الله تعالى.

(15)

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

1 - الله

قال اللغويون إن لفظ (الله) مشتق من الاله.

وأخطأ من علماء اللغة العربية من زعم أن (الله) أصله (اله) الذى هو اسم جنس للالهة ودخلت عليها الالف واللام للتعريف وصار (الاله) ثم حذفت الالف وأدغم اللامان فصار (الله). وعندئذ يكون (إله) و(الله) مثل (رجل) و(الرجل) الاولان منهما اسما جنس لكل الالهة ولكل الرجال، والثانيان منهما عرفا بالالف واللام وبهما شُخص الرجل المقصود والاله المقصود. وعليه فان معنى (لا إله إلا الله) يكون: لا إله إلا الاله الذى أقصده وأعنيه.

لقد أخطأ القائلون بهذا القول. فان لفظ (الله) علم مرتجل باصطلاح النحويين سمى به الذات الذى صفاته جميع الاسماء الحسنى، ولا يشاركه فى التسمية غيره، كما لا يشاركه غيره فى الألوهية والرؤوبية.

وفى المصطلح الاسلامى اسم خاص للذات المستجمع لجميع صفات الكمال كما قال سبحانه وتعالى:

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (الاعراف 180).

وقال جل اسمه:

(أَلَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (طه 8).

وعلى هذا فان معنى: لا إله إلا الله: لا خالق ولا مؤثر فى الوجود ولا معبود غير الله الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، والذى له جميع الاسماء الحسنى ومن الاسماء الحسنى، القيوم أى: القائم الحافظ لكل شىء والمعطى له ما به قوامه وذلك هو المعنى المذكور فى قوله تعالى: (الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى).

وبناء على ما ذكرنا فإنَّ الله هو الربُّ، وهو الرحمن، وهو الرزَّاق، وهو التَّوَّاب، وهو الغفَّار، وهو الرَّحِيم، وهو مالك يوم الدين، إلى غير ذلك من الاسماء الحسنی. ولذلك فإنَّ لفظ (الله) قد يأتي في القرآن الكريم في مورد ينبغي فيه ذكر اسم الربِّ، ويوصف بصفات الربِّ، أي:

الرزَّاق والتَّوَّاب والغفور والرحيم، والذي يعطى الانسان جزاء عمله كما جاء أمثال ذلك في قوله تعالى:

أ - (اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (الرعد 26).

ب - (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (التوبة 104).

ج - (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة 182).

د - (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (التوبة 121).

ومئات المواضع الأخر أمثالها.

وهناك صفات - أسماء - تأتي صفة لله خاصة مثل قوله تعالى:

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم).

كل هذه الصفات والاسماء خاصة بالله وليست من صفات الاله الخالق ولا الرب المربى للعالمين.

و - أيضا - من صفاته الخاصة:

العزیز، الحكيم، القدير، السميع البصير الخبير، غنى حميد، ذو الفضل العظيم، واسع عليم، يفعل ما يشاء... وبناء على ما ذكرنا فإنَّ (الله) اسم لكل تلك الصفات وحقيقته تلك الصفات وتلك الاسماء الحسنی ويقابل لفظ الله (يهوه) في اللغة العبرية. كما يقابل لفظ الاله (الوهيم) في العبرية. ومن صفات الله الربَّ أنه وسع كرسيه السموات والارض. فما معنى الكرسيّ ؟

2 - الكرسيّ

الكرسيّ في اللغة: السرير والعلم.

روى الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس واللفظ من الطبري بإيجاز أنه قال كرسيه علمه.

قال الطبري: كما أخبر عن ملائكته أَنَّهُم قالوا في دعائهم: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَأَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّ عِلْمَهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ، فكذلك قوله وسع كرسيه السموات والارض، قال: وأصل الكرسي العِلْمُ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب: كراسة. ومنه يقال للعلماء الكراسي.

ومنه قول الرَّاجِز: (حتى إذا ما احتازها انكرسا) يعني: علم.

ومنه قول الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالاحداث حين تنوب يعني بذلك علماء بحوادث الأمور - انتهى ما نقلناه عن الطبري.

ونضيف إلى ما قاله الطبري ونقول بحوله تعالى:

وحكى الله عن إبراهيم (ع) أَنَّهُ قال لقومه:

(وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (الانعام 80).

وعن شعيب (ع) أَنَّهُ قال لقومه:

(وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الاعراف 89).

وعن موسى (ع) أَنَّهُ قال للسامري:

(إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) (طه 98).

وقال الامام الصادق (ع) السادس من أوصياء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في جواب من

سأله عن قوله تعالى:

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (البقرة 255).

قال: علمه (1).

وانَّ الكرسيَّ جاء في مكان واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ...) (البقرة 255).

ومجيئه في هذه الجملة بعد علمه يدل على أنَّ المقصود من كرسيه، علمه تعالى. ويكون معنى

الجملة عندئذ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع علمه

السموات والارض.

وعلى هذا فإن معنى بعض الروايات ان (كلّ شيء في الكرسي) أى إنّ كل شيء في علم الله.

ويتصل ببحث الاسماء الحسنی - أيضا - بحث العبودية الذى ندرسه فى ما يأتى بحوله تعالى.

العبد والعبادة

عبد عبادة وعبودية: أطاع.

والعبودية: الخضوع وإظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها الغاية فى التذلل.
والعبودية: الطاعة.

وفى هذا المعنى جاء فى سورة الحمد (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) بعد ان سبقه ذكر (رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وبهذا المعنى (العبودية والطاعة) جاء فى حديث الامام الصادق (ع) حيث قال: (مَنْ أَطَاعَ رَجُلًا
فِي مَعْصِيَةٍ فَقَدْ عَبَدَهُ) (2).

وقول الامام الرضا (ع):

(مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ فَإِنْ كَانَ النَاطِقُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ النَاطِقُ
عَنِ إِبْلِيسَ فَقَدْ عَبَدَ إِبْلِيسَ) (3).

والعبادة تكون بالاختيار لذوى النطق، وبالتسخير لغيرهم، مثل قوله تعالى:

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (مريم 93).

وهذا مثل قوله تعالى:

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (الرعد 15)..

وللعبد أربعة معان:

1 - العبد بالرق مثل قوله تعالى:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) (النحل 75).

وجمعه العبيد مثل قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خرج الينا من العبيد فهو

حر (4).

2 - العبد بالايجاد. وأوضح مثل له - أيضا - قوله تعالى:

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (مريم 93).

ويجمع - أيضا - على العبيد مثل قوله تعالى:

(وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (الأنفال 51).

3 و 4 - العبد بالعبادة والخدمة ويقال له العابد ابلغ وينقسم إلى قسمين:

أ - عبدٌ لله مخلصا وحقيقةً وجمعه: العُباد مثل قوله تعالى في ما حكاه عن موسى وفتاه:

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) (الكهف 65).

ب - عبد للدنيا يعكف على طلب الدنيا ويجمع على العبيد مثل قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الدِينَارِ).

ومثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ خَرَجَ إِلَيْنَا مِنَ الْعَبِيدِ فَهُوَ حُرٌّ).

ولمّا كان الرَّبُّ تصدر منه الاوامر والنواهي لهداية الناس يقال لمن اطاعه عَبْدُ الرَّبِّ يعبده عبادةً وهو عابدٌ، أى أطاعه ويطيعه وهو مطيعٌ للرَّبِّ، ولمّا كان الاله بمعنى المعبود، وتُجرى له الطقوس الدينية يقال: عبد فلان الاله يعبده عبادةً فهو عابد أى أجرى الطقوس لاله... (5) .

كلّ ما ذكرناه فى بحوث الالهية من صفات الاله وفى بحوث الربوبية من صفات الربّ من صفات الله ربّ العالمين ومن صفات ربّ العالمين، أنّ كلّ شيء يجرى بمشيئته كما سنشرحها فى البحث الاتى بإذنه تعالى:

(16)

مشيئة الله ربّ العالمين

أ - معنى المشيئة

ب - مشيئة الله فى الرزق

ج - مشيئة الله فى الهداية

د - مشيئة الله فى الرحمة والعذاب.

من صفات الله ربّ العالمين مشيئته فى الهداية والرزق والعذاب والرحمة، كما يأتى بيانها فى

أربعة بحوث:

أولاً - المشيئة فى اللغة والقرآن الكريم

أ - المشيئة فى اللغة.

فى لغة العرب. شاء يشاء مشيئةً: أراد إرادة، وبهذا المعنى أسندت المشيئة إلى الناس فى قوله تعالى:

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) (المزمل 19) و(الانسان 29).
أى إن الانسان إذا أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا فإنه قادر على أن يفعل ذلك بكامل حرّيته ومحض اختياره، وورد نظيره - أيضا - فى: سورة المدثر (55) وسورة عبس (12) والتكوير (28) والكهف (29) وغيرها من الموارد فى القرآن الكريم.

وبالمعنى اللغوى - أيضا - أسندت المشيئة إلى الله سبحانه وتعالى فى قوله:

1 - فى سورة الفرقان:

(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) (الاية 45).

2 - فى سورة هود:

(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَوْا فِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (الايات 106 - 108).

وجاء نظيرهما - أيضا - فى سورة الاسراء (86) والفرقان (51).

المعنى فى الايات الماضية:

1 - فى المورد الاول قال سبحانه وتعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) شيئا فشيئا بعد الظهيرة من المغرب إلى المشرق حسب اقتراب الشمس من الأفق، حتى اذا غربت كانت فى نهاية الامتداد فى الليل ولو شاء لجعل الظل ساكنا دائما، أى ان تمدد الظل وتحركه يجرى بقدرة الله ووفق إرادته وليس خارجا عن ارادته.

2 - فى المورد الثانى قال سبحانه وتعالى:

إِنَّ أَهْلَ النَّارِ خَالِدُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا وَإِنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَارَادَتِهِ وَلَيْسَ خَارِجًا عَنْ إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

كان ذلكم من موارد اسناد المشيئة إلى الله وإلى الناس بمعناه اللغوى.

ب - مشيئة الله في الاصطلاح القرآني:

إذا اسندت المشيئة في القرآن الكريم إلى الله بعد مادة: الرزق والهداية والعذاب والرحمة أريد بها جريان الرزق والهداية وأمثالهما للانسان وفق سننٍ قررهما لها الله وفق حكمته وإنَّ سنَّة الله في ذلكم الامر لن تتبدل وهي إذا من مصاديق قوله تعالى في سورتي الاحزاب (38) و(62) والفتح (23):

(سُنَّةُ اللَّهِ... وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا).

وقوله تعالى في سورة فاطر:

(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (الاية 43).

كما يأتي بيانها بحوله تعالى.

ثانيا - مشيئة الله في الرزق

جاء ذكر مشيئة الله في مر الرزق في قوله تعالى:

1 - في سورة الشورى:

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الاية 12).

ونظيره في سورة الرعد (26).

2 - في سورة العنكبوت:

(وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ نَّزْلٍ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (الايات 60 - 63).

3 - في سورة سبأ:

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (الاية 39).

4 - في سورة الاسراء:

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا* إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا* وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِئْنَا نَرَضَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا*... وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (الآيات 29 - 31 و 34 - 35).

5 - فى سورة آل عمران:

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الآيتان 26 - 27).

ما هى مشيئة الله فى أمر الرزق؟

لقد مررنا فى بحث «جزاء الاعمال» أنّ الله سبحانه وتعالى جعل توسعة الرزق فى صلة الرحم، وجعل الولد يرث أثر صلاح أبيه، كما مررنا فى خبر موسى والعبد الصالح عندما بنى جدارا يريد ان ينقض ليبقى الكنز المدفون لليتيمين لأن أباهما كان صالحا وليستخرجاه عندما يبلغان أشدهما، وهذان مثالان لمشيئة الله فى أمر الرزق وإنها تجرى وفق سنن لا تتبدل.

ثالثا - مشيئة الله فى الهداية

يأتى ذكر هداية الانسان فى القرآن بمعنيين:

1 - بمعنى تعليم الانسان عقائد الاسلام وأحكامه:

ويسنده القرآن غالبا إلى الانبياء الذين بعثهم الله لتبليغ الانسان عقائد الاسلام وأحكامه.

وأحيانا يسنده إلى الله جل اسمه لأنه الذى أرسل الانبياء بدين الاسلام.

2 - بمعنى توفيق الله الانسان إلى الايمان بعقائد الاسلام والعمل بأحكامه. وهذا ما يسنده

القرآن إلى الله وحده، تارة مع وصف أن هذه الهداية من مشيئة الله، وأخرى بدون ذكر مشيئة الله.

وفى ما يأتى أمثلة من مواردها فى القرآن الكريم:

وقد اشترط الله لهذا النوع من الهداية أن يرضاها الناس ويختاروها ويباشروا العمل من أجل

الوصول إليها كما يأتى بيانها فى ثلاثة بحوث بحوله تعالى.

أ - الهداية بمعنى التعليم:

أسند القرآن هداية الناس بمعنى تبليغ الاسلام إلى الانبياء في موارد منها الايات الآتية:

أ - في سورة الشورى:

(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) (الايتان 52 - 53).

وأحيانا يأتي اسناد عن الانبياء في الهداية إلى الله تعالى كما قال سبحانه:

1 - في سورة الانبياء:

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...) (الاية 73).

2 - في سورة الفتح:

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ) (الاية 28).

وبهذا المعنى - أيضا - اسندت الهداية إلى الكتب السماوية مثل قوله تعالى:

1 - في سورة البقرة:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (الاية 185).

2 - في سورة آل عمران:

(وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ) (الايتان 3 - 4).

وقد يأتي في القرآن اسناد الهداية التعليمية إلى الله جل اسمه مثل قوله تعالى:

1 - في سورة البلد في صوف الانسان:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (الايتان 8 - 10).

2 - في سورة فصلت:

(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) (الاية 17).

إذا فإن الله تبارك وتعالى يسند الهداية بمعنى تعليم الاسلام إلى أنبيائه وكتبه تارة، وإلى نفسه

تبارك وتعالى تارة أخرى؛ لأنه الذي أرسل الرسل بتلك الكتب لتعليم الناس، ثم يأتي بعد ذلك

دور الانسان في قبول الهداية أو رفضها كالاتى بيانه بحوله تعالى.

ب - اختيار الانسان الهداية أو الضلالة وآثارهما:

بعدَ ارسالِ الله الانبياء بالكتب إلى الناس فإنَّ الناسَ ينقسمون إلى فريقين: فريق يختارون الهداية على الضلالة، وفريق يختارون الضلالة على الهداية كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم فى الايات الاتية وقال عز اسمه:

1 - فى سورة النمل:

(وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ) (الاية 92).

2 - فى سورة يونس:

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) (الاية 108).

ونظيرها فى سورة الاسراء (15).

ويأتى بعد ذلك توفيق الله سبحانه وتعالى للمهتدى، كما أخبر الله عز اسمه وقال:

1 - فى سورة مريم:

(وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) (الاية 76).

2 - فى سورة محمد:

(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (الاية 17).

إنَّ الذين اختاروا الهداية بعد ارسال الرسل، وجاهدوا فى سبيل الله، استحقوا توفيق الله لهم، والذين كذبوا الرسول واتَّبَعُوا هوى النفس حَقَّتْ عليهم الضلالة، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهما وقال:

1 - فى سورة العنكبوت:

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (الاية 69).

2 - فى سورة النحل:

(ولقد بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فى الارضِ فانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ * إِنَّ تَحَرُّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ...) (الايات 36 - 42).

3 - في سورة الاعراف:

(فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) (الاية 30).

وهذا النوع من الهداية هي التي تأتي بمشيئة الله، كما يأتي بيانه بحوله تعالى.

(1) توحيد الصدوق، ص 327، باب معنى قول الله عز وجل: (وسع كرسيه السموات والارض).

(2) أصول الكافي 2 / 398.

(3) عيون أخبار الرضا 1 / 303، ح 63، وسائل الشيعة 18 / 92 ج 13.

(4) مسند أحمد، 1 / 248.

(5) ذكرنا موجز ما ورد في مادة عبد من كتاب الصحاح للجوهري، ومفردات القرآن للراغب، وقاموس اللغة للفيروزآبادي، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم للهيئة المصرية العامة للتأليف، وأدمجنا عباراتهم وذكرناها سياقاً واحداً.

ونقلنا حديث الرسول الاول من سنن ابن ماجه ص 1386، كتاب الزهد، باب في المكثوين، والحديث الثاني في مسند أحمد (1 / 248)، وقد قاله يوم الطائف، وما ذكرناه من المجموع هو الاغلب، وقد يأتي خلافه في القرآن والحديث مجازاً.

ج - الهداية بمعنى توفيق الايمان والعمل مسندةً إلى مشيئة الله

جاء ذكر الهداية بمعنى توفيق الايمان والعمل مسنده إلى مشيئة الله في قوله تعالى:

1 - في سورة البقرة:

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة 142 و 213) و (النور 46) و (يونس 25).

2 - في سورة الانعام:

(... مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الاية 39).

3 - في سورة القصص:

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (الاية 56).

شرح الكلمات

صراط مستقيم:

الصراط من السبيل الواضح والمستقيم بلا التواء فيه.

والصراط المستقيم من أمر الدين ما شرحه الله تعالى في سورة الفاتحة وقال:

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الاية 7).

عليهم وقد بين الله تعالى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ في سورة مريم وقال بَعْدَ ذكره خبر زكريا ويحيى

ومريم وعيسى (ع): واذكر في الكتاب إبراهيم... واذكر في الكتاب موسى... و.. إسماعيل و..

إدريس) ثم قال تعالى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ... وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) (مريم 1 و63).

وصراطهم هو دين الاسلام الذي كانوا يدعون إليه، وسيرتهم في عملهم بالاسلام.

والمغضوب عليهم هم اليهود خاصة كما وصفهم الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وقال عزَّ

اسمه:

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (الاية 61).

وكذلك في سورة آل عمران الاية (112).

(ولا الضَّالِّينَ) الضَّالُّونَ هم الذين لا يتخذون الاسلام ديناً كافّة كما صرّح بذلك تبارك وتعالى

في سورة آل عمران وقال عزَّ من قائل:

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ... وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) (الايات 85 - 90).

يهدى: راجع شرحه في بحث هداية رب العالمين للاصناف الاربعة من الخلق.

رابعا - مشيئة الله في العذاب والرحمة

قد جاء ذكر مشيئة الله في العذاب والرحمة في موارد من القرآن الكريم منها الايات الاتية:

أ - في سورة الاعراف حكاية قول كليم الله موسى (ع):

(وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُسْتَعِذُونَ) قَالَ إِلَهِكَ أَنَا مُغْنِيكَ عَنْهَا وَابْتَغِ دِينَارًا بِدِينَارٍ وَأَنْتَ كَافٍ بِنَفْسِكَ أَتَىكَ لَتْفٌ

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الایتان 156 - 157).

ب - فی سورة الانبیاء:

(اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ* قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ* مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ* وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ* ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ* لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الآيات 1 - 10).

ج - فی سورة الاسراء:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً* كُلًّا نُمِدُّ هُوَلاً وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْضُوراً) (الآيات 18 - 20)

د - فی سورة الانسان:

(إِنَّ هَؤُلَاءَ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا* إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا* يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيمًا) (الآيات 27 - 31).

كان ذلك معنى مشيئة الله رب العالمين، ومن صفات الله تعالى أنه يمحو ما يشاء ويثبت كما يأتي معناه في البحث الاتي بإذنه تعالى.

(17)

البداء أو يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ

1 - معنى البداء.

ب - البداء فى مصطلحات علماء العقائد الاسلاميّة.

ج - البداء فى القرآن.

د - روايات مدرسة الخلفاء فى البداء.

هـ - روايات أئمة أهل البيت (ع) فى البداء.

أولاً - البداء فى اللغة

للبداء فى اللغة معنيان:

أ - بدا الامر بُدُوًا وبداء: ظهر ظهوراً بيّناً.

ب - بدا له فى الامر كذا: جدّ له فيه رأى، نشأ له فيه رأى.

ثانياً - البداء فى مصطلح علماء العقائد الاسلامية

بدا الله فى أمر أى ظهر له فى ذلك الامر ما كان خافياً على العباد.

وأخطأ من ظنّ أنّ المقصود من بدأ لله فى بداء جدّ له فى ذلك الامر غير الامر الذى كان له

قبل البدأ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

ثالثاً - البداء فى القرآن

أ - قال الله تعالى فى سورة الرعد:

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) (الاياتان 7 و 27).

ثمّ قال تعالى:

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ

أُمُّ الْكِتَابِ * وَأَنْ مَا تُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)

(الايات 38 - 40).

شرح الكلمات

1 - آية:

الاية فى اللغة: العلامة الظاهرة كما قال الشاعر:

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد وسميت معجزات الانبياء آية لأنها علامة على صدقهم
وعلى قدرة الله الذى مكنهم من الاتيان بتلك المعجزة، مثل عصا موسى وناقه صالح، كما جاءت
فى الاية (67) من سورة الشعراء والاية (73) من سورة الاعراف.

وكذلك سمى القرآن أنواع العذاب الذى أنزله الله على الأمم الكافرة بالاية والايات، كقوله
تعالى فى سورة الشعراء عن قوم نوح:

(ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) (الاياتان 120 - 121).

وعن قوم هود:

(فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) (الاية 139).

وعن قوم فرعون فى سورة الاعراف:

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) (الاية 133).

2 - أجل:

الاجل: مدة الشىء والوقت الذى يحدّد لحلول أمرٍ وانتهائه، يقال: جاء أجله اذا حان موته،
وضربت له أجلا: أى وقتا محدّودا لعمله.

3 - كتاب:

للكتاب معانٍ، مُتَعَدِّدَةٌ، والمقصود منها هنا: مقدار مكتوب أو مقدّر، ويكون معنى (لِكُلِّ أَجَلٍ
كِتَابٌ): لوقت إتيان الرسول بآية زمان مقدّر معيّن.

4 - يمحّو:

محاه فى اللغة: أزاله وأبطله، أو أزال أثره مثل قوله تعالى:

أ - فى سورة الاسراء:

(فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) (الاية 12).

وآية الليل هى الليل، ومحّو الليل: إزالته.

ب - فى سورة الشورى:

(وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) (الاية 24).

أى يذهب بآثار الباطل.

تفسير الايات

أخبر الله سبحانه وتعالى فى هذه الايات أن كفار قريش طلبوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يأتهم بآيات، كما بيّن طلبهم ذلك فى قوله تعالى فى سورة الاسراء:

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا... أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) (الاياتان 90 و92).

وقال فى الاية (38) من سورة الرعد: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ مَقْرَحَةٍ عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) وأن لكل أمر وقتا محددا سجل فى كتاب.

واستثنى منه فى الاية بعدها وقال: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ) من ذلك الكتاب ما كان مكتوبا فيه من رزق وأجل وسعادة وشقاء وغيرها (وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ) مما لم يكن مكتوبا فى ذلك الكتاب (وعنده أم الكتاب) أى أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يتغير ما فيه ولا يبدل.

وبناء على ذلك قال بعدها: (وإن ما نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) من العذاب فى حياتك (أو نَنُفِثَنَّكَ) قبل ذلك (فإنما عليك البلاغ) فحسب... ويدل على ما ذكرناه ما رواه الطبرى والقرطبى وابن كثير فى تفسير الاية وقالوا ما موجهه:

إن الخليفة عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويقول: اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها، وإن كنت كتبتنى فى أهل الشقاوة والذنب فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب.

وروى عن الصحابى ابن مسعود أنه كان يقول:

اللهم إن كنت كتبتنى فى السعداء فأثبتنى فيهم، وإن كنت كتبتنى فى الاشقياء فامحنى من الاشقياء وأكتبنى فى السعداء، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب.

وروى عن أبى وائل أنه كان يكثر أن يدعو: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامح وأكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب (1).

وفى البحار: وإن كنت من الاشقياء فامحنى من الاشقياء واكتبنى من السعداء، فإنك قلت فى كتابك المنزل، على نبيك صلواتك عليه وآله: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (2).

واستدلّ القرطبي - أيضا - على هذا التأويل بما روى عن صحيحى البخارى ومسلم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ - أَجَلُهُ - فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ).

وفى رواية: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِهِ وَيَبْسُطَ لَهُ رِزْقَهُ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (3) .
ونقل عن ابن عباس أنه قال فى جواب من سأله وقال: كيف يزداد فى العمر والاجل؟ قال الله عز وجل: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) فالاجل الاول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والاجل الثانى - يعنى المسمى عنده - من حين وفاته إلى يوم يلقاه فى البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا اتقى العبد ربه ووصل رَحِمَهُ، زاده الله فى أجل عمره الاول من أجل البرزخ ما شاء، وإذا عصى وقطع رَحِمَهُ، نقصه الله من أجل عمره فى الدنيا ما شاء، فيزيده من أجل البرزخ... الحديث (4) .

وأضاف ابن كثير على هذا الاستدلال وقال ما موجزه:

وقد يستأنس لهذا القول ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

(إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ) (5) .
وقال: وفى حديث آخر:

(إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْقَضَاءَ لَيُعْتَلِجَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (6) .

كان ما ذكرناه وجها واحدا مما ذكره فى تأويل هذه الاية وذكرها معها وجوها آخر فى تأويل الاية مثل قولهم:

إنَّ المراد محو حكم وإثبات آخر، أى نسخ الاحكام، والصواب فى القول، أنه يعم الجميع وهذا ما اختاره القرطبي - أيضا - وقال:

(.. الاية عامّة فى جميع الاشياء وهو إلاّ ظهر والله أعلم) (7) .

وروى الطبرى والسيوطى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال: يُقَدِّرُ اللَّهُ أَمْرَ السَّنَةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَّا السَّعَادَةَ وَالشَّقَاءَ (8) .

يمحو الله ما يشاء ويثبت قال: من أحد الكتابين هما كتابان يمحو الله من احدهما ويثبت وعنده أمُّ الكتاب أى حملة الكتاب (9) .

ب - قال سبحانه وتعالى فى سورة يونس:

(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُنْسَىٰ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) (الاية 98).

شرح الكلمات

أ - كَشَفْنَا:

كشف عنه الغمّ: أزاله، وكشف العذاب: أزاله.

ب - الْخِزْيُ:

خِزْيَ خِزْيًا: هان وافتضح.

ج - حِين:

الحين: الوقت والمدة من غير تحديد فى معناه بِقَلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ.

تفسير الاية

قصة يونس بايجاز كما فى تفسير الاية بتفسير الطبرى والقرطبى ومجمع البيان (10): أن قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الاصنام، فأرسل الله إليهم يونس (ع) يدعوهم إلى الاسلام وترك ما هم عليه فأبوا، وتبعه منهم عابد وشيخ من بقية علمائهم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم والعالم ينهائهم ويقول له: لا تدعُ عليهم فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده. فقبل يونس قول العابد فأخبر الله تعالى أنه يأتيهم العذاب فى شهر كذا فى يوم كذا فاخبرهم يونس بذلك فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم وقال قومه:

لم نجرب - يونس - عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان فى جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم ولما علموا ذلك ورأوا آثار العذاب وأيقنوا بالهلاك ذهبوا إلى العالم فقال لهم: افزعوا إلى الله فإنه يرحمكم ويرد العذاب عنكم، فاخرجوا إلى المفازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين سائر الحيوان واولادها ثم ابكوا وادعوا، ففعلوا. خرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام، فحنَّ بعضها إلى بعض وعلت أصواتها واختلطت أصواتها بأصواتهم وتضرَّعوا إلى الله عزَّ وجلَّ وقالوا آمنا بما جاء

به يونس، فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعدما اظلمهم، بعد أن بلغ من توبتهم إلى الله، ردوا المظالم بينهم حتى أن كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويرده وكذلك محا الله العذاب عن قوم يونس بعد ان تابوا وكذلك يَمْحُو اللهُ ما يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وعنده أُمُّ الْكِتَابِ.

ج - قال سبحانه وتعالى في سورة الاعراف:
(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (الاية 142).
وقال في سورة البقرة:
(وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) (الاية 51).

رابعاً - البدء في روايات مدرسة الخلفاء

روى الطيالسي وأحمد وابن سعد والترمذي واللفظ للطيالسي بإيجاز.
قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
إِنَّ اللَّهَ أَرَى آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ فَرَأَى رَجُلًا أَزْهَرَ سَاطِعًا نُورُهُ.
قال: يَارَبِّ مَنْ هَذَا؟
قال: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ!
قال: يَارَبِّ فَمَا عُمُرُهُ؟
قال: سِتُّونَ سَنَةً!
قال: يَارَبِّ زِدْ فِي عُمُرِهِ!
قال: لَا إِلَّا أَنْ تَزِيدَهُ مِنْ عُمْرِكَ!
قال: وَمَا عُمْرِي؟
قال: أَلْفُ سَنَةٍ!
قال آدَمُ: فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِي.
..... فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَجَاءَتْهُ الْمَلَائِكَةُ قَالَ: قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً.
قالوا: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِدَاوُدَ... (11) .

هذه الرواية بالاضافة إلى ماسبق إيراده من أخبار آثار صلة الرحم ونظائرها بمدرسة الخلفاء من مصاديق (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ).

وقد سَمِيَ أئمة أهل البيت (ع) المَحْوُ والاثبات بالبداء كما سندرسه إن شاء الله تعالى في ما يأتي:

خامسا - البداء في روايات أئمة أهل البيت (ع)

في البحار عن أبي عبد الله (الامام الصادق) (ع) قال: (ما بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ: الْإِقْرَارَ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَخَلْعَ الْإِنْدَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ) (12).

وفي روايه أخرى وصف الامام الصادق (ع) هذا الامر بالمحو والاثبات وقال: (ما بَعَثَ نَبِيًّا قَطُّ حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا: الْإِقْرَارَ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَخَلْعَ الْإِنْدَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ) (13).

وفي رواية ثالثة سَمِيَ المحو والاثبات بالبداء، وقال ما موجهه: (ما تَبَيَّنَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُقَرِّرَ لِلَّهِ تَعَالَى... بِالْبَدَاءِ) الحديث (14).

وعن الامام الرضا (ع) أنه قال: (ما بَعَثَ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَأَنْ يُقَرَّرَ لَهُ بِالْبَدَاءِ) (15).

وفي رواية أخرى أخبر الامام الصادق (ع) عن زمان المحو والاثبات وقال: (إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبه إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة فإذا أراد الله أن يقدم شيئا أو يؤخره أو ينقص شيئا أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثم أثبت الذي أراد) (16).

وأخبر الامام الباقر (ع) عن ذلك وقال ما موجهه: (تنزل فيها الملائكة والكتبه إلى سماء الدنيا فيكتبون ما هو كائن في أمر السنة وما يصيب العباد فيها. قال: وأمر موقوف لله فيه المشيئة يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء، وهو قوله تعالى: يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (17).

وفي حديث آخر له قال: (في قول الله: (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا). إن عند الله كتباً موقوتة يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى ليلة مثلها، وذلك قوله: (لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) إذا أنزل، وكتبه كتاب السموات وهو الذي لا يؤخره) (18).

وروى المجلسى فى هذا الباب خبر هبة آدم (ع) أربعين سنة من عمره لداود (ع) الذى أوردناه آنفا فى روايات مدرسة الخلفاء (19) .

هذا هو البداء فى أخبار أئمة أهل البيت (ع) وأمّا البداء بمعنى أنّ الله جدّ له رأى فى الامر لم يكن يعلمه - معاذ الله - فقد قال أئمة أهل البيت (ع) فيه ما رواه المجلسى عن الامام الصادق (ع) أنّه قال: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْدُو لَهُ فِي شَيْءٍ لَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسٍ فَاْبْرؤُوا مِنْهُ) (20) .

أثر الاعتقاد بالبداء

لو اعتقد الانسان أنّ من الناس من كتب فى السعداء فلن تتبدل حاله ولن يكتب فى الاشقياء، ومنهم من كتب فى الاشقياء فلن تتبدل حاله ولن يكتب فى السعداء، وجف القلم بما جرى لكل إنسان، عندئذ لا يتوب العاصى من معصيته بل يستمرّ فى ما هو عليه لاعتقاده بأن الشقاء قد كتب عليه ولن تتغير حاله، ومن الجائز ان يوسوس الشيطان إلى العبد المنيب أنّه من السعداء ولن يكتب فى الاشقياء وتؤدى به الوسوسة إلى التساهل فى الطاعة والعبادة، وعدم استيعاب بعض المسلمين معانى الايات والروايات المذكورة فى المشيئة، اعتقد بعضهم أنّ الانسان مجبور على ما يصدر منه وآخرون على أنّ الامر كلّهُ مفوّض للانسان، كما سندرسه فى البحث الاتى لنعرف الحق فى ذلك بإذنه تعالى.

(18)

الجبر والتفويض

معنى الجبر والتفويض والاختيار

الجبر والتفويض والاختيار

أ - الجبر في اللغة:

جَبَرَهُ عَلَى الامر وَأَجْبَرَهُ: قَهَرَهُ: عَلَيْهِ، وَأَكْرَهَهُ عَلَى الاتيان به.

ب - الْجَبْرُ في مصطلح علماء العقائد الاسلامية:

الْجَبْرُ: إجبارُ الله تعالى عباده على ما يفعلون، خيرا كان او شرا، حسنا كان أو قبيحا، دون ان يكون للعبد إرادة واختيار الرفض والامتناع، ويرى الجبرية الجبر مذهباً يرى أصحابه ان كل ما يحدث للانسان قدر عليه أزلاً، فهو مسير لا مخير وهو قول الاشاعرة (21).

ج - التفويض في اللغة:

فَوَّضَ إِلَيْهِ الامرَ تفويضا: جَعَلَ لَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ.

د - التفويض في مصطلح علماء العقائد الاسلامية:

هو أن الله تعالى فَوَّضَ أفعال العباد إليهم، يفعلون ما يشاؤون، على وجه الاستقلال، دون ان يكون لله سلطان على أفعالهم، (هو قول المعتزلة) (22).

هـ - الاختيار في اللغة:

خيرَه: فَوَّضَ إِلَيْهِ الاختيار بين أمرين أو شيئين أو أكثر.

و - الاختيار في مصطلح علماء العقائد الاسلامية:

إنَّ الله سبحانه كلَّف عباده بواسطة الانبياء والرسل ببعض الافعال ونهاهم عن بعض آخر، وأمرهم بطاعته في ما أمرَ به ونهى عنه بعد أن منحهم القوة والارادة على الفعل والترك وجعل لهم الاختيار في ما يفعلون دون أن يجبر أحدا على الفعل، وسيأتى الاستدلال عليه بحوله تعالى.

(19)

القضاء والقدر

أ - معانى القضاء والقدر.

ب - روايات من أئمة أهل البيت (ع) فى القضاء والقدر.

ج - أسئلة وأجوبة.

1 - معانى القضاء والقدر

تستعمل مادّتا القضاء والقدر لعدّة معانٍ منها: فى ما يخص البحث من مادّة القضاء.

أ - قضى أو يقضى بين المتخاصمين كقوله تعالى:

(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس 93) و(الجاثية 17).

ب - قضى الله الامر: أنبأه به كقوله تعالى فى ما أخبر به لوطا عن مصير قومه فى سورة الحجر

/ 66: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَابرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) أى أنبأناه.

ج - قضى الله الشئ، وبه: أوجبه، أمر به كقوله تعالى فى سورة الاسراء / 23: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ).

أى أمر ربك وأوجب عليكم ألاّ تعبدوا إلاّ إياه.

د - قضى الله الامر أو الشئ: تعلّقت إرادته به، قدره كقوله تعالى فى سورة البقرة / 117:

(وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

أى إذا أراد أمرا.

وقوله تعالى فى سورة الانعام / 2: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا).

أى قدر لكل انسان مدّة يحيا فيها.

ومن مادّة القدر:

أ - قدر على الشئ أو العمل: استطاع أن يفعله، يتغلّب عليه فهو قادر، والقدير: ذو القوّة كقوله

تعالى:

1 - فى سورة يس:

(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) (الاية 81).

2 - فى سورة البقرة:

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الاية 20).

أى ذو القدرة على فعل كل شىء على قدر ما تقتضى الحكمة.

ب - قَدَرُ:

1 - قَدَرُ الرِّزْقِ عَلَيْهِ وَيَقْدِرُ: ضَيِّقُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ سَبَأٍ:

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (الاية 36).

2 - قدر الله الامر بقدره: دبره او اراد وقوعه، كقوله تعالى فى سورة المرسلات:

(فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) (الاية 23).

ج - قَدَّرَ:

1 - قَدَّرَ اللَّهُ الْأَمْرَ: قَضَى بِهِ أَوْ حَكَمَ بِأَنْ يَكُونَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي شَأْنِ زَوْجَةِ لُوطَ، فِي سُورَةِ

النمل / 57: (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ).

أى حكمنا، أو قضينا عليها بأن تكون من الهالكين.

2 - قَدَّرَ فِي الْأَمْرِ: تَمَهَّلَ وَتَرَوَّى فِي إِنْجَازِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ سَبَأٍ / 11 مخاطبا داود (ع):

(وَقَدَّرْ فِي السَّرِّ).

أى تمهَّل وتروَّ فى صُنْعِهِ كى تحكم عمله.

د - الْقَدَرُ:

1 - الْقَدَرُ: الْمَقْدَارُ وَالْكَمِّيَّةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجَرِ / 21 (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ).

أى إلى زمانٍ محدَّد معلوم.

أى بمقدار وكميَّة معلومة.

2 - قَدَرُ الشَّيْءِ زَمَانُهُ أَوْ مَكَانُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ / 20 - 22: (الَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ

مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ). (فى الكتاب ص 454)

3 - قَدَرُ اللَّهِ: قِضَاؤُهُ الْمُحْكَمَ، أَوْ حُكْمُهُ الْمُبْرَمَ عَلَى خَلْقِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ /

38: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) أى قضاء محكما، وحكما مُبرَما.

لَعَلَّ تَعَدَّدَ معاني ما يُنسَبُ إلى الله من مادَّتَي القضاء والقدر، قد أدَّى إلى لبسٍ معنى ما ورد منهما في القرآن والحديث واعتقاد بعض المسلمين بأنَّ الانسان يسير في حياته، في كل ما يعمل من خير أو شرٍّ وفق ما قضى الله عليه وقَدَرَ قبل أن يخلق. ويطلق في الاخبار لفظ القدرى على الجبرى والتفويضى كليهما (23). وعليه فإنَّ القَدَرَ اسمٌ للشئ، وضِدُّه كالقَر، اسمٌ للحيض والطَّهر معا. ولا تُطيل البحثَ بإيراد أقوال المعتقدين بذلك، والاجابة عليها، وأنما نكتفى بإيراد الاحاديث التى نجد فيها جوابا لتلكم الاقوال توضيحا وبيانا للامر بحوله تعالى.

2 - روايات من أئمة أهل البيت (ع) فى القضاء والقدر

أولاً: عن أوَّل أئمة أهل البيت علىّ بن أبى طالب (ع) روى فى توحيد الصدوق بسنده إلى الامام الحسن (ع)، وفى تاريخ ابن عساكر بسنده إلى ابن عباس واللفظ للاول قال: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين (ع)، فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبْقضاء من الله وقدرٍ؟ فقال له أمير المؤمنين (ع): أَجَلٌ يا شيخ، فوالله ما علَوْتُم تَلْعَةً ولا هبطتم بطنَ وادٍ إلا بقضاء من الله وقدرٍ فقال الشيخ: عند الله أحتسبُ عنائى (24) يا أمير المؤمنين، فقال: مهلاً يا شيخ، لعلَّكَ تَظُنُّ قضاءَ حتماً وقَدراً لازماً (25) لو كانَ كذلك لبطلَ الثَّوابُ والعِقابُ والامرُ والنهى والزَّجرُ، ولَسَقَطَ معنى الوعيد والوعد، ولم يكنْ على مُسَيءٍ لائِمَةٌ ولا لمُحْسِنٍ مَحْمَدَةٌ، ولكانَ المحسِنُ أُولَى بِاللَّائِمَةِ من المذنبِ والمذنبُ أُولَى بِالإِحْسَانِ من المُحْسِنِ (26) تلكَ مقالةُ عبدةِ الاوثانِ وخُصَماءِ الرَّحْمَنِ وقَدْرِيةِ هذه الأُمَّةِ ومجوسِها. يا شيخُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَ تَخْيِيرًا، ونَهَى تَحْذِيرًا، وأعطى على القليلِ كثيراً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يُطَعْ مُكْرَهاً، ولم يَخْلُقِ السمواتِ والارضَ وما بينهما باطلاً ذلك ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فويلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27).

قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

«أنت الامامُ الَّذى نَرَجُوا بطاعته	يوم النِّجاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرانا»
«أَوْضَحْتَ مَنْ دِيننا ما كان مُلتَبِسا	جزاك ربِّكَ عَنّا فيه إِحسانا»
«فَلَيْسَ مَعْذِرَةٌ فى فِعْلٍ فاحِشَةٍ	قَدْ كُنْتُ راکِبها فسقا وَعَصِيانا»

ثانيا: عن السادس من أئمة أهل البيت (ع)، الامام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع): إِنَّ النَّاسَ فِي الْقَدَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجْبَرَ النَّاسَ عَلَى الْمَعَاصِي فَهَذَا قَدْ ظَلَمَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

ورجلٌ يزعمُ أنَّ الأمرَ مفوضٌ إليهم فهذا قد أوهنَ اللهَ في سلطانه فهو كافر.
ورجلٌ يزعمُ أنَّ اللهَ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا يَطِيقُونَ ولم يكلفُهم ما لا يُطِيقُونَ وإذا أحسنَ حَمْدَ اللَّهِ وإذا أساء استغفر اللهَ فهذا مسلمٌ بالغ (29)

ثالثا: وعن الثامن من أئمة أهل البيت الامام أبي الحسن الرضا (ع) قال:
أ - إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطْعَ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادَ فِي مُلْكِهِ، هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ فَإِنْ ائْتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مِنْهَا صَادًّا، وَلَا مِنْهَا مانِعًا وَإِنْ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ فَشَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَّ وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ (30) .

يعنى أن الانسان الذى اطاع الله لم يكن مجبرا على الطاعة، والانسان الذى عصاه لم يغلب مشيئة الله بل الله شاء أن يكون العبد مختارا فى فعله.

ب - قال:

قال الله تبارك وتعالى:

يا ابن آدمَ بِمَشِيئَتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ، وَبِقَوَّتِي أَدْبَيْتَ إِلَى فِرَاقِي، وَبِنِعْمَتِي قَوَّيْتُ عَلَى مَعْصِيَتِي، جَعَلْتُكَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَوِيًّا، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ (31) .

وفى رواية عملت بالمعاصى بقوتى التى جعلتها فيك (32) .

وعن الامام أبي عبد الله الصادق (ع) قال:

أ - لا جبرَ ولا تفويضَ ولكن أمرٌ بين أمرين قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم يَنْتَه فتركته ففعلَ تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذى أمرته بالمعصية (33) .

ب - ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه وما لم تستطع ان تلوم العبد عليه فهو من فعل الله.

يقول الله للعبد لِمَ عَصَيْتَ؟ لِمَ فَسَقْتَ؟ لِمَ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ لِمَ زَنِيتَ؟ فهذا فعل العبد، ولا يقول له لِمَ مَرَضْتُ؟، لِمَ قَصُرْتُ؟ لِمَ ابْيَضْتُ؟ لِمَ اسْوَدَدْتُ؟ لآنه من فعل الله تعالى (34) .

شرح الروايات

إنَّ للجبر والتفويض جانبين:

أ - ما كان منهما من صفات الله.

ب - ما كان منهما من صفات الانسان.

فما كان منهما من صفات الله فينبغي أخذه منه بوساطة الانبياء، وأوصياء الانبياء عن الانبياء، وما كان من صفات الانسان فان قولنا: افعل هذا اولا افعله دليل على أنا نفعل ما نفعله باختيارنا، وقد عرفنا مِمَّا سبق أنَّ سِيرَ الانسان في حياته لا يشابه سير الذرة والكواكب والمجرات المسخرات بأمر الله في كل حركاتها وما يصدر منها من آثار.

ولم يفوض الله إليه أمر نفسه وكل ما سخر له ليفعل ما يشاء كما يحبُّ، وكما تهوى نفسه، بل إنَّ الله أرشده بوساطة أنبيائه كيف يؤمن بقلبه بالحق، وهداه إلى الصالح النافع في ما يفعله بجوارحه، والضارَّ منه، فاذا اتبع هدى الله، وسار على الطريق المستقيم خطوة أخذ الله بيده وسار به عشر خطوات ثُمَّ جزاه بآثار عمله في الدنيا والاخرة سبعمائة مرة اضعاف عمله والله يضاعف لمن يشاء بحكمته ووفق سُنَّتِهِ.

وقلنا في المثل الذى ضربناه فى ما سبق، بأنَّ الله أدخل الانسان المؤمن والكافر فى هذا العالم فى مطعم له من نوع (سلف سرويس) كما قال سبحانه فى سورة الاسراء / 20: (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا).

فلولا إمداد الله عبده بكل ما يملكون من طاقات فكرية وجسدية، وما سخرَ لهم فى هذا العالم لما استطاع المؤمن أن يعمل عملا صالحا، ولا الضالَّ الكافر أن يعمل عملا ضارًا فاسدا، ولو سلبهم لحظة واحدة اى جزء مِمَّا منحهم من الرؤية والعقل والصحة ... ولما استطاعوا أن يفعلوا شيئا، إذا فإنَّ الانسان يفعل ما يفعل بما منحه الله بمحض اختياره، وبناء على ما بيَّنَّاهُ، أنَّ الانسان لم يفوِّضَ إليه الامر فى هذا العالم، ولم يجبر على فعل بل هو أمر بين الامرين، وهذه هى مشيئة الله وسُنَّتِهِ فى أمر أفعال العباد، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

3 - أسئلة وأجوبة

وفى هذا المقام ترد الاسئلة الاربعة الاتية:

السؤال الاول والثانى: كيف يكون الانسان مختارا فى ما يصدر منه من فعل، مع تسلط الشيطان عليه من حيث لا يراه، واغوائه بما يوسوس إلى قلبه ويدعوه إلى فعل الشر؟

وكذلك شأن الانسان الذى يعيش فى المحيط الفاسد الذى لا يرى فيه غير الشر والفساد أمرا؟

السؤال الثالث: ماذا يستطيع أن يفعل الانسان الذى لم تبلغه دعوة الانبياء فى بعض الغابات؟

السؤال الرابع: ما ذنب ولد الزنا، وما جُبل عليه من حب فعل الشر بسبب فعل والديه؟

ونجد الجواب عن السؤالين الاول، والثانى فى ما أوردناه فى بحث الميثاق باول الكتاب، بأن الله تبارك وتعالى أتمَّ الحجة على الانسان بما اودع فيه من غريزة البحث عن سبب وجود كل ما رآه والتى توصله إلى معرفة مسبب الاسباب، ولذلك قال سبحانه وتعالى فى سورة الاعراف / 172: (أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ). فكما أن الانسان لن يغفل عن غريزة الجوع فى حال من الاحوال حتى يملا جوفه بالطعام كذلك لن يغفل عن غريزة طلب المعرفة حتى يعرف مُسبب الاسباب وفى الجواب عن السؤال الثالث نقول: قال الله سبحانه: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة 286).

أما السؤال الرابع، فجوابه: إن ولد الزنا - أيضا - ليس مجبورا على فعل الشر، وكل ما فى الامر أن الحالة النفسية للوالدين فى حال ارتكابها الزنا وما يريان من نفسيهما بأنهما باشرا بفعلهما خيانة المجتمع وان المجتمع يتقذّر من فعلهما ويحتقرهما ويعاديهما لو اطلع على فعلهما وأنهما عند ارتكابهما الرذيلة فى حالة معادة للنزيهين من تلك الفعلة فى المجتمع والذين هم أبرار المجتمع وأخياره والمتمسكون بفضائل الاخلاق والمعروفون بكل ذلك فى المجتمع؛ وعليه فإن تلك الحالة النفسية العدائية منهما للمجتمع وأبراره تؤثر على النطفة حين انعقادها وتنتقل بالوراثة إلى ما يتكوّن من تلك النطفة، فانه يجبل على حب الشر والعداء للخيرين والمعروفين بالفضيلة فى المجتمع، ومن الامثلة على ذلك زياد بن أبيه وولده ابن زياد فى ما ارتكباها زمان امارتهما فى العراق (35)، وخاصة ما فعله ابن زياد بعد استشهاد الامام الحسين (ع)، مع جسده الشريف وأجساد المستشهدين معه من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنصارهم من التمثيل بهم وحمله رؤوسهم من بلد إلى بلد وسوقه بنات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سبايا إلى الكوفة وسائر ما عاملهم بها فى

حين أنه لم يبق بعد استشهاد الامام الحسين (ع) أى مقاوم لحكمهم ولم يكن أى مبرر له عندئذ فى كل ما فعل من ظلم واستهانة بمقامهم فى المجتمع عدا حبه فى كسر شوكة أشرف بيت فى العرب وأفضله وتوهينهم وحبه للشرّ وعدائه الجبلى الفطرى للكرمين فى المجتمع.

وبناء على ذلك يكون حبّ الشرّ والرغبة فى إيذاء الخيرين والمعروفين بالفضيلة فى المجتمع فطرى فى ولد الزنا على عكس ولد الزواج الحلال والذى ليس من فطرته حبّ الشرّ والرغبة فى إيذاء الخيرين فى المجتمع ولكنهما مع كل ذلك ليسا مجبورين على القيام بكلّ ما يفعلانه ويتركانه من خير وشرّ وأنما مثلهما فى ما جُبلا عليه مثل شابّ مكتمل الرجولة فى الجسد وما يتمتع به من حيويّة دافقة وشهوة عارمة للجنس مع شيخ هرم ناف على التسعين وتهدّمت قواه، يعانى الفتور وفقدان القوى الجسديّة، منصرف عن الشهوة الجنسية وفى عدم تمكّن الاخير من ارتكاب الزنا وتوفّر القوى الجنسيّة فى الاول؛ فإنّ الشابّ القوى مكتمل الرجولة - أيضا - غير مجبور على ارتكاب الزنا فى ما إذا ارتكب ذلك ليكون معذورا فى ارتكابه الرذيلة، وأمّا إذا تيسّر له ارتكاب الزنا وخاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هى المأوى (36) على عكس الشيخ الهرم فإنّه لا يُناب على تركه الزنا لأنّه لم يترك الزنا مع قدرته عليه.

وهكذا كلّما تعمّقنا فى دراسة أى جانب من جوانب حياة الانسان، وجدناه مختارا فى ما يصدر منه من فعل، عدا ما يصدر منه عن غفلة وعدم تنبّه.

إلى هنا كان محور البحوث فى بيان عقائد الاسلام من آيات القرآن الكريم، وفى ما يأتى ندرس بإذنه تعالى سيرة المبلّغين عن الله من القرآن الكريم أولا، وممّا نجد فيه شرحا وبيانا للايات الكريمة فى التوراة والانجيل وكتب السيرة.

-
- (1) أخرج الاحاديث الثلاثة الطبري بتفسير الابه، وأبو وائل شفيق بن سلمة الاسدي الكوفي. قال فى ترجمته بتهذيب التهذيب: ثقة مخضرم، أدرك عهد الصحابة والتابعين، مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة، أخرج له جميع أصحاب الصحاح والسنن (10 / 354).
 - (2) البحار (98 / 162).
 - (3) صحيح البخاري (3 / 34) كتاب الادب، باب 12 و13، وصحيح مسلم ص 1982 الحديث 20 و21 من باب صلة الرحم، ومسند أحمد 3 / 156 و247 و266 و5 / 76.
 - (4) تفسير القرطبي (9 / 329 - 331).
 - (5) والرواية فى سنن ابن ماجة، المقدمة، باب 10، الحديث 90.
 - (6) تفسير ابن كثير (2 / 519).
 - (7) تفسير القرطبي (9 / 329).
 - (8) تفسير الطبري (13 / 111) والسيوطي واللفظ للطبري.

- (9) تفسير السيوطي (4 / 65) عن ابن جرير الطبري والحاكم قال وصَّحَّه.
- (10) مجمع البيان (3 / 135)، القرطبي (8 / 384)، الطبري (11 / 118)، والدر المنثور (3 / 317).
- (11) الطيالسي ص 350، الحديث 2692، ومسنند أحمد (1 / 251 و298 و371)، وطبقات ابن سعد ط. أوروبا (ج 1 / ق 1 / 7 - 9)، وسنن الترمذي (11 / 196 - 197) بتفسير سورة الاعراف.
- وفي البحار (4 / 102 - 103) عن الامام الباقر (ع) باختلاف يسير في اللفظ.
- (12) البحار (4 / 108) نقلا عن توحيد الصدوق.
- (13) البحار (4 / 108) نقلا عن المحاسن.
- (14) البحار (4 / 108) نقلا عن توحيد الصدوق.
- (15) المصدر السابق نقلا عن توحيد الصدوق.
- (16) البحار (4 / 99) عن تفسير علي بن إبراهيم.
- (17) البحار (4 / 102) نقلا عن أمالي الشيخ المفيد.
- (18) البحار (4 / 102) نقلا عن تفسير علي بن إبراهيم.
- (19) البحار (4 / 102) عن علل الشرايع.
- (20) البحار (4 / 111) نقلا عن اكمال الدين.
- (21) راجع تعريف الاشاعرة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم (1 / 119 - 153).
- (22) راجع تعريف المعتزلة في الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم (1 / 55 - 57).
- (23) البحار (5 / 5).
- (24) أي ان كان خروجنا وجهادنا بقضائه تعالى وقدره لم نستحق أجرا فرجائي ان يكون عنائي عند الله محسوباً في عداد أعمال من يتفضل عليهم بفضله يوم القيامة.
- (25) بالمعنى الذي زعمته الجبرية.
- (26) لأنهما في أصل الفعل سيان، اذ ليس بقدرتهما وارادتهما مع أن المحسن يمدحه الناس وهو يرى ذلك حقا له وليس كذلك فليستحق اللائمة دون المذنب، والمذنب يذمه الناس وهو يرى ذلك حقا عليه وليس كذلك فليستحق الاحسان كي ينجبر تحمله لاذى ذم الناس دون المحسن.
- (27) كما في سورة ص: 27.
- (28) توحيد الصدوق (380) وترجمة الامام علي (ع) في تاريخ ابن عساكر (3 / 231) تحقيق الشيخ المحمودي.
- (29) توحيد الصدوق 360 - 361.
- (30) توحيد الصدوق 361.
- (31) توحيد الصدوق 328 / 340، 344، 362 والكافي 1 / 160.
- (32) التوحيد ص 362.
- (33) الكافي 1 / 160 والتوحيد ص 362.
- (34) الطرائف.
- (35) راجع بحث استلحاق زياد في المجلد الاول من كتاب عبد الله بن سبأ للمؤلف، وبحث استشهاد الامام الحسين (ع) في المجلد الثالث من معالم المدرستين.
- (36) إشارة إلي قوله تعالى في سورة النازعات / 40: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى).

الملحقات

الملحق رقم (1)

بدء الخلق وبعض صفات المخلوقين فى الروايات

أولاً - روى أحمد وابن سعد وأبو داود والترمذى بسندهم عن رسول الله قال:
(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك...) الحديث (1) .

وروى ابن سعد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما موجه:

(لما ركب آدم الخطيئة بدت له عورته فكان لا يراها قبل ذلك) (2) .

ثانيا - ورد عن الامام على فى بدء الخلق:

أ - ما رواه المسعودى بسنده عن الامام على (ع) فى كلام اوجز فيه بدء الخلق وقال (ع):
(... فسطح الارض على ظهر الماء، وأخرج من الماء دخانا فجعله السماء، ثم استجلبهما إلى الطاعة فأذعنتا بالاستجابة، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فشهرت فى السماء قبل بعثته فى الارض، فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إياه أسماء الاشياء، فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد إليها الابرار والروحانيين الانوار، ثم نبه آدم على مستودعه، وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه، بعدما سماه إماما عند الملائكة) (3)

ب - ذكر خلق الخلق مفصلا فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة وقال:

(... أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها أحال الأشياء لأوقاتها ولآم بين مختلفاتها غرز وغرائرها، وألزمها أشباحها عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها وأحنائها. ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء، وسكالك الهواء فأجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره. حملة على متن الريح العاصفة، والززع القاصفة. فأمرها برده وسلطها على شده، وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اغتقم مهبها وأدام مربها، وأعصف

مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنَشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيْقِ الْمَاءِ الزَّخَارِ وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفًا بِالْفَضَاءِ تَرْدُ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ. حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ. وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامَهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتَقٍ وَجَوْ فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا وَعُليَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَسَمَكًا مَرْفُوعًا بِغَيْرِ عَمْدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ، وَضِيَاءِ الشُّوَقِبِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَقَمَرًا مُنِيرًا: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَاقُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةٌ الْإِيدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ. وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ وَاللَّسِنَةُ إِلَى رُسُلِهِ، وَمَخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ. وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّقْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنْ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ. نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفَعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنَحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِينِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانُهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا تُرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ. وَلَا طَهًا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ فَجَعَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَاصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْإِضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْإِخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَاسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةُ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْأَذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانُهُ:

(أَسْجُدُوا لِأَدَمَ) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ وَتَعَزَّزَ بِخَلْقِهِ النَّارِ وَاسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلَاصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ.... الْخُطْبَةِ.

ج - روى المجلسى فى البحار فى أنه (ع) ذكر تفصيل خلق الملائكة وقال (ع): وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك، فليس فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية هم أعلم خلقك

بك. وأخوف خلقك منك، وأقرب خلقك إليك، وأعملهم بطاعتك ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الابدان، لم يسكنوا الاصلاب ولم تضمهم الارحام، ولم تخلقهم من ماء مهين، أنشأتهم إنشاء فأسكنتهم سماواتك وأكرمتهم بجوارك وائتمنتهم على وحيك، وجنبتهم الافات، ووقيتهم البليات وطهرتهم من الذنوب، ولولا تقويتك لم يقووا، ولولا تثبيتك لم يثبتوا، ولولا رحمتك لم يطيعوا، ولولا أنت لم يكونوا، أما إنهم على مكانتهم منك وطواعيتهم إياك ومنزلتهم عندك وقلة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا ما خفى عنهم منك لاحتقروا أعمالهم، ولازروا على أنفسهم، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك، سبحانك خالقا ومعبودا ما أحسن بلاءك عند خلقك (4).

شرح الكلمات

أ - الرويَّة:

النظر والتفكير.

ب - همامة النفس:

أهمُّه الامر اذا اقلقه وأحزنه.

ج - أحالها:

حوَّلها من العدم إلى الوجود في اوقاتها.

د - لَامَ:

لَامَ بين الشيئين: جمع بينهما ووافق كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادى فى الانسان.

هـ - غَرَزَ الغرائز:

الغرائز جمع الغريزة: الطبيعة وغرَّز، الغرائز: اودع فى كل مخلوق طبيعته.

و - ألزَمَها أشباحها:

شَبَحَ الشئ: بدا غير جليّ والشبح ما بدا لك شخصه غير جليّ من بعد وشَبَحَ الشئ: ظلُّه

وخياله، يقال: هم اشباح بلا ارواح.

والزم الغرائز أشباحها أى ألزم صاحب الطبيعة طبيعته فهى تلازمه ولا يكون الشجاء مثلا: جبانا.

ز - عارفا بقرائنها وأحنائها:

القرائن جمع القرين المصاحب والاحناء جمع الحنو: الجانب وما اعوج من كل شيء، جسدا كان او غير جسد والحنو عندئذ كناية عما خفى من الشيء وأحناء الامور: مشتبهاتها ويكون المعنى عارفا بجميع ما يقترن بالخلق ويخفى فيهم من طبائع وصفات.

ح - انشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارعاء وسكاسك الهواء فتق الشيء: شقّه.
والارعاء: جمع رجا: الجانب.

وسكائك جمع سكاكة مثل ذوائب: الهواء الملاقى عنان السماء والمعنى: خلق الفضاء المنبسط والهواء الذى علا الفضاء فى جميع جوانب هذا الكون.

ط - فاجرى منها ماء متلاطما، تياره متراكما زخاره.
والزخار: شديد الجرى والامتداد والارتفاع، والمعنى أجرى فى الفضاء ماء يضرب بعض موجه بعضا الاخر راكبا بعضه، فوق بعض الاخر الشديد الجرى.

ى - حملّه على متن الريح العاصفة والزعرع: زعرعه: حركه بشدة والزعرع: من الريح: الشديدة والقاصفة، قصف الرعد: اشتدّ صوته.

ك - فأمرها برده، وسلطها على شدة وقرنها إلى حده: أى أمر الريح برد الماء من الهبوط وسلط الريح على شد وثاقه كأنه سبحانه اوثق الماء بالريح وقرنها إلى حده أى جعل الماء مماسا لسطح الريح.

ل - الهواء من تحته فتيق، والماء من فوقها دفيق فتق الشيء: شقه فهو فتيق ودفق الماء: صبّه فهو دفيق والمعنى:

الهواء تحت الماء منبسط والماء فوق الهواء مصبوب.

م - أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وأدام مربها وأغصف مجراها وأبعد منشأها.
اعتقم: الريح العقيم التى لا تلقح سحابا ولا شجرا أى جعل هبوب الريح لتحريك الماء حسب. ومربها: أريّت الريح: دامت أى ادام هبوبها بلا توقف.

وأغصف: عصفت الريح اشتد هبوبها والمعنى جعل سبحانه جريان الريح شديدا.

س - فأمرها بتصفيق الزخار واثارة موج البحار:

صفق الشيء: ضربه ضربا يسمع له صوت وصفقة مبالغة فى الضرب والاثارة. اثاره إثارة: هيجه ونشره فمخضته مخض السقاء للماء.

ع - وعصفت بها عصفاً بالفضاء تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ وَسَاجِيهِ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ وَرَمَى بِالزَّبْدِ رَكَامَهُ:

مخض السقاء التي فيها اللبن حركه تحريكا شديدا ليخرج الزبد من اللبن.
ساجيه: الساجي، الساكن والمائر الذي يذهب ويجيء او المتحرك وعبّ عبابه: ارتفع اعلاه،
وركامه ما تراكم مِنْهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضِ الْمَعْنَى عصفت الريح الماء بالفضاء ومخضته كما يُمَخَضُ اللبن بالسقاء ورمته بالفضاء تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ وَسَاكِنِهِ إِلَى مُتَحَرِّكِهِ حَتَّى ارْتَفَعَ اعْلَاهُ وَرَمَى بِالزَّبْدِ مَا تَرَكَ مِنْهُ.

ف - فرفعه في هواء منفتح وجوّ منفتح فسوّى منهن سبع سموات.
منفتح: مفتوح واسع والمعنى: رفع زَبَدَ الماء في هواء مفتوح وجوّ واسع وسوى سبحانه من ذلك الركام سبع سماوات.

ص - جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهنّ سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا.

المكفوف: الممنوع من السيلان، والسّمك: السّقف المرتفع والدّسار جمع الدّسر: المسامير أو الخيوط تشد بها الواح السفينة من ليف ونحوه والمعنى جعل الله سبحانه الدنيا من أوّل أمره موجا ممنوعا من السيلان وعليها السموات: سقف: محفوظا عاليا بلا عمد ولا مسامير يشد بعضها إلى بعض.

ق - ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَقَمَرًا مَنِيرًا.
الثوابق: جمع الثاقب المنير المشرق والمستطير منتشر الضياء والمقصود منه الشمس.

ر - فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ:
الرقيم: المرقوم: المكتوب والمائر: المتحرك أَسْمَى مدار الكواكب ومنطقة سيرها من السماء فَلَكَا والمعنى: جعل الشمس سراجا منيرا في فللكها أى مدارها في الجو والقمر كوكبا منيرا في فللكه أى مداره في الجوّ وسقف سائر ولعلّ المعنى ان الشمس والقمر مع فلكيهما في سقف سائر أى في المجرّة التي تحويهما وتسير بهما في مجراها.

الملحق رقم (2)

أصل الكون فى القرآن الكريم

مُقتبس من مقال لحافظ محمد سليم فى مجلة الثقافة الباكستانية إصدار سفارة جمهورية باكستان الاسلامية فى دمشق، العدد: 26 شباط - آذار / 1991 م.

أصول الكون فى القرآن الكريم

الكون كلمة تعبر عما هو موجود خارجا عبر الظواهر الطبيعية بما فى ذلك كافة الخلق والنجوم والكواكب وتوابعها وما إلى ذلك من ظواهر أخرى. ويتألف الكون، حسب ما هو مبين فى موسوعة ماكميلان (encyclopedia macmillan)، من كل الاجسام التى يمكن التعرف عليها كالارض والشمس وأجسام المجموعة الشمسية والمجرات وما بنىها من أشياء.

كما يضم الكون الصخور والمعادن والغازات والتراب والحيوانات والكائنات الانسانية وما إلى ذلك من أجسام ثابتة ومتحركة. ويلجأ الفلكيون إلى استعمال كلمة «الكون» للإشارة إلى الفضاء وكل ما يحويه من أجرام سماوية. أما فيما يتعلق باتساع وفساحة الكون فإن الارض والشمس والكواكب ما هى سوى نقاط بالغة الصغر، والشمس هى نجم منفرد ضمن مجرات تضم ما يقارب المائة ألف مليون نجم.

أما الارض والكواكب الأخرى التى تدور حول الشمس فتشكل أبعادا دنيوية منتظمة تبدو فى منظرنا البشرى ضخمة هائلة.

فالارض تبعد عن الشمس بما يقارب ثلاثة وتسعين مليون ميلا، وهذا الرقم فى منظر البشر يشكل مسافة هائلة؛ إلا أنه صغير جدا إذا ما قورن بالمسافة التى تفصل الشمس عن أبعد الكواكب ضمن المجموعة الشمسية. فعلى سبيل المثال تقدر المسافة بين بلوتو والارض بأربعة أضعاف المسافة بين الارض والشمس أى ما يقارب 3672 مليون ميلا. إن مسافة كهذه إذا ما ضوعفت فإنها تمثل الابعاد الأكثر ضخامة لنظامنا الشمسى.

هناك نظريات عديدة معلنة حول أصل الكون غير أن أحدثها هى التى تُعرف بنظرية بـ (theory bang big)، التى تقدم بها جورج لاميتير عام 1920 م والتى تنص على أن كل المادة والاشعاعات فى الكون جاءت نتيجة انفجار هائل تشكل الكون بعده بصورته الفسيحة وما زالت

تلك العملية فى حالة إستمرار. وحسب هذه النظرية فإنّ الانفجار حدث قبل حوالى 10 - 20 ألف مليون سنة، ونظرا إلى أنّ درجة الحرارة الاوليّة العالية للهيدروجين والهيليوم كانت كافية لتشكيل الوفرة الكونية الملحوظة من الهيليوم، فإنّ ذلك يتوافق بشكل حسن مع القيمة التنبؤيّة. وفى نهاية الامر حدث تفاعل لهذه المادّة ممّا أدّى إلى تشكّل المجرّات. وقد كانت تلك الكتلة الضخمة موجودة فى الكون فى الماضى السحيق، ثمّ لسبب ما انفجرت تلك المادّة، قاذفة المواد المتفجرة نحو الخارج كما يحدث عند انفجار القنبلة، وكان ذلك الانفجار أصل الخلق بالنسبة للكون.

وهناك اكتشاف مدهش آخر لافّت للنظر حول الكون يُدعى قانون هوبل حول توسيع الكون (universe expanding of law shubble). وحسب هذه النظرية فإنّ توسّع الكون عملية مستمرة وأنّ هذا التوسّع موحد الخواص أى أنّ خصائصه متساوية فى كل الاتجاهات.

وتبيّن هذه النظرية أنّ الضوء القادم من المجرّات البعيدة خاضع لما يُعرف بالنقلة الحمراء (red shift)، أى الانزياح الشامل نحو أطوال موجات أكثر سعة لخطوط الطيف المتعلّقة بالاجسام السماوية. وينجم ذلك عن ارتداد المجرّات عنّا.

وقد ظهر مؤخرا أنّ العلماء كشفوا النّقاب عن مجرّات عملاقة تبدو أكبر حجما بكثير من المجرة التى تُعرف باسم درب اللّبّانة (milky way). وتبعد تلك المجرّات عن أرضنا عشر بلايين من السنين الضوئية. وقد تمّ التعرف على هذه المجرّات للمرّة الأولى، وربّما ساعدت العلماء على تحديد فيما إذا كان الكون فى حالة من التوسّع اللانّهائى أو أنّه محتوم عليه أن يتداعى نحو الداخل.

أمّا القرآن الكريم - وهو خاتمة الرّسالات من جانب الخالق - فإنّه يكشف بوضوح كامل عن حقائق أساسية حول خلق الكون، وهو يشرح أنّ كل ما فى الكون ناجم عن عملية الخلق التى قام بها الخالق عز وجلّ.

وقد خلق الله الشمس والقمر والسموات والارض وما بين ذلك بتقدير وتناسب. وحول ذلك يبيّن القرآن الكريم بقوله:

(بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (البقرة / 117).

وتشير هذه الاية الكريمة إلى أنّ الله هو خالق السموات والارض.

وكلمة بديع تدلّ على وجود شيء من العدم. وفى كتابه «المفردات» يبيّن العلامة راغب بأنّ

كلمة بدع تعنى تكوين شيء ما دون الحاجة إلى مادّة أو نموذج. وعندما تستخدم كلمة بديع كصفة

من صفات الله الحُسنى فإنّها تعنى أنّ الله عزّ وجلّ هو الذى خلق الاشياء من العدم. والقرآن الكريم يقول فى موضع آخر:

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ).

(الانعام / 73).

ويقول العلامة راغب أنّ كلمة الحق تستعمل للإشارة إلى شىء جديد لا مثال له. لكنّها عندما ترتبط بوصف الخالق فإنّها تعنى خلق شىء جديد من العدم: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) كذلك يشير القرآن الكريم إلى خلق الظواهر الكونيّة والفيزيائية بقوله: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) وفى موضع آخر: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (يونس / 5).

كما يبيّن الله عظمة خلقه بقوله:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ

الموتى). (الاحقاف / 33)

إنّ الايات الكريمة التى تمّ ذكرها توضح أنّ الله عزّ وجلّ خلق هذا العالم المحسوس بتقدير وميزان وهو قادر على أن يعيد خلقه، وأنّ أمره هو الاصل فى خلق المادّة والطاقة وكل القوانين الفيزيائية والقوى التى تتحكّم بحركتها.

طريقة الخلق

شرح القرآن الكريم طريقة خلق الكون فى مواضع مختلفة.

غير أنّ الايات الاتية يمكن أن تقدّم تلخيصا موجزا للظواهر التى تشمل الطريقة الاساسية لخلق الكون.

(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا)

(الانبيا / 30)

وتتحدّث الاية الثانية عن تشكّل السّموات بعد خلق الارض وتعكس عملية التتالى فى عملية

الخلق:

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ).
(فصلت / 11)

تكشف الآية الأولى الحقائق التالية:

- 1 - أن المادة التي دخلت في خلق الكون كانت ذات كينونة واحدة.
 - 2 - أن الكون بأكمله كان مترابطا كقطعة واحدة.
- الحقائق قبل 1400 سنة، في الوقت الذي لم يكن فيه أى أثر لآية بحوث علمية.
- كما يكشف القرآن الكريم أيضا عن الحقائق المذكورة في نظرية هوبل حول توسع الكون، في الآية الكريمة التي تقول: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذاريات / 47).
- وعندما نحاول فهم التوسع الكوني على ضوء المعرفة الحديثة، نعرف أن الهيدروجين الموجود في الشمس في حالة تحول مستمر إلى عنصر الهيليوم بفعل الانصهار النووي، وأن الغبار النجمي (stardust) والذي هو عبارة عن كتل من النجوم تبدو بالغة الصغر وكأنها ذرات غبار، ما هو إلا وقودا نووياً عالى الدرجة.
- وهكذا فإن الكون بأكمله مؤلف أو مبنى من قدرة أو طاقة محملة وهي في حالة توسع مستمر. وترتكز هذه النتائج على الافتراض الذى يقول بأن الانتقال أو التحول الاحمر (shift red) ناتج عن تأثير دوبلر على الضوء من الاجسام المتراجعة مع إمكانية قياس سرعة التراجع.
- وحول رحابة وتوسع الكون نجد في القرآن الكريم كلمة على جانب كبير من الاهمية في هذا المجال وهي كلمة «العالمين» التي تظهر عشرات المرات في القرآن الكريم كما في الايات التالية:
- (وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ). (البقرة / 251)
- (قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الانعام / 163)
- (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الاعراف / 54).
- (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء / 107)
- 3 - أن الانفصال حدث بشكل منتظم كى ينتج عنه القوانين الفيزيائية وترتيب المادة. وليس الامر مرتبطا بالنظام الذى يميز مجموعتنا الشمسية والكواكب الداخلة في مجرتنا فحسب، بل أن المجرات هي جزء في نظام أعلى. وبدلا من تناثر المجرات بصورة عشوائية في أرجاء الكون، فإنها

مرتبة على شكل مجموعات، وضمن تلك المجموعات تدور المجرات حول كتلتها المركزية المشتركة.

وقد نقل ابن كثير بعض التفسيرات المبكرة للآية، حيث ورد أن السماء كانت قطعة واحدة متكاملة، وقام الله عز وجل بتقسيمها إلى سبع سموات، وأن الأرض كانت كذلك قطعة واحدة وأن الله عز وجل قسمها إلى سبعة أراضى. بينما أوضح بعضهم أن الأرض والسماء كانتا كلاً واحداً وأنهما انفصلا عن بعضهما بواسطة الغلاف الجوى.

وقد تبني الدكتور موريس بوكيل فى الاونة الاخيرة موقفاً قريباً جداً من موقف العلماء المسلمين حول تفسير تشكّل الكون على ضوء الآيات القرآنية الكريمة. فهو يشير إلى «فكرة تفكك الكل إلى أجزاء عديدة بمعنى أن عملية الانفصال من كتلة أحادية رئيسية التحمت عناصرها فى بداية الامر (كانت رتقا). وكلمة فتق تعنى الانفصال أو التفكك والانتشار، بينما تعنى كلمة (رتق) الارتباط والالتحام من أجل تكوين كل متجانس».

وطبقاً للنظرية العلمية المعاصرة فإن ما يعرف بالانفجار الكونى (bang big) كان قد وقع نتيجة حدث تحفيزى واحد فى وقت واحد وفى درجة حرارة عالية بشكل استثنائى. ويفترض بأنه فى تلك الاثناء من الانفجار كان الكون بأكمله عبارة عن جزء واحد فى نقطة واحدة حدث فيها الانقسام. غير أن القوانين الفيزيائية لم تحدث نتيجة ذلك الانفجار. وهنا نجد أن هذه النظرية مشابهة من حيث معلوماتها للمعلومات الواردة فى القرآن الكريم. ومما يدعو إلى الدهشة والغربة أن نجد بأن القرآن الكريم كشف عن هذه (إنى أنا الله رب العالمين) (الفصص / 28)

إن الآيات الانفة الذكر تشير إلى أن الله هو السيد والخالق والحافظ والمنظم للعالم بمعناه الواسع. فكلمة العالمين تضيف مفهوم التعدد للكون.

وهناك بلايين من المجموعات الكوكبية وأن كل مجموعة من تلك المجرات تضم بلايين النجوم والكواكب. ولو أن نجماً واحداً من بين 100,000 من المائة ألف مليون نجم الموجودة فى ما يعرف بدرب اللبنة كان يضم كوكباً مثل كوكبنا الأرضى، فسيغنى ذلك وجود مليون كوكب يمكنه الاتصال مع الأرض. وعلى ضوء علم الكون الحديث يمكن التوقع بحدوث اتصالات ناشطة مع الكواكب الأخرى فى المستقبل المنظور.

لقد قدّم الدكتور موريس بوكيل معلومات علمية تتعلّق بضخامة الكون وسعته. فعلى سبيل المثال تحتاج أشعة الشمس كي تصل إلى بلوتو ما يُقارب الست ساعات رغم أنّ السرعة في تلك الرحلة تزيد على 186,000 ميلاً في الثانية. وبناء على ذلك فإنّ الضوُّ القادم من النجوم التي تقع في نطاق عالمنا السماوي قد يستغرق بلايين السنين كي يصل إلينا.

إنّ هذا التحليل الموجز لعالم الطبيعة ربّما يساعدنا على فهم معنى الآية الكريمة: (والسَّماءُ بَنِينَاها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمَوْسِعُونَ) (الذاريات / 47).

وفي الحديث عن الرّماد والدُّخان في بداية تاريخ الكون، يكشف القرآن الكريم عن ذلك بقوله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ).

إنّ وجود «الدُّخان» في بداية الكون يشير إلى الحالة الغازيّة للمادّة المكوّنة له. وفي العلم الحديث يطرح الباحثون فكرة الغيمة السديميّة (nebula) التي كان عليها الكون في مراحله الأولى. وعندما نقرأ الايتين الكريمتين: (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) و(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)، ندرك بأنّ عملية تشكّل الكون جأت نتيجة تكاثف الغيوم السديميّة الأولى ثمّ انفصالها. وهذا ما يكشف عنه القرآن بوضوح عندما يشير إلى العمليات التي أحدثت الالتحام ثمّ الانفصال الذي كان في الأساس «دُخانا» سماويّا. وهذا ما يحاول العلم الحديث شرحه حول أصل الكون.

ترجمة: فاروق مشهور

الملحق رقم (3)

الاصحاح الحادى عشر والثانى عشر من سفر صموئيل الثانى من

التوراة

صموئيل الثانى 11

وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ.

وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ جِدًّا. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ فَقَالَ وَاحِدٌ أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِنَشْبَعِ بِنْتِ أَلْبَعَامَ امْرَأَةِ أُورِيَا الْحِثِّيِّ. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمَئِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. وَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ إِنِّي حُبْلَى. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوَابَ يَقُولُ أَرْسِلْ إِلَى أُورِيَا الْحِثِّيِّ. فَأَرْسَلَ يُوَابُ أُورِيَا إِلَى دَاوُدَ. فَأَتَى أُورِيَا إِلَيْهِ فَسَأَلَ دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةِ يُوَابَ وَسَلَامَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. وَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ. فَخَرَجَ أُورِيَا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنَ عِنْدِ الْمَلِكِ. وَنَامَ أُورِيَا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَا إِلَى بَيْتِهِ. فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ. فَلِمَ أَذًا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ. فَقَالَ أُورِيَا لِدَاوُدَ إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ وَسَيِّدِي يُوَابُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّخَرَاءِ وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِأَكُلَ وَأَشْرَبَ وَأُضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي. وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا وَغَدًا أَطْلُقُكَ.

فَأَقَامَ أُورِيَا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ.

وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوَابَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَا. وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ. اجْعَلُوا أُورِيَا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيَضْرَبَ وَيَمُوتَ. وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَاسِ فِيهِ. فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوَابَ فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ وَمَاتَ أُورِيَا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. فَأَرْسَلَ يُوَابُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلًا عِنْدَمَا تَفْرُغُ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ فَإِنْ

اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ وَقَالَ لَكَ لِمَذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ. أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ. مَنْ قَتَلَ أَيْمَالَكَ بَنَ يَرْبُوشَ. أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةً بِقِطْعَةٍ رَحَى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ. لِمَذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ. فَقُلْ قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوَابُ. وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. فَرَمَى الرَّمَاةُ عِيْدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عِيْدِ الْمَلِكِ وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ هَكَذَا تَقُولُ لِيُوَابَ. لَا يَسُوْفِي عَيْنِيكَ هَذَا الْأَمْرُ لَأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هَذَا وَذَآكَ. شَدِدْ فِتْنَاكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدَّدَهُ.

فَلَمَّا سَمِعَتْ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ رَجُلُهَا نَدَبَتْ بَعْلَهَا. وَلَمَّا مَضَتْ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَفَجَّحَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ.

الْأَصْحَاحُ الثَّانِي عَشَرَ

فَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ. كَانَ رَجُلَانِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ وَالْآخَرُ فَقِيرٌ. وَكَانَ لِلْغَنِيِّ غَنَمٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ جِدًا. وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ قَدِ اقْتَنَاهَا وَرَبَّاهَا وَكَبُرَتْ مَعَهُ وَمَعَ بَنِيهِ جَمِيعًا. تَأْكُلُ مِنْ لُقْمَتِهِ وَتَشْرَبُ مِنْ كَاسِهِ وَتَنَامُ فِي حِضْنِهِ وَكَانَتْ لَهُ كَابَنَةٌ. فَجَاءَ ضَيْفٌ إِلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ فَقَعَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيَهَيَّءَ لِلضَّيْفِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ نَعْجَةَ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ وَهَيَّأَ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ. فَحَمَى غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ جِدًا وَقَالَ لِنَاثَانَ حَيُّ هُوَ الرَّبُّ إِنَّهُ يُقْتَلُ الرَّجُلُ الْفَاعِلُ ذَلِكَ وَيَرُدُّ النَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ وَلِأَنَّهُ لَمْ يُشْفِقْ.

فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ. هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ. أَنَا مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُلَ وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ فِي حِضْنِكَ وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا كُنْتُ أَزِيدُ لَكَ كَذَا وَكَذَا. لِمَذَا احْتَقَرْتَ كَلَامَ الرَّبِّ لِتَعْمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ.

قَدْ قَتَلْتَ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ بِالسَّيْفِ وَأَخَذْتَ امْرَأَتَهُ لَكَ امْرَأَةً وَإِيَّاهُ قَتَلْتَ بِسَيْفِ بَنِي عَمُّونَ. وَالْآنَ لَا يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْنَكَ إِلَى الْأَبَدِ لِأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ هَآنَذَا أَقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكَ وَآخُذْ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأَعْطِيهِنَّ لِقَرِيْبِكَ فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ. لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالشَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ

وَقَدْ أَمَّ الشَّمْسُ. فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاثَانَ قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ. فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ. الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ تَقَلَّ عَنْكَ خَطِيئَتَكَ. لَا تَمُوتُ. غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ بِهَذَا الْأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْتُمُونَ فَلَا يَبْنِيَنَّ الْمَوْلُودُ لَكَ يَمُوتُ. وَذَهَبَ نَاثَانُ إِلَى بَيْتِهِ.

وَضَرَبَ الرَّبُّ الْوَلَدَ الَّذِي وَلَدَتْهُ امْرَأَةٌ أُورِيَّا لِدَاوُدَ فَتَقَلَّ. فَسَأَلَ دَاوُدُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الصَّبِيِّ وَصَامَ دَاوُدُ صَوْمًا وَدَخَلَ وَبَاتَ مُضْطَجِعًا عَلَى الْأَرْضِ. فَقَامَ شُيُوخُ بَيْتِهِ عَلَيْهِ لِيُقِيمُوهُ عَنِ الْأَرْضِ فَلَمْ يَشَأْ وَلَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمْ خُبْزًا. وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّ الْوَلَدَ مَاتَ فَخَافَ عَبِيدُ دَاوُدَ أَنْ يُخْبِرُوهُ بِأَنَّ الْوَلَدَ قَدْ مَاتَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا هُوَ ذَا لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا كَلَّمْنَاهُ فَلَمْ يَسْمَعْ لَصَوْتَيْنِ. فَكَيْفَ تَقُولُ لَهُ قَدْ مَاتَ الْوَلَدُ. يَعْمَلُ أَشْرًا. وَرَأَى دَاوُدُ عَبِيدَهُ يَتَنَاجَوْنَ فَفَطِنَ دَاوُدَ أَنَّ الْوَلَدَ قَدْ مَاتَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِعَبِيدِهِ هَلْ مَاتَ الْوَلَدُ. فَقَالُوا مَاتَ. فَقَامَ دَاوُدُ عَنِ الْأَرْضِ وَاغْتَسَلَ وَادَّهَنَ وَبَدَّلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ بَيْتَ الرَّبِّ وَسَجَدَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيْتِهِ وَطَلَبَ فَوَضَعُوا لَهُ خُبْزًا فَأَكَلَ. فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي فَعَلْتَ. لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا صُمْتَ وَبَكَيْتَ وَلَمَّا مَاتَ الْوَلَدُ قُمْتَ وَأَكَلْتَ خُبْزًا. فَقَالَ لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا صُمْتَ وَبَكَيْتَ لِأَنِّي قُلْتُ مَنْ يَعْلَمُ. رَبِّمَا يَرْحَمُنِي الرَّبُّ وَيَحْيِيَ الْوَلَدَ. وَالْآنَ قَدْ مَاتَ فَلِمَاذَا أَصُومُ. هَلْ أَقْدِرُ أَرُدُّهُ بَعْدُ. أَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهِ وَأَمَّا هُوَ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيَّ.

الملحق رقم (4)

مناهج البحث فى العقيدة الاسلاميه وتفوق منهج أهل البيت (ع)

مقالة لفضيلة الشيخ عباس على براتى فى مجلة رسالة الثقلين

أصدار المجمع العلمى لاهل البيت (ع) فى طهران

العدد العاشر - السنة الثالثة - 1415 هـ ق

العقيدة الاسلاميه كانت ولا تزال موضع بحث ودراسة المسلمين، والباحثين عن الاسلام، وبمرور السنين والقرون ظهرت اختلافات فى الاراء حول العقيدة الاسلاميه، مع الاتفاق على أن مصدرها هو القرآن والحديث، وإنما جاء الاختلاف نتيجة أسباب عديدة (5) نشير إلى بعضها:

- 1 - الاختلاف فى منهج البحث والاجتهاد.
 - 2 - انخراط الاحبار والرهبان فى صفوف المسلمين ودسّ قصصهم (الاسرائيليات) فى الروايات.
 - 3 - البدع والتأويلات الفاسدة.
 - 4 - النزعات القبلية والاهواء السياسيه.
 - 5 - الجهل وعدم العثور على النصوص.
- وفى هذا المقال نحاول بيان السبب الاول، ونستعرض المناهج الموجوده فى دراسة العقيدة مقارنة بمنهج آل البيت (ع) ونبيّن تفوق المنهج الاخير.
- جذور الخلافات الاعتقادية وتاريخها

ظهرت الخلافات الفكرية والعقائديه فى عصر صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن لم تصل إلى حدّ تكون المذاهب الكلاميه والمدارس الفكرية، لأنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعالجها بنفسه ولا يسمح لها بالاستفحال، وكانت الصداقة تحلّ محلّها، والاخاء والودّ والتعاطف يخيم على المجتمع الرسالى بشكل لم يوجد له مثيل فى التاريخ، إلّا فى فترات قصيره.

وكمثال على ذلك نشير إلى مسألة «القدر» التى شغلت بال الصحابه، ودار النقاش والحوار حولها حتى وصل إلى الجدل والمراء، وعندما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصواتهم خرج من البيت ونهاهم عن ذلك، كما جاء فى كتب الحديث:

روى أحمد بن حنبل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم والناس يتكلمون في القدر. قال: وكأنما تفتق في وجهه حب الرمان من الغضب قال: فقال لهم: «مالكُم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم» (6).
والقرآن والسنة تركا للامة أصول العقيدة وأمّاتها، وطرحت بعض الاسئلة فيما بعد، حيث لم يكن لها جواب صريح في القرآن والسنة فكانت تحتاج إلى استنباط واجتهاد، فصار ذلك من مسؤولية الفقهاء والمجتهدين في العقيدة والشريعة ولذلك نجد الصحابة يختلفون فيما بينهم في المسائل الاعتقادية، وهناك فرق بين اختلافهم في عصر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين اختلافهم بعد وفاته، ففي حياته كان هو الحكم بينهم وكلماته كانت تحسم الخلاف (7). ولكن بعد وفاته كانوا يحكمون اجتهاد واحد من الصحابة أو فئة منهم حسب اختيار الخلفاء والحكام، وإن كان للصحابة الآخرين آراؤهم ونظرياتهم، ومن أمثلة ذلك الامران التاليان:

1 - الخلافة أو الامامة الكبرى بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (8).

2 - قتل مانعي الزكاة وأن عملهم هذا هل أوجب الردّة؟

وكان كل خلاف مبدأ نشوء آراء وطوائف ومذاهب كلامية واعتقادية، وبطبيعة الحال، فإن كل واحد منها كان يشكل مجموعة مدوّنة من الآراء والعقائد مرفقة بمنهج خاص في الاستدلال والاستنباط. وأهم المناهج - حسب ما أدّت إليه دراستنا تنحصر فيما يلي:

1 - المنهج النقلى المحض.

2 - المنهج العقلى المحض.

3 - المنهج الذوقى والاشراقى.

4 - المنهج الحسى والتجريبى (العلمى).

5 - المنهج الفطرى.

المنهج النقلى المحض

ويعتبر الامام أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ) رائدا لتلك المدرسة في ذلك الوقت، ومن أقدم شخصياتها، وهذا المنهج يمثل «أهل الحديث» الذين لا شأن لهم عدا المحافظة على التراث الروائى ونقله دون التدبّر والتعمّق في مغزاه، وتمييز غثه من سمينه، وصحيحه من سقيمه، ويسمّى هذا الاتجاه في العصور الاخيرة باسم «السلفية» وينحو الحنابلة في الفقه هذا المنحى. إنّ هؤلاء حرّموا

الرأى والنظر فى المسائل الدينية، وعدّوا السؤال بدعة، والكلام والحجاج فيها ابتداعا وانحيازاً لاهل
الاهواء، وعكفوا على دراسة السنّة دراسة خالية من التعمّق، وسمّوا منهجهم هذا «اتباعاً» وغيره
«ابتداعاً».

وقصارى جهد هؤلاء أن يدوّنوا الاحاديث الواردة فى المسائل الاعتقادية، أو ييوّبوا أو
يشرحوا ألفاظها أو يذكروا أسانيدها، كما فعله الامام البخارى وأحمد بن حنبل وابن خزيمة
والبيهقى وابن بطّة، وبلغ بهم الامر إلى أن حرّموا علم الكلام والنظر العقلى فى مسائل العقيدة، وأفرد
بعضهم رسالة فى تحريمه، كما فعل ابن قدامة فى رسالته المسمّاة «رسالة تحريم النظر فى علم
الكلام».

قال أحمد بن حنبل: «لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلاّ وفى
قلبه دغل». وبالف فى ذمّه حتى هُجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً فى
الردّ على المبتدعة، وقال له: ويحك أأست تحكى بدعتهم أو لا ثمّ تردّ عليهم؟!
أأست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكّر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى
الرأى والبحث؟

وقال أحمد: علماء الكلام زنادقة!

وقال الزعفرانى: قال الشافعى: حكمى فى أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد ويُطاف بهم فى
القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنّة وأخذ فى الكلام.
وقد اتّفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه،
وقالوا: ما سكّت عنه الصحابة - مع أنّهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الالفاظ من غيرهم - إلاّ
لعلمهم بما يتولّد منه من الشرّ، ولذلك قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «هلك المتنطّعون،
هلك المتنطّعون، هلك المتنطّعون». أى المتعمّقون فى البحث والاستقصاء (9).

وهؤلاء كانوا ينحون فى العقيدة منحى التجسيم والتشبيه والقول المطلق بالقدر وسلب الحرية
عن الانسان (10).

وهذه الطائفة جوّزت التقليد فى العقيدة وحرّمت النظر كما مرّ، يقول الدكتور أحمد محمود

صبحى:

«بما أن العقيدة لا يمكن فيها التقليد ولا يجوز، خلافا لعبيد الله بن الحسن العنبري والحشوية والتعليمية(11) . وكذا للرازي في المحصل(12) .

ورأى جمهور العلماء على عدم جواز التقليد فيه، وأسند الاستاذ أبو إسحاق في «شرح الترتيب» إلى إجماع أهل العلم من أهل الحق وغيرهم من الطوائف، وقال إمام الحرمين في «الشامل»: لم يقل بالتقليد في الاصول إلا الحنابلة. ولكن الامام الشوكاني يعتبر التكليف بوجوب النظر في العقائد تكليفا بما لا يطاق، ويقول بعد سرده لاقوال الائمة: فيالله العجب من هذه المقالة... فإنها جناية على جمهور هذه الامة المرحومة، وتكليف لهم بما ليس في وسعهم ولا يطيقونه، وقد كفى الصحابة الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد ولا قاربوها الايمان الحملى... بل حرم على كثير منهم النظر في ذلك وجعله من الضلالة والجهالة...»(13) .

ومن ثم، فعلم المنطق أيضا حرام عند هؤلاء، ولا يعتبر منهجا في الوصول إلى المعرفة البشرية، على الرغم من أن علم المنطق من أشهر المقاييس وأقدمها، وهو ما وضعه ارسطو في كتاب سمّاه أيضا الارغانون وسماه علم الميزان.

وعلم المنطق في رأى أصحاب هذا الاتجاه لا يكفي وحده لصون الفكر عن الخطأ، فإن كثيرا من مفكرى الاسلام برعوا في المنطق، كالكندي والفارابي وابن سينا والامام الغزالي وابن ماجة، وابن طفيل، وابن رشد، ولكن اختلفوا في أفكارهم وآرائهم ونزعاتهم اختلافا جوهريا، فلا يكون المنطق ميزانا بين الحق والباطل!

ولكن موقف هذا الاتجاه اعتدل كثيرا تجاه علمى المنطق والكلام في العصور المتأخرة، مثلا نشاهد ابن تيمية مضطربا في موقفه عن علم الكلام، فلا يحرمه تحريما باتّا بل يجوزّه إذا دعت إليه الضرورة، واستند إلى الادلة العقلية والشرعية وصار سببا لوضع حدّ لشبه الملاحدة والزنادقة(14) .

ولكنه في الوقت نفسه يحرم علم المنطق ويؤلف رسالة اسمها «رسالة الردّ على المنطقيين» ويقول أتباعه: نجد ديكارت الفرنسى (1596 - 1650 م) اخترع مقياسا للفصل بين الخطأ والصواب بدلا عن المنطق الارسطاطاليسى، وكان يؤكّد على أنّ الانسان لو اتبع في تفكيره المقياس الذى اخترعه خطوة خطوة فإنّه لا مناص سينتهى إلى الصواب وستكون ثمرة السير مع المنهج الديكارتى، اليقين، ولكن انتهى الامل فى منهج ديكارت كما انتهى الامل فى منطق ارسطو بالنسبة إلى الانسان المعاصر وبقيت المسائل التى بحثت قبل الميلاد كما كانت(15) .

وهذا ما دفع جمعا من المفكرين المسلمين القدماء إلى رفض الطريقة العقلية كما هو الحال بالنسبة إلى الامام الغزالي (450 - 505 هـ) فى كتابه «تهافت الفلاسفة» حيث هدم فى هذا الكتاب آراء الفلاسفة بأدلة عقلية، والتأمل فى كتابه هذا يشهد بأن رأى الامام الغزالي هو: أن العقل الذى يبنى هو العقل الذى يهدم.

والامام الغزالي يثبت أن العقل الانسانى فى عالم الالهيات والاخلاق لا يتأتى منه إلا ظنون لا تصل إلى اليقين. وقد ردّ عليه الفيلسوف الاسلامى ابن رشد الاندلسى (ت: 595 هـ) فى كتابه «تهافت التهافت». وابن رشد هو الذى يثبت أن العقل الصريح والنقل الصحيح ليس بينهما أى تعارض، وهذا ما يبدو من كتابه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» والعجيب أنه فى هذا الموقف يلتقى باين تيمية فى كتابه «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول».

فكيف يمكن الجمع بين موقفى ابن تيمية هذين يا ترى؟! إنَّ منهج أهل الحديث لدى السنّة، والاخبارية لدى الشيعة (16) اتّباع ظواهر النصوص الشرعيّة من الايات والروايات ومحاولة اجتناب الرأى والقياس حسب الامكان (17). وينتشر المذهب السلفى أو مذهب أهل الحديث فى عصرنا هذا فى الجزيرة العربية (بلاد نجد) وتوجد جماعات قليلة منهم فى العراق والشام ومصر (18).

المنهج العقلى المحض:

يتميز هذا المذهب باعتماده على العقل البشرى كأداة للمعرفة، وهم أصحاب مدرسة الرأى فى الفكر الاسلامى، وفى العقيدة يمثلهم «المعتزلة»، وقد بدأ هذا المنهج من عصر مبكّر من تاريخ الاسلام، ويعتبر المؤسس الاول لهذه المدرسة «واصل بن عطاء» (80 - 131 هـ) وزميله «عمرو بن عبيد» (80 - 144 هـ) المعاصر للمنصور الدوانيقى، ثمّ من روادها أحمد بن أبى دؤاد وزير المأمون العباسى والقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى (ت: 415 هـ) ومن أكابرهم النّظام وأبو الهذيل العلاف والجاحظ والجبائىان.

هذا الاتجاه يعطى العقل البشرى قيمة كبرى ودورا مهما فى معرفة الله سبحانه وصفاته، والشريعة الاسلامية فى رؤيتهم لا يتم إدراكها وتطبيقها إلا بالعقل الانسانى.

ولكن لا يوجد لهذا المذهب فى عصرنا الحاضر أتباع وأنصار بهذا الاسم، وإنما دخلت عناصر من فكرهم فى المذهب الزيدى والاباضى.

وبإمكاننا أن نقول إن هؤلاء مشتركون مع المعتزلة في عدّة مواقف فكرية، وتلتقى - المعتزلة - أيضا بالشيعة الاثنى عشرية والاسماعيلية في بعض الجوانب، وأهل الحديث يطلقون على المعتزلة لقب «القدرية» لقولهم بحريّة الارادة الانسانية.

ومن أهمّ كتبهم التي جاءت فيها عقائدهم، كتاب «شرح الاصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار المعتزلي و«رسائل العدل والتوحيد»

تأليف جماعة من زعماء المعتزلة، كالحسن البصري والقاسم الرسى وعبد الجبار بن أحمد. كان المعتزلة إذا واجهوا آيات قرآنية أو سنّة مروية على خلاف معتقداتهم يؤوّلونها، ولذلك يعتبرون من أتباع مدرسة «التأويل»، وفي نفس الوقت قدّموا خدمات كبيرة للإسلام وتصدّوا للهجوم الفكري العنيف المضاد للإسلام في العهد العباسي الاول. وقد مال إليهم بعض الخلفاء كالمأمون والمعتصم، ولكن سرعان ما انقلب الامر عليهم في عهد المتوكل، وتتابع صدور أحكام الكفر والضلال والتفسيق عليهم، كما كانوا يؤذون مخالفيهم في عهد سيطرتهم على البلاط العباسي، ويعذبون من لا يرى رأيهم.

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المؤلفات الحديثة والقديمة في هذا المجال (19) .

وكان للمعتزلة خمسة أصول يعرفون بها:

1 - التوحيد، بمعنى تنزيه الله سبحانه عن صفات المخلوقين، وعدم إمكان رؤيته بالابصار مطلقا.

2 - العدل، بمعنى أنّه سبحانه لا يظلم عباده ولا يجبر خلقه على المعصية.

3 - المنزلة بين المنزلتين، أي ان مرتكب المعصية الكبيرة لا مؤمن ولا كافر بل فاسق.

4 - الوعد والوعيد، بمعنى أنّه يجب الوفاء على الله في وعده بالجنة للمؤمنين وفي وعيده بالنار للكافرين.

5 - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي وجوب مخالفة الحكّام الظلمة إذا لم يرتدعوا عن ظلمهم (20) .

مكانة المذهب الاشعري والمذهب الماتريدي بين المناهج

المذهب الاشعري - ويمثله اليوم غالبية أهل السنّة في العالم - مذهب معتدل بين المعتزلة وأهل الحديث، فإن الشيخ أبا الحسن الاشعري (ت: 324 هـ) كان في بداية أمره معتزليا وعاش على هذا

المذهب قرابة أربعين سنة، ونحو سنة (300 هـ) أعلن على منبر الجامع بالبصرة براءته من الاعتزال، ورجوعه إلى مذهب السنّة والجماعة، وأراد أن يسلك في الجمهور مسلكا وسطا على الظاهر بين الطريقة العقلية للمعتزلة وطريقة أهل الحديث، وأراد أن ينتصر لأهل الحديث ولكن بنفس أسلوب المعتزلة، أعنى بالاستدلال العقلي والبرهنة.

وبسبب ذلك نفاه المعتزلة عنهم ورفضه أهل الحديث، وهم إلى الآن يؤاخذونه بملاحظات أساسية يعدّونها انحرافا جذريا في العقيدة، حتى إن بعض المتطرفين منهم يكفّرونه.

كان رجل آخر معاصرا للاشعري يريد أن ينتهج نفس المنهج دون أن يكون بينهما صلة ولا علاقة، وهو أبو منصور الماتريفي السمرقندي (ت: 333 هـ) وهو أيضا إمام لطائفة من أهل السنّة في العقيدة، وأحيانا توجد بين آراء الزعيمين اختلافات أنهاها بعض إلى أحد عشر فارقا أساسيا(21) .

وأهم ميزات مدرسة الاشعري أنّه كثيرا ما يتجنّب عن تأويل ظواهر الايات والروايات ويحاول أن يهرب عن الوقوع في مهاوى التشبيه والتجسيم بالقول «بلا كيف» في صفات الباري، وعن مهاوى الجبر في مسألة القدر بقوله «بالكسب» وإن كان منهجه هذا يعتبر لدى فريق آخر من العلماء عجزا وقصورا عن حلّ المسائل الفكرية والاعتقادية. وتدرجيا استطاع المذهب الاشعري الصمود أمام حملات أهل الحديث وانتشر في العالم الاسلامي (22) .

المنهج الذوقي

من هنا ننقل الحديث إلى اتجاه آخر متميز، يضع المسائل الكلامية على طاولة البحث والنقاش ويسلك فيها المسالك الرمزي الذوقي الخاص بالصوفية، وهو مسلك يختلف تماما عن مسلك الفلاسفة والمتكلمين القائم على العقلية ثمّ السمعية. ويعتبر الحلاج (ت: 309 هـ) مؤسسا لهذه المدرسة في بغداد، والامام الغزالي من أكبر روّاد هذه الطريقة، فهو يقول في كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام» إن هذه طريق «الخاصّة» وما دونها طريق «العامة» ومن لا يفترق عنهم سوى أنّه يعرف «الادلّة» وليس الاستدلال(23) .

وقد أفرد بعض الباحثين كتابا خاصا في منهج الامام الغزالي والصوفية في دراسة العقيدة الاسلامية(24) .

وقد نبّه على منهجه الدكتور صبحي قائلا:

«وإذا كان الغزالي قد حرّم النظر في حقيقة الذات الالهية على العامة وذلك ما لا ينكره أحدٌ عليه، فإنّه أدرج ضمن العوام الادباء والنحاة والمحدثين والفقهاء والمتكلمين، وجعل التأويل مقصودا على الراسخين في العلم، وهم في نظره الاولياء الغارقون في بحار المعرفة، المتجردون عن دنيا الشهوات، وهى عبارة تعدّ قرينة لصحّة دعوى من رأى من الباحثين للغزالي معتقدا خاصّا في الحكمة الاشراقية وفي الفيض، وفي نظرية المطاع مغايرا لمعتقده العامّ الذى أصبح به في نظر جمهور المسلمين حجة الاسلام».

ويتساءل الدكتور صبحي:

«هل الراسخون في العلم هم الصوفيّة دون الفقهاء والمفسرين والمتكلمين؟! وإذا كان الشر قد ثار منذ فشت صناعة الكلام، ألاّ يفتح هذا الاستثناء المجال للصوفيّة أن يكون لهم وحدهم السبيل إلى الشطحيات والدعاوى؟! ونظريات التصوّف الفلسفى كالفيض والاشراق وأصولها الاجنبية واضحة، وشرورها على العقيدة الاسلامية ليست بأهون من شرور المتكلمين» (25) .

ولكن مع ذلك كلّه فقد تركوا تراثا ضخما في العقيدة الاسلامية على النهج الصوفى ومن أمثلة ذلك كتاب «الفتوحات المكيّة» (26) .

المنهج العلمى التجريبي

هذا منهج حديث فى الفكر الاسلامى، وقد تبع فيه بعض العلماء المسلمين فى القرن الاخير رواد الفكر الاوروبى المعاصر، ويوجد أتباعه فى مصر الحديثة وفى الهند والعراق، وجميع البلدان الاسلامية التى احتك أهلها بالاستعمار الغربى وبالتيارات الفكرية الوافدة من الغرب إلى العالم الاسلامى.

ولهم رأى خاصّ فى أدوات المعرفة البشرية، ومن ميزاتهم الاعتماد التامّ على الاساليب الحسيّة والتجريبية، ورفض المنهج العقلى القديم والمنطق الارسطاطاليسى رفضا باتا، وحاولوا البحث عن المعارف الالهية و(الميتافيزيقا) والدين بأساليب العلوم العملية والتجربة الميدانية (27) .

ومن آثار هذا المذهب الكلامى تفسير المعجزات تفسيراً مادّياً وتفسير النبوة بالنبوغ والعبقريّة البشرية، وقد أفرد بعض الباحثين دراسته لهذا الاتجاه (28) وتوجد أمثال هذه الآراء فى آثار السيد أحمد خان الهندى (29) وهو ممن يقترب إلى هذا الاتجاه وإن لم يكن بإمكاننا أن نعدّه من أتباع هذه المدرسة، وسبب تقاربه إلى هذا المنهج أنّه بطرّحه آراء العلماء المحدثين الغربيين فى تفسير

القرآن وحشد تفسيره بها يحاول أن يثبت أن القرآن موافق تماما للمكشفات الحديثة، ولا يعدو أحمد خان الهندي أيضا القول بأن القرآن ينطبق تماما مع معطيات العلوم الحديثة، دون أن يضع لهذه النظرية حداً أو إطاراً، ويبين الموضوع والمنهج والمرمى في المسائل الدينية والدراسات العلمية الحديثة (30).

منهج آل البيت (ع) أو المنهج الفطري
الملاحم الاصلية لهذا المنهج موجودة في تعاليم آل البيت (ع) وهم يبينوا للناس أن الفهم الصحيح للعقيدة الاسلامية لا يمكن بدون تطبيق هذا المنهج، وهو في الاساس مأخوذ عن الكتاب والسنة، حيث جاء في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:
(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم / 30).

وقد نوه الباري الكريم أن خير طريقة للوصول إلى المعارف الدينية هي الفطرة الانسانية السليمة التي لم تتغير ولم تتبدل بالبيئة الفاسدة وسوء التربية، ولم تنطمس بالاهواء والمجادلات، وأن أكثر الناس لا يستطيعون الوصول إلى الحق والحقيقة (لا يعلمون) بسبب أن العصبية أطفأت نور فطرتهم، والطغيان حال بينهم وبين الاهتداء بفطرتهم إلى الحقائق والعلوم الحقيقية الالهية. وكذلك جاءت السنة المطهرة لتؤكد هذه الظاهرة، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (31).
وليس منهج الفطرة بعيدا عن استخدام العقل والنقل والشهود والاشراق والطريقة العلمية، والمهم في هذا المنهج عدم حصره لادوات المعرفة في واحد منها، بل استخدام كل واحد في مكانه بحسب هداية الله سبحانه وتعالى كما تحدت عنه الكتاب العزيز بقوله:
(يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) (الحجرات / 17).

ويقول في آية أخرى:

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا) (النور / 21).

ومن ميزات هذا المنهج أن أتباعه يتجنبون الوقوع في المناظرات الكلامية والشكوك والشبهات المعقدة، ويحتجون بأحاديث أهل البيت (ع) في النهي عن الخصومات في الدين والجدال، ويرون أن

المتكلمين الذين لم يهتدوا إلى هذا المنهج قد يصل اختلافهم في مذهب واحد على مسائل العقيدة إلى قرابة مائة مسألة (32) .

وقد يعبر بـ «الطينة» في روايات أهل البيت (ع) عن هذه الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها، وقد يعبر عنها بالعقل المطبوع، ومن أراد ذلك فليراجع المجاميع الحديثية لشيعتنا أهل البيت (ع) الذين احتفظوا بتراثهم المجيد (33) .

أصول منهج أهل البيت (ع) في دراسة العقيدة الإسلامية

من أهمّ المباحث في العقيدة، البحث عن مصادرها. ومصادر العقيدة كما ذكرنا سابقا تنحصر في الكتاب والسنة، ولكن الفارق الأساس هنا بين منهج أهل البيت وغيرهم، أنهم يظلون أوفياء لهذه المصادر، ولا يؤثرون عليها هوى ولا عصبية، وإنما يراعون في استقاء العقيدة عن هذين المصدرين الأصول العامة للاجتهاد المأثورة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن القرآن الكريم، ومن ذلك:

1 - لا يقدمون الاجتهاد على النصّ، إذا كان النصّ خاليا عن المعارض، أو أن المعارض لا يقوى على مقاومة النصّ، بخلاف بعض أرباب الأهواء والمذاهب، فإنهم يريدون أن يتخلّصوا من بعض النصوص بتأويلات واهية ومبررات ضعيفة سنوفايك بنماذج منها، ونبه إلى ذلك أمير المؤمنين على (ع) في كلامه للحارث بن حوط: «... إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه» (34) .

2 - ويمكن استخلاص أصل آخر من ذلك وهو: «أن أتباع أهل البيت (ع) لا يقدمون على النص والرواية شيئا، حينما يكون النص متواترا قطعيا»، وهذا أصل هام في العقيدة الإسلامية، فإن الظنون والأهوام لا مجال لها في العقيدة، وهذا ما يجب أن ينتبه إليه الاتجاه السلفي الذي يقل الروايات الضعيفة وأخبار الاحاد في العقيدة، ويدافع عنها دفاع المستميت، ويكفر عليها المسلمين. فعليه أن ينتبه أن في الروايات صدقا وكذبا، وعمما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما (35) . وسيوافيك مزيد من الشرح والابانة عن هذا الموضوع.

3 - العقائد الإسلامية تنقسم إلى قسمين: ضروري ونظري. والضروري مالا ينكره أحدا إلاّ خرج من الدين، لبداهة اندراجه في الدين كالتوحيد والنبوة والمعاد. والنظري ما يحتاج إلى الفحص

والبرهان والشاهد والدليل، ويمكن أن يختلف فيه أرباب المذاهب وأصحاب الآراء. ومنكر
الضرورة يكفر ولا يمكن تكفير منكر النظرى.

4 - عدم القول فى العقيدة بالقياس والاستحسان.

5 - الايمان بموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، بشرط مراعاة توفر الاوصاف فيهما، ولا
يعامل الظن كالقطع، ولا يؤخذ بالمنقول الضعيف ولا بخبر الواحد مكان الصحيح المتواتر.

6 - وجوب الاجتناب عن الاجتهادات وعدم استخدام التعابير التى تعدّ من «البدعة».

7 - عصمة الانبياء والائمة الاثنى عشر (ع) بالادلة القطعية، فإذا صحّ عنهم شىء وجب الايمان
به، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، ولكنه إذا راعى شروط الاجتهاد وبذل جهده واستفرغ وسعه
فهو معذور.

8 - يوجد فى الامة من يسمى «محدثاً» و«ملهما»، ومن يرى الرؤيا الصحيحة ويهتدى إلى
الحقائق، ولكن كلّ ذلك يحتاج إلى الاثبات، وله مجاله فى العقيدة، والعمل لا يعدو عنه بوجه من
الوجوه.

9 - المناظرة والنقاش فى العقيدة إذا كانا بقصد الافهام والتفهم المقترن بالادب والتقوى فهو أمر
مرغوب فيه، ولكن على الممر أن لا يقول ما لا يعلم، وإذا وصلا إلى المراء واللجاج ورافقا
المنكرات القولية والخلقية فهو أمر قبيح يجب الاجتناب عنه صونا للعقيدة.

10 - «البدعة» ما يخترع باسم الدين دون أن يكون منه، أو يكون له أصل فى الشريعة، وقد
يسمى شىء بدعة وليس ببدعة عند الامعان والتدقيق، وقد يسمى أمر سنة وليس الامر كذلك
فيجب التثبت أولاً ثم الافتاء (36) .

11 - وجوب التدقيق والتمعن فى «التكفير» وما لم يثبت كفر أحد بإقراره أو بقيام البيّنة عليه
بحيث لا يمكن تطرّق شبهة عليه فلا يجوز الحكم بتكفيره، لان التكفير موجب للحدّ الشرعى،
والقاعدة فى الحد الشرعى: «ان الحدود تدرأ بالشبهات»، وإن التكفير من أعظم الذنوب إلا أن
يكون بحق (37) .

12 - وجوب ردّ الخلافات إلى الكتاب والسنة والعترة كما أمر به رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) امتثالاً لقوله تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) (النساء / 83).

13 - منهجهم فى الصفات: أن الله عزّ وجلّ حىّ لنفسه لا بحياة وأنّه قادر لنفسه وعالم لنفسه لا بالمعنى الذى ذهب إليه المشبهة من أصحاب الصفات والاحوال المبتدعات، كما أبدعه أبو هاشم الجبائى وفارق به سائر أهل التوحيد وارتكب أشنع من مقال أهل الصفات. وهذا مذهب الامامية كافة والمعتزلة - إلّا من سمّناه - وأكثر المرجئة وجمهور الزيدية وجماعة من أصحاب الحديث والحكمة(38) ، فهم بذلك بين أهل الاثبات والتعطيل.

14 - يعترفون بالحسن والقبح العقليين وأن العقل يدرك حسن بعض الاشياء وقبحها بالضرورة. تطبيقات لمنهج أهل البيت (ع) فى العقيدة
يبرز هذا المنهج عندما يطبق فى مباحث العقيدة معلومات واضحة ومعطيات يقينية راقية، وهذه نماذج منها:

فى باب التوحيد:

يعطى منهج أهل البيت (ع) فى هذا الباب: التنزيه المطلق، عملا بقوله تعالى:
(ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (الشورى / 11).

وكذلك يثبت بها نفى الرؤية البصرية لله سبحانه وتعالى مطلقا، عملا بقوله تعالى:
(لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) (الانعام / 103).

وكذلك يبيّن عدم إمكان وصفه تعالى بصفات المخلوقين ومن قبل المخلوقين، عملا بالاية
الكريمة:

(سبحانه وتعالى عما يصفون) (الانعام / 100).

والاية: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) (الزخرف / 82).

فى باب العدل:

نتيجة التطبيق العملى لمنهج آل البيت (ع) فى العقيدة هى نفى الظلم عن الله سبحانه وتعالى
وإطلاق العدل عليه، كما قال تعالى: (إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة) (النساء / 40).

وقال: (إنّ الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) (يونس / 44).

فى باب النبوة:

منهج آل البيت (ع) فى مبحث النبوة يؤدى إلى القول بعصمة الانبياء مطلقا، عملا بقوله تعالى:
(وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة) (آل عمران / 161).

وقال تعالى: (اقل إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (الانعام / 15).
وكذلك يعتقدون بعصمتهم في أداء الوحي، عملاً بقوله تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل *
لاخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين) (الحاقة / 44 - 46).
وكذلك القول بعصمة الملائكة لقوله تعالى: (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم
ويقولون ما يؤمرون) (التحريم / 6).

في باب الامامة:

كذلك يقولون في باب الامامة بأنها عهد إلهي، ولا يصل إلى غير المعصوم، وذلك في الامامة
الكبرى، أي النبابة عن النبي في أمور الدنيا والدين، عملاً بقوله تعالى: (وإذا ابتلى إبراهيم ربه
بكلمات فأتتهن قال إِنِّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) (البقرة
/ 124).

وبذلك نصل إلى نتيجة وهي: أن منامات الرسل والانبياء والائمة (ع) صادقة لا تكذب، وأن
الله تعالى عصمهم عن الخطأ في الاحلام (39).

وكانت هذه نماذج من التطبيقات لمنهجهم (ع) في العقيدة.

دور العقل في الاستنباط على ضوء منهج أهل البيت (ع) هذا المنهج متوسط بين التطرف
المعتزلي والجمود الظاهري وطريقة أصحاب الحديث.

يقول الشيخ المفيد (ت: 413 هـ):

«ليس يضرّ الامامية في مذهبها الذي وصفناه عدم التواتر في أخبار النصوص على أئمتهم (ع).
ولا يمنع الحجة لهم بها كونها أخبار آحاد، لما اقترن إليها من الدلائل العقلية فيما سمّيناه وشرحناه
من وجوب الامامة وصفات الائمة (ع) بدلالة أنها لو كانت باطلة على ما توهم الخصوم لبطلت
بذلك دلائل العقول الموجبة لورود النصوص على الائمة...» (40).

ويقول أيضاً: «فإنى بتوفيق الله ومشيتته مثبت في هذا الكتاب ما أثر إثباته من فرق ما بين
الشيعة والمعتزلة، وفصل ما بين العدلية من الشيعة ومن ذهب إلى العدل من المعتزلة» (41).

ويقول الشيخ الصدوق، محمد بن بابويه (ت: 381 هـ) «... إن الله لا يدعو إلى سبب إلا بعد
أن يصور في العقول حقائقه، وإذا لم يصور ذلك لم تتسق الدعوة، ولم تثبت الحجة، وذلك أن

الاشياء تألف أشكالها وتنبو عن أضدادها، فلو كان فى العقل انكار الرسل لما بعث الله عز وجل نبيا قط» (42) .

ويقول أيضا: «القول الصواب فى هذا الباب هو أن يقال: عرفنا الله بالله، لأننا إن عرفناه بعقولنا، فهو عز وجل واهبها، وإن عرفناه بأنبيائه ورسله وحججه (ع) فهو عز وجل باعتهم ومرسلهم ومتخذهم حججا، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل محدثها. فيه عرفناه» (43) .

وهذا الاسلوب من استخدام العقل، أى تشفيعه بالثقل وبالأئمة المعصومين لانكاد نراه فى أى منهج إسلامى غير منهج آل البيت (ع).

وفيما يلى نصّ رواية عن صادق آل محمد (ع) فى هذا المجال:

قال الصادق (ع): «لولا الله ما عُرفنا، ولولا نحن ما عُرف الله» (44) .

ويقول ابن بابويه فى شرحه: معناه لولا الحجج ما عرف الله حق معرفته، ولولا الله ما عرف الحجج (45) .

موقفهم من المناظرات الكلامية

مرّ بنا فيما سبق أن هناك اتجاها متطرفا ينهى عن المناقشة والمناظرة والجدل فى الدين بتاتا، وهناك منهج معتدل يفصل ويفرق بين أقسام المناظرة. إنّ منهج آل البيت (ع) فى هذا أيضا منهج وسط، وهو - تبعا للكتاب العزيز - يُفرّق بين قسمين من الجدل:

1 - الجدل الحسن.

2 - الجدل القبيح.

يقول تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ظل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (النحل / 125).

وفى ذلك يقول الشيخ المفيد:

«وقد أمر الصادقون (ع) جماعة من أشياعهم بالكفّ والامساک عن إظهار الحقّ، والمباطنة والستر له عن أعداء الدين، والمظاهرة لهم بما يزيل الريب عنهم فى خلافهم، وكان ذلك هو الاصلح لهم. وأمرُوا طائفة أخرى من شيعتهم بمكالمة الخصوم ومظاهرتهم ودعائهم إلى الحق، لعلمهم بأنّه لا ضرر عليهم فى ذلك» (46) .

والمقصود من الصادقين فى كلامه، هم الائمة المنصوصون من العترة النبوية الذين شهد الله بطهارتهم فى كتابه، وبرأهم عن الذنوب والمعاصى بقوله:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (الاحزاب / 33).

وأمر الامة بتقوى الله وملازمتهم وعدم مفارقتهم فى العقيدة والعمل بقوله:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (التوبة / 119).

وهم الائمة الذين نصّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلّ إمام منهم كان ينصّ على الامام التالى، حتى اثنى عشر إماما، وقد جاء التنويه عليهم وعلى عددهم وعلى أولهم فى السنة المطهرة، ومن أرادها فليرجع إلى مظانها (47).

وجوب النظر فى معرفة الله

ومما يؤكد ملازمة العقل والشرع فى منهج أهل البيت (ع) ما جاء عن محمد بن على بن بابويه (الشيخ الصدوق)، وهذا نصه:

«وأما استدلال إبراهيم الخليل (ع) بنظره إلى الزهرة ثم إلى القمر ثم إلى الشمس وقوله لما

أفلت: (يا قوم إني برىء مما تشركون) فإنه (ع) كان نبيا ملهما مبعوثا مرسلا بإلهام الله عز وجلّ إياه، وذلك قوله عز وجلّ: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)، وليس كلّ أحد كإبراهيم (ع) ولو استغنى فى معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عز وجلّ وتعريفه لما أنزل عز وجلّ ما أنزل من قوله: (فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله) (48).

يقصد ابن بابويه أن العقل لا يستطيع أن يتوصّل إلى معرفة الله بصورة تامّة دون مساعدة السمع (الوحى) علما بان هذا لا يعنى أن النتائج التى يتوصّل إليها العقل فاقدة للاعتبار.

وكذلك الشيخ المفيد يقول بأن العقل محتاج إلى الوحى فى مقدّماته ونتائجه (49). وفى الوقت نفسه يدعم الشيخ المفيد استعمال العقل فى فهم العقيدة الاسلامية ويقول: «فأما النهى عن الكلام فى الله عز وجلّ فانما يختصّ بالنهى عن الكلام فى تشبيهه بخلقه وتجويزه فى حكمه» (50).

ويحتج على المخالفين لاستعمال العقل والنظر، ويصفهم بضعف الرأى ويقول: «فى العدول عن النظر المصير إلى التقليد المذموم باتفاق الكلمة» (51).

دور النقل

ذكرنا سابقاً أن العقل فى منهج آل البيت (ع) على الرغم من دوره البارز فى المعرفة الدينىة، لا يستقل بالمعرفة مالم يهتد بنور الوحى، وهذا ما لا ينكره أحد من المذاهب الاسلامىة والمدارس الكلامىة، وإنما الاختلاف فى حدود الاعتماد على النقل، لان النقل (المقصود به الحديث هنا لان القرآن الكريم منقول بالتواتر) قد يصل إلينا بشكل حديث متواتر، أى مالا يبقى أى مجال للشك فيه، لكثرة الناقلين والرواة، بحيث يطمئن الانسان بصدور الحديث عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أو العترة الطاهرة (ع) أو الصحابة الكرام، وقد لا يصل إلى هذا الحد، ويحصل منه ظن قوى أو ضعيف، وقد يصل إلى درجة يسمونه خبر الواحد أى ما رواه شخص واحد وادعى صدوره راوٍ منفرد، فعند ذلك يحصل منه ظن، لا يبتعد عن الشك والجهل كثيراً.

إن منهج أهل البيت (ع)، فى هذه الحالة عدم الركون والاعتماد على هذه الرواية، ما لم تنضم إليها قرينة ووثيقة تثبت صدقها.

عدم الاعتماد على خبر الواحد فى العقيدة

ويشتد الاحتياط عندهم حينما يتعلق الامر بمسائل العقيدة، فأنها لاهميتها لا يمكن أن يستدل لاثباتها بدليل ضعيف وحجة واهية، خاصة أن زماننا يبتعد عن زمن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والسلف الصالح بكثير، فعلىنا أن نجتهد ونسعى فى الاجتناب عن القول بالظن والخرص ونتمسك باليقينيات أو ما يقاربها حذراً من الوقوع فى الفتن والخلافات الجدلية التى تشكل أكبر خطر على دين الامة وعلى وحدتها.

وفى ذلك يقول الشيخ المفيد:

«وأقول: إنه لا يجب العلم ولا العمل بشيء من أخبار الاحاد ولا يجوز لاحد أن يقطع بخبر الواحد فى الدين إلا أن يقترن به ما يدل على صدق راويه على البيان، وهذا مذهب جمهور الشيعة وكثير من المعتزلة والمحكمة وطائفة من المرجئة وهو خلاف لما عليه متفقهة العامة وأصحاب الرأى» (52).

وهذا يدل على احتياط اتباع آل البيت (ع) فى مسائل العقيدة، فإنهم (ع) أمروا أتباعهم بالاحتياط، وقالوا: «أخوك دينك فاحتط لدينك»، وقالوا: «أورع الناس من وقف عند الشبهة». خاتمة المطاف

وبذلك نصل إلى نهاية جولتنا في منهج آل البيت (ع) في العقيدة الإسلامية فإنّ منهجهم كما تبين في الصفحات السابقة منهج متكامل، ولا يدع أداة من أدوات المعرفة إلاّ ويستخدمها في مجالها الخاص، فلا يتعدى مثلاً بالتجربة إلى مجال المسائل الالهية، وصفات الباري، لأنّها خارجة عن تناول هذه الاداة، ولا يجمد على واحدة من هذه الادوات، مثلاً على الاشراف الباطني والذوق الصوفي، ولا يغالى في قيمة واحدة منها كالعقل ولا يجازف في كفاءتها لادراك جميع الامور بالاستقلال حتى إذا تعلّق الامر بالمغيّبات وتفاصيل المعاد، ولا يدعى أن النقل (الوحي) يمكن أن يدرك بدون الاستضاءة بنور العقل، وكذلك لا يبادر إلى قبول كلّ ما جاء في صورة رواية وسنة ونقل، ما دام لم يتحقق من صحّة انتسابه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو إلى الصحابة أو الائمة (ع)، وما لم يقارن بينه وبين سائر النصوص الثابتة وبين الكتاب العزيز، ويعرف الخاص من العام والناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه والحقيقة من المجاز، وبتمام معنى الكلمة يؤكّد على «الاجتهاد» الذي هو بمعنى بذل الجهد واستفراغ الوسع في فهم المراد الشرعي من النصوص، وأخيراً لا يتحاشى النقد والمناظرة والمناقشة إذا خلت من إثارة لعواطف أو إيقاع لعداوة، بل هو دعوة إلى سبيل الرب، وجدال بالتي هي أحسن، وحكمة وموعظة حسنة، كما قال تعالى:

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلاّ وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)* ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلکم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون) (الاعراف / 42 - 43).

-
- (1) سنن الترمذي (11 / 26) ج 1 من تفسير سورة البقرة وسنن أبي داود كتاب السنّة باب 16 ومسند أحمد (4 / 400 و 4006) وطبقات ابن سعد ط - اروبا (1 ق 1 / 605) واللفظ للترمذي.
(2) طبقات ابن سعد ط - اروبا ج 1 / 1 ق 10.
(3) مروج الذهب (1 / 43).
(4) البحار (59 / 175 - 176) نقلا عن تفسير القمّي (583)
(5) الدكتور أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: ج 1 المقدمة، ص 46، ط. 5، دار النهضة الحديثة، بيروت 1405 هـ / 1985 م.
(6) مسند أحمد 3 / 178 - 196.
(7) ابن هشام، السيرة النبوية 1 / 341 - 342، الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، 7 / 1.
(8) الاشعري، مقالات الاسلاميين، واختلاف المصلين 1 / 34 و 39، ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل 2 / 111، أحمد أمين، فجر الاسلام.
(9) الدكتور عبد الحليم محمود، التوحيد الخالص، أو الاسلام والعقل، ص 4 - 20.
(10) الصابوني، أبو عثمان اسماعيل، رسالة عقيدة السلف وأصحاب الحديث، (في الرسائل المنيرة).

- (11) الامدي، الاحكام في أصول الاحكام 4 / 300.
- (12) الشوكاني، ارشاد الفحول، ص 266 - 267.
- (13) الامام الجويني، الارشاد إلى قواطع الادلة، ص 25؛ الغزالي، إجماع العوام عن علم الكلام، ص 66 - 67؛ الدكتور أحمد محمود صبحي، في علم الكلام 1: المقدمة.
- (14) ابن تيمية، مجموع الفتاوى 3 / 306 - 307.
- (15) الدكتور عبد الحليم محمود، التوحيد الخالص، ص 5 - 20.
- (16) الشيخ المفيد، أوائل المقالات.
- (17) السيوطي، صون المنطق والكلام عن علمي المنطق والكلام، ص 252؛ الشوكاني، ارشاد الفحول، ص 202؛ علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الاسلام ص 194 - 195؛ علي حسين الجابري، الفكر السلفي عند الثنا عشرية، ص 154 و 167 و 204 و 240 و 424 و 439.
- (18) القاسمي، تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص 56 - 57.
- (19) زهدي حسن جار الله، المعتزلة، ط 2، بيروت، دار الاهلية للنشر والتوزيع 1974 م.
- (20) القاسم الرسي، رسائل العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الله الواحد الحميد 1 / 105.
- (21) راجع في ذلك المصادر التالية: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، قسم الاشاعرة والماتريدية، الشيخ جعفر السبحاني: الملل والنحل، 1، 2، 4، والفرد بل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي: 118 - 130، أحمد محمود صبحي، في علم الكلام 1.
- (22) السبكي، طبقات الشافعية 3 / 391؛ اليافعي، مرآة الجنان 3 / 343؛ ابن كثير، البداية والنهاية 14 / 76.
- (23) إجماع العوام عن علم الكلام ص 66 - 67.
- (24) الدكتور سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي.
- (25) الدكتور أحمد محمود صبحي؛ في علم الكلام 2 / 604 - 606.
- (26) راجع في ذلك: الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، وسميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الاسلام، ط 3، دار الكتاب اللبناني، 1405 هـ / 1985 م.
- (27) الدكتور عبد الحليم محمود، التوحيد الخالص، أو الاسلام والعقل، المقدمة.
- (28) الدكتور عبد الرزاق نوفل، المسلمون والعلم الحديث. فريد وجدي، الاسلام في عصر العلم.
- (29) ترجمة تفسير القرآن 1 / 6 - 25.
- (30) راجع: محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، الاجزاء العشر الاولى 11 - 14؛ اقبال اللاهوري، إحياء الفكر الديني في الاسلام، مترجم إلى الفارسية بقلم أحمد آرام: 147 - 151؛ السيد جمال الدين الاسد آبادي، العروة الوثقى 7 / 383، روما، ايطاليا.
- (31) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، وكتاب التفسير 30، 1، قدر، 3، صحيح مسلم، كتاب القدر 22، 23، 24. وأحمد بن حنبل، المسند 2 / 233، 275.
- 393، 410، 481، و 3 / 353؛ وراجع صراط الحق لاصف محسني.
- (32) علي بن طاووس، كشف المحجة لثمره المهجة: 11 - 20، مكتبة الداوري، قم، بدون تاريخ.
- (33) الكليني، الكافي 1 / 310، (باب الهداية) و 3 / 2 (باب طينة المؤمن والكافر) ط 4، الاسلامية، طهران، 1392 هـ.
- (34) نهج البلاغة، الحكمة: 262.
- (35) نهج البلاغة، الخطبة: 210.
- (36) الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت: 436 هـ): رسائل الشريف المرتضى، رسالة الحدود والحقائق.
- (37) تكفير القائلين بأن لله تعالى صفات كان موصوفا بمفاهيمها وبذلك بالغوا في الاثبات إلى حد التشبيه.
- (38) الشيخ المفيد، أوائل المقالات: 18.
- (39) الشيخ المفيد، أوائل المقالات: 41.
- (40) الشيخ المفيد، المسائل الجارودية: 46، طبع المؤتمر العالمي للذكرى الالفية للشيخ المفيد، قم، 1413 هـ.
- (41) الشيخ المفيد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات.
- (42) ابن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، الطبعة الحجرية، طهران، 1301 هـ.
- (43) كتاب التوحيد، ص 290.
- (44) المصدر نفسه.
- (45) المصدر نفسه.

- (46) المفيد، تصحيح الاعتقاد ص 66.
- (47) ابن عيَّاش الجوهري، مقتضب الاثر في النص على عدد الائمة الاثني عشر، ابن طولون
الدمشقي، الشذرات الذهبية في أئمة الاثنا عشرية، المفيد: المسائل الجارودية، ص 45 - 46،
المؤتمر الالفى لذكرى الشيخ المفيد، قم، 1413 هـ، وراجع: الحر العاملي، محمد بن الحسن،
اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، تحقيق أبو طالب تجليل، 1401 هـ.
- (48) التوحيد، ص 292. والاباء: الانعام / 78 و83 ومحمد / 19.
- (49) أوائل المقالات، ص 11 - 12.
- (50) تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، ص 26 - 27.
- (51) تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، ص 28، مطبوع مع أوائل المقالات، تبريز، 1370 هـ.
- (52) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، ص 100، تبريز، ايران، 1370 ش.